فلسفة التكوين الفكري

فلسفة التكوين الفكري

الجزء السادس

الدكتور المهندس نبيل طعمة

١٤٣٠-٢٠٠٩

الناشر دار الشرق للطباعة والنشر
الدكتور المهندس نبيل طعمة
الطبعة الأولى
عدد النسخ ١٠٠٠ نسخة
تاريخ النشر ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



تقديم

الكتاب السادس الذي بين أيدينا يصلكم عبر القلم الذي يخط كلماتي في فلسفة التكوين الفكري، يستمر في البحث عن رؤى جديدة تطور الفكر الإنساني، لينعكس على الجملة الحياتية، يستمد كلماته من المنشور على وجه كوكبنا الحي والمتجول تحت قبة السماء المحيطة، يلتقط كلماته يعيد ترتيبها ضمن التسلسل الهندسي الذي لا يقبل إلا الاتزان كي يحصد النتائج، نستلهمها كي نبحث في نظرية الخلود التي أوجدت الإنسان القديم ودعته للتأمل الذي يحدث الإلهام عبر الآثار التي تدل على أنه مرَّ من هنا ، هذه المساحة التي تنمو وتزدهر بين المتأمِّل والمتأمل به والغاية فهم دورته الحياتية المتجددة من ملايين السنين، وتسجل لحظة كتابة هذا التقديم ليظهر الاعتراف الجريء لما يحتويه الإنسان من تنوع الأنهار التي ينهل منها، ليستمر جريانه بجريانها فيعرف الحق ويمتلكه كمعتقد نهائي ورئيس في ذات الوقت، حيث يتوحد ضمن التصالح الكبير ما بين مظهره وجوهره، يتقدم بعده خيره يتناقله خبره يدوّنه حبره فيحفظ خبزه وملحه، يعطيه الكون حيرة التفكر ومعنى الغيرة فيصل بشكله إلى اليقين وبظنه إلى الفناء .

يتعرى الفكر فيدخل الخوف إليه محدثاً فيه التخلف، يبحث عن الضوابط فيعلم أن التملق فضيحة والقلق ألم والأرق تخبط والشهوة عالم سفلي والجوع كفر والشبع تسلط، ينام نوم اليقظة يتعلم أن النظرية لا تحمل اسمها الحقيقي إلا بعد تحقيق التجربة وتوفر مكوناتها وتطبيقها العلمي الذي يؤدي إلى التطوير، ونتائجها

تنجز الكرامة من خلال الإرادة، فإذا تعرّض للخسارة الشريفة كان رابحاً ومبتسماً عندما يقف إلى مرآته التي تداعبه ما بين محاكاة الرجال وحديث النساء والتوق إلى فهم الدولة ونظمها الوظيفية وأدائها اللذين يحتاجان المصطلح، ينادي له صوته قائلاً له لا تتنرجس وسرِ إلى الأمام وتفاعل مع عرس الحياة الذي يدعوك إليه .

هي هكذا ملامح فكرية أسعى من خلالها وأنا أسير حاملاً إياها بين جل جوانبي لأقدمها إليك صديقي القارئ والباحث المتفكر عن ترتيب الفكر، حيث أقاربك في غايتي الوصول وإياك إلى الارتقاء على سلم غاية الحياة وأسباب وجودنا فيها، فإذا عرفت وصلت واتصلت وكان لك الحضور في الوجود، وإذا تبعثرت تاهت أشياؤك لتمضي عمرك هائماً دون الوصول وبحثاً عنه، لا أطالبك بل أدعوك للاطلاع أولاً على كلمات توضعت وشكلت سطور صفحات جُمعت إلى بعضها في كتابي هذا، علك تجد ما يمنحك مساحة جديدة غير منظورة تلتفت إليها فتغني بعض المساحات الخالية ضمن عقلك الكبير والذي يتسع كما قلبك الرحب لفضولي؛ الذي أدعوك مرة ثانية لتمرّ عليه بنظرك، فإذا وجدت ما يفيد طوِّره، وإلاّ فاطرحه أرضاً ولا تسل عما سيجري بعد ذلك .

اسمحوا لي أن أقدم بعضاً من اجتهادي التراكمي الذي يمتلك أمنيتي في أن تطلعوا عليه، فجلّكم محب ومؤمن بالتطور، ولكم الاجتهاد الأكبر والتحليل بعد التفكر فيه، إن كان له الاستحقاق والنقد المرجو لكلماته التي تفيد وتغني هذا الجهد الذي أتمنى أن يحمل اجتهادي ولكم جزيل الشكر لاطلاعكم عليه .

د.نبيل طعمة



الإهداء

إليك ...إلى مساحتك ...

المشعة .

التي يظهر فيها ...

ظلّك ...يتابعك .

إلى خطاك المتزنة ...

المتجهة صعوداً ...

وإلى الأمام .

على درب بناء الحياة ...

وتعزيز إنسانية الإنسان .

د. نبيل طعمة

الخلود

حقيقة ما نقضيه من جزئية الزمن فنحيا في ذاك الموجد للزمان الكبير، لذلك هو ضد الفناء يقترب من أسطورة البقاء المتجسدة في آدم اللامتناهي، حيث عاش في الفكر الإنساني المتسلسل من ذاك الإبداع الكوني القادم إلينا من أعمق أعماق التاريخ؛ الذي شكل لنا ذاكرة تحتوي أفعال البقاء القادمة من العقل الممتلك لقيم الأفكار، والذي يعيش في ذلك الجسد المادي الفاني بكون كل مادة لها زمن ضمن الزمان الكبير، حيث تخلد فيه إلى راحتها، وراحتها فناؤها حيث بقائها في ذلك اللامادي، فيكون لها سحر الامتلاك لمعناه المتجسد في جمع الرواية والخرافة والأساطير، تتحول إلى حقيقة العقدة السماوية ذات اللون الأزرق الصافي لتدوم قادمة من الخلد، ومعنى الخلد هو ما يبقى من الإنسان على حالته بعد أن ينقطع عن سائر أجزائه، والمخلّد هو الذي يبقى إلى زمن طويل لا يصيبه الفساد، إذا كان نقياً فيخلد وإن كان به فساد يفسد لتذروه الرياح ، بمعنى أنه آثار تدل على أن أحداً ما أنجزها وارتحل إلى ما لا نهاية، غادر إلى الأبد حيث يعيش بقاء الأوابد الخالدة، وبما أن الجمادات باقية نعود إليها بكونها دائمة، وأعني بذلك البقاء الدائم في الدوام الأبدي، حيث تفنى الأحياء وتنتقل إلى الدار الأخيرة التي ليس فيها فناء للكون بجماداته التي لا تفنى ، هل نخاف النهاية؟ لا نعلم عنها شيئاً ولا يمكننا مهما بلغنا من العلم

بها أن نعلم عنها شيئاً، سوى اللحظات الأخيرة التي تنبئنا بأننا سنرحل عن الوجود لندخل في عالم البحث عن الخلود.

حضرت كثيراً مع من وصلوا إلى لحظات النهاية، حدثني الكثيرون عمّا رأوه في تلك اللحظات وهم يرتحلون، حيث فهموا أن الخلود امتداد لعمر العمل الإنساني، يرتحل الجسد فإن كان حسناً خلد، فالعود على الحياة والظهور فيها من جديد هو أساس أسطورة الخلود في فلسفة التكوين الإنساني يساوي البقاء إلى الأبد، ولكن ليس في الجسد إنما من خلال إنجاز فكر إيجابي قدم لمحيطه معيناً هو الوسيط الذي يخلد به .

قال لي بعضهم فرحاً إنه حضرته وهو يستعد للانتقال بعد أن قضى في سنيِّ عمره الكثير مما أتاحت له الحياة رؤية رجل جليل بلباس أبيض، يعلو رأسه شعر أبيض ، ويتمتع بلحية صُبغت بلون أبيض، يتجول في مساحة جميلة جداً يسودها البياض، فابتسم قائلاً إنني ذاهب إلى عالم الخلود حيث الجنة، أستريح بها من عناء الحياة بعد أن قدمت جُلَّ ما أستطيع من إيجابيات؛ كانت في الأساس مطلوبة في أسباب وجودي، فحققتها ولم يخطر لي يوماً أنني سأرحل كوني أعتقد بأني باقٍ فيها، لن أنتهي، لن أنتقل، لن أفنى، لن أغادرها فكان إيماني في الحياة هاجساً أنني سأستمر فيها، لن أنتهي، الآن عرفت بأني أغادرها وأنا في كامل قواي العقلية ووهني الجسدي، في هذه اللحظات أدخل مدرسة المعنى والقيم، فأعلم ما الذي سيحصل مع كل الذي سيغادر عاجلاً أم آجلاً أن الخلود معنوي، هي كذلك إشارات تحضر فقط في لحظات النهاية،

لا يستطيع أحد كائناً من كان أن يخبرك عنها مسبقاً، بكونه أي (الخلود) يعيش بين مفهومي الزمن اللانهائي والمادة المسموحة للنهاية، أي بين تقبل الفكرة وعيشه ضمن فكرة الواجد الموجود، أي بين المادي واللامادي وبين المتناهي والمحيط وعلاقة التوقف، أي لحظة الاستقرار المادي مع القيامة اللامادية ،علاقة جدلية تمكننا من ربط الماضي بالمستقبل لحظة وجودنا في الحاضر .

إنه على أنواع حيوي فردي وأسروي، يعيش ضمن الحالة الاجتماعية، وأخلاقي يعيش ضمن جمل السلوك المقدرة الداعية لأن يعيش الإنسان ثلاثية المثلث؛ الذي تفنى أضلاعه ليبقى مركزه حياً يعيش رحلة الخلود .

هنا أتوقف، وأعني أن الكلي يراقب النسبي متحولاً إلى صفة الخلود الذي لا يفنى في وحدة الكل، منهياً بذلك الأسئلة، حيث يجيب عليها بأن ما يجري كحقيقة متحركة قادمة من الإنسان هو الذي يسجله خلوداً أم فناءً ،بما أن الإنسان يعيش بين حدي البداية والنهاية فخلوده هو بينهما يسقط إلى الأسفل يطفو عمله اثره، فنعلم أن الخلود سجلّ ذكريات يحيي الأفعال لا يحيي المادة والأجساد .

يكمن الخلودَ في نوعية ودقة المسيرة الحياتية المسؤولة عن الاستمرار والبقاء، كي يحدث الأثر يعيش به الأبد الآبد إلى الأزل، نطلق عليه أنه خلد في سجل نادر يحدث قيامة فكرة تحملها الروح في زمانها ومكانها حيث لا تفنى، محضرة صورة الخيال حينما تنسدل الجفون وهي تطمئن حين ركوبها رحلة الأزل، يسكن الجسد يتحلل يفنى نغرس فيه الأشجار تثمر نتناولها يستمر بنا يظهر فينا من

جديد على شكل أفكار، نتحاور حوله فنعلم أن الأثر وحده يكون به الخلود، فإن كان فعالاً إيجابياً خلد، وإن كان اعتيادياً وعادياً مرَّ بهدوء ولم يذكره أحد، وإن كان سلبياً سجّل في سجلّ اللعنات سيئة الصيت، وكلما حضر ذكره لعن ليخلد في لعنات أثره .

الوحي

لا يظهر إلا حينما تتوفر قامتان، الأولى نطلق عليها المتأمل والثانية هي المتأمّل به، فيغدو المساحة التي تحيط المتأمل به والمسافة البصرية الكامن بها قيمة وقوة البحث، فيما تراه العين بعد تحويل الصورة إلى الجوهر العقلي، حيث يقوم بتحليلها والاشتغال عليها، فإذا حصل وتم إنجاز حلول واقعية ومنطقية قادرة على جمع الماضي والحاضر والمستقبل، والعمل بنتائجها وتدوينها في أشكالها اللامادية التي تتحول إلى تطبيق سهل ومقنع من قبل الشخصية الإنسانية التسلسلية، ويعمل بها الكم حيث أنه أي الوحي لا يصيب إلا أهل الاختصاص العارفين والمتبحرين في امتلاكه وإحاطته بالمعرفة الشاملة ليتدعم، فنقول إن الوحي حصل بهذا أصابه فأنجز به الفتح العلمي .

الوحي إلهام به أخبار يأخذ بك إلى الاطمئنان ويحدث بينك وبين محيط الاستقرار، كما أنه رسالة تدخل إلى العقل في سرعة وخفاء لا معدومة ولا منظورة تترجم داخله، متحولة إلى أدوات إفهام وتفهيم، وكلما امتلكت الصدق في التحقق اتجه

إلى التحقيق، وأعني بذلك أن التأمل في المادة العلمية أو الحالة الاقتصادية أو الظروف الاجتماعية لتحليل أسباب الخلل الحاصل في تلك المناحي؛ التي هي جلّ اهتمامنا كي نعود وننشئ الحراك الذي نعلن به تدوينات تراكبية تراتبية تسير خلف بعضها، تشكل منهجاً ومسارات، نتلقفه ونحن نسير من خلال امتلاكنا لذاك النهج التأملي، الذي به تكمن حقيقة الحياة وروحها الملهمة والموحية لنا أثناء حدوث ذاك التبصر، نلقيه بصراً على الموجودات من أجل إظهار الوحي فتحاً علمياً واقعياً نتقبله جميعنا .

إذا كان الموحي العقل الكوني الكلي الكامل المحيط؛ وأنا وأنت وهو ونحن النسبي فكيف سيصيبنا منه قدر؟ إن لم ننظر بصرياً وتأملاً استبصارياً فيما يحيط لنحيط ،وهذا الحدوث كله لن يحدث إلاّ إذا كنت غير عادي من أجل العاديين البسطاء، فحينما تُختار من بين العاديين تقف على رؤوس أصابع قدميك فترى بالعين الباصرة الأخطاء وتعتصم عنها متحولاً إلى أصل لا تقليد له ولا نسخ، وتكون بذلك ممتلكاً للوحي الحقيقي لا اللفظي وكاملاً جزئياً لا مطلقاً في العصمة التي تبتعد بك عن الخطأ، وتتشابه من موروث الخالق في الخلق وتغدو إنساناً جوهراً لا بشراً في المظهر يرفضك في امتناع التنوع البشري ويقبلك في اختصاص الواحد الأزلي، حيث بك تظهر صفات الخلافة للكلي وأنت مفرد تسلسلي منتمٍ .

الوحي قراءة اقرأ لتتعلم ونتعلم أني وأنك نقرأ بفكر الممتلك للبدء والكلمة، فأنت كلمة اقرأها من خلال وفي أنفسكم أفلا تبصرون، فإن لم تقرأ ذاتك لن تبصر وتعي وتقرأ، كما أنك لن تمتلك وحي

إلهك، ولن تشهد المشهد الذي به الخلل والأعطال والعطب الذي يسكن المشهد، ولن تقدر على إصلاحه، فأين أنت من وحيك الباحث فيه عن ذاتك المتجولة ضمن أعمق أعماقك؟ هنا أتوقف معك ومعه وأسأل نفسي وأسألك وأسأله، جميعنا يسبح في فضاءات كوننا، من منا يعرف الغوص كي يحدث لنا الفتح الساكن في الوحي والمتشكل من مسافة مقدرتنا على الغوص ورؤية الأشياء أولاً، وتحليلها ثانياً، وإيجاد الحلول المنطقية التي يتقبلها الجمع ويقتنع بها ويعمل فاعلاً عليها ثالثاً، ليظهر من كل ذلك مثلث الحياة المركب من: ذرتي هيدروجين وذرة أوكسجين ، لنمتلك أكسير الحياة المتكون من الماء والهواء والتراب والفتق والرتق، ولنتفكر في ذلك الانفجار العظيم الذي أوجد للكون اتساعاً وللبشر انتشاراً وللإنسانية ارتقاءً، كي يختص ذاك الإنسان النادر بحقيقة الوحي وقدسية ما يقرأ وشهادة اشهد على المشهد وما فيه من إغراء ترفضه، فترى بعين الحقيقة كشف العماء ورفع الغطاء وصفاء الماء بعد سكون الهيجان وهدأة الوحل ونزوله إلى الأسفل، ويتحول المظهر إلى منهل، اشرب قدر ما استطعت، فتعلم كإنسان ما لا يعلمه البشر تمتلك به البرهان وعلم تاريخ الحقيقة والوجدان وفلسفة الجوهر المنعكسة على المظهر، وتكون الحالة الخارجة عن الإرادة إرادة فيها المظهر، وطرائق إعداد المواثيق والعهود، يرتسم في مظهرك الوجدان وجوهرك ذات الإيمان تتوحد مثل البستان، يتقدم إليك البشر يتحول بك إلى متنفس للآه جوهرها الله، جديد قادم من قدير مقتدر، مثله مثل الشجر المعطاء، وشكله دائرة مركزها قمة مخروط تتفوق على الطبيعة

ترخي عليها مساحة علم مختار وعقل به وجدان، وسجل رقيق دقيق كُتب فيه أنك في الضرورة موجب أن تتحول إلى إنسان .

أيها الإنسان إنك خليفته ومثله على الأرض وشبيهه، إنك وحيه إن تأملت وتفكرت وعلمت تكن في عملك مثله، ماذا تقول وأنت تتوجه إليه كوحي بكونك نسبياً لا تحيط .

الإنسان القديم

مع كل إشراقة صباح يوم جديد نعلم جديداً عن ذلك الإنسان القديم، حيث تستمر الأبحاث مستخدمة أحدث ما توصل إليه العقل المتفكر من علم، غايته استمرار البحث عن ذلك الإنسان القديم، الأسئلة دائماً كثيرة وعظيمة حوله وحول عمره ونشأته وتواصله، العقل يتجول على مساحات كوكبنا علّه يحظى بأثر عنه، ووجد الكثير تحت طبقات الأرض وضمن الأحافير الكشفية واستخدمت النظائر المشعة والكربون المشع وأدق المجاهر والتحاليل، واستأثر به الباحثون عنه وساد التخيل عقل الإنسان المستمر رسمه ولم يدع شكلاً تخيلياً له إلا وتخيله، هناك من رسمه بجناحين وهناك من نحته برأس إنسان وجسم أسد، وهناك من تخيله قرداً ضمن آلية النشوء والتطور، ومع تعاقب القرون الحاملة للأجيال وتطور الأمم واندثارها وانبعاثها نجده يستمر متصلاً وواصلاً ومتواصلاً، قادماً من ذلك البعيد الموغل في العقل الإنساني اللامتناهي بعداً في الوراء، حاضراً متنقلاً وناقلاً بنا إلى المستقبل ذاك المجهول لنا والمعلوم له،

من خلال ما أودعه في عقلنا الباطن سكنه دون تردد وإرادة منا نحن إنسان الحاضر، وهو الضمير الغائب المحيط بنا بإدراك أو بدون إدراك، يحكمنا في اللاوعي وعند العودة إلى الوعي وإلى ما نسعى هو مسيطر، يسيطر على حركاتنا وسكناتنا دون تردد، يجذبنا إليه كلما أردنا السؤال عن ذاتنا نجده حاضراً في أعماقنا يجيبنا بأنه قادر على إجابتنا شرط إحضاره واستعادته ومناقشته وسؤاله: من أنت؟ يتوحد معنا قائلاً: إنه نحن وأنا وأنت .

إنه ذلك الإنسان النابت من الأرض مع كل من نبت في لحظة واحدة من نبات وحيوان وآخره إنسان، ومعنى أنه نبتة وليس شجرة كي يجمع الليونة والحركة والعطاء، فهو عمودي ومتحرك ومنتشر لا ثابت وُجد ليظهر بمظهر الراعي المسؤول عن رعيته، وفي ذات الوقت هو العمودي الوحيد المتحرك على وجه البسيطة كي يقودها بكونها أفقية أمامه يتطلع عليها بنظره الأفقي والعلوي، ويخفضه من أجل مراقبتها والاتصال معها (أي الموجودات) والاتصال معه بكونه محيطاً وجوهراً، ومن تعريف آدم المتكون من الأديم أي الماء والتراب والكل ظهر من ذلك، ندرك أنه نبتة نبت في آسيا (إنسان جاوا المتلون بين الأحمر والأصفر) وعمره الاستكشافي ٤,٥ مليون سنة، ونبت في إفريقيا (إنسان لوسي الأسود) وعمره الاستكشافي ٣,٥ مليون سنة، ونبت في أوروبا (إنسان نياندرتال الأبيض) وعمره الاستكشافي ٤ مليون سنة، ونبت في أمريكا الهندي الأحمر وعمره الاستكشافي ٥ مليون سنة، وفي الصين (الإنسان الأصفر) وعمره الاستكشافي ٦ مليون سنة، وفي الشرق الأوسط (الإنسان الأسمر

الحنطي) وعمره الاستكشافي ملايين السنين، حيث أن النبت ينبت في كل مكان ولا يمكن أن ينبت في نقطة واحدة وهو على أنواع وأشكال وألوان، رغم أنه أتى من نقطة سنتحدث عنها لاحقاً بكون النقاط نطافاً، والنطفة حينما تخرج لا تخرج مفردة إنما تخرج كماً انتشر في الأرض مثل حبات الماء الهاطلة من السماء تهطل في كل مكان مكونة الحياة ليكون الكائن أينما كانت حياة الأرض، فهي بويضة والسماء تمتلك ملايين الحيوانات المنوية المطلوبة من الذكر للإنجاب تأتي مع المطر، وحينما يُفحص السائل المنوي يجب أن يكون التعداد رقماً معيناً من الملايين كي يحدث الإنجاب، وإلاّ كان العقم، والإله الأزلي الكوني محيط وبكونه محيطاً غرس بذور الحياة في كل مكان ليكون كن فكان يكون، كما أنه الحيوان الهلامي من مبدأ العلقة الهلامية الشكل احتاجت المرور بالتطور إلى المضغة التي تصلبت وتحولت إلى عظمة ليلتف عليها اللحم حتى الظهور، وهو الهيئة التي اختص بها الإنسان القديم ليستمر، وحينما نعلم النشأة الأولى نتفكر لنجد آلية تكوينه القادمة من السماء الذكر واتحادها مع الأرض الأنثى حينما كانت رتقاً أي لحظة التزاوج والإلقاح من الماء القادم من السماء الذكر في لحظات التوحد من أجل إنجاب الإنسان، وبعدها حدوث الفتق والانفطار نتاج حمل الأرض الأنثى بالإنسان، وانتفاخ بطنها الذي أبعد السماء عنها لتغدو به حاملاً من صلصالها وطينها اللازب وحمئها المسنون، فخرج إنسانها العام والخاص وإنسان الاختصاص، كما خرجت معه وأثناء وحدة السماء والأرض كل أنواع المخلوقات والتي شكلت نتوءات تشاركت

مع الإنسان في إبعاد السماء من أجل ظهروها جميعها أي حيوان ونبات وجماد وإنسان تتولى السماء حمايتها والأرض رعايتها .

في حالة التفكر، وأدعوكم للتفكر معي أن ذاك الإنسان المستمر اسمه إنساناً، لم يستطع أحد أن يطلق عليه أي اسم آخر، وحينما نبحث عنه نجد أنفسنا نذكر إنسان العصر الجليدي وإنسان العصر الحجري والعصر الحديدي والعصر البرونزي والعصر الذهبي، لم نستطع لمرة واحدة أن نغير اسمه كإنسان أو نخلع عنه الأديم بكونه آدم ، مرة ثانية كان تفكيره أكبر منا كثيراً ومساحة الرؤية لديه أوسع وأشمل بكونه كان قليلاً، وكان عمله ضئيلاً يصطاد ليأكل ويعيش والصيد متوفر وكثير والجنس الأنثى معه يدغدغها ويداعبها متى أراد، وحينما تتفعل غريزته الجنسية فكان بذلك مالكاً للوقت الكثير ومطمئناً للقمة عيشه وإفراغ طاقته الجنسية، وباقي الوقت تأملٌ وتفكرٌ كبيران .

من هنا أبدأ بحثي فيما يربطنا به وإليه وأسألكم هل باستطاعة أي كان من جنس الإنسان الحي التنكر له فهو محمول وحامل منا ولنا ومعنا لا نفارقه ولا يفارقنا أؤكد لم ولن نستطيع التخلي عنه ولا مغادرته لنا ، لن نقدر على إبعاده فهو ليس ظلنا فقط بل هو عقلنا الباطن، متى كان هذا الإنسان القديم وإلى متى سيبقى قديماً يعيش في جوهرنا، كم عمره؟ سأستند إلى كل من تحدث عنه ووثق معلوماته والبحث جارٍ في كل يوم عنه وفي كل القارات والأماكن، والغاية معرفة إن كان زاحفاً أو راكعاً أو واقفاً هل مشى على قدمين أم على أربع وتطور؟ أم أننا نعود إلى القول المقدس

(أنبتكم من الأرض نباتا) والنبات يشمخ إلى الأعلى أي أنه عمودي الظهور والنشأة لا اعوجاج فيه .

إن الله المتجسد في السماء المحيطة الكونية هو ذكر الأرض - أرجو أن تتفكروا دون ضغينة وانفعال عنيف كي لا تهدموا السدود بيني وبينكم وبيننا وبينه، مطالباً إياكم قبل إجراء أي نقد أو رفض أو تشكيك من أجل إثارة العامة والاندفاع للتجريم أو التحريم التفكر فيما أنتم عليه، ومحيطكم الذي يحيط وعلمكم المتوفر لتعلموا ماذا أريد وإلى أي غاية أهدف الوصول إليها كي أفيد - منحها من قوته الحياة وهندس كل شيء من باب التناظر الرائع الحي وأشرف على نتاجه الكوني العظيم ليستمتع به، وخلق له الحب والشقاء من أجل حبه وحب الحياة القصيرة في حياته الإنسانية من أجل العودة الروحانية إليه، إنه يدغدغ أبناءه الروحانيين فعلمهم أسماءه الحسنى وألبسهم صفاته ليقوموا مقامه يعودون إليه بعد انتهاء رحلة الإنجاز التي حددها لهم، ومنه كان آدم النبتة السمراء والحمراء والصفراء والسوداء والمتلونة، ومنه كان العطوف والمطيع والمتمرد والمتكبر والمتجبر والسميع واللطيف والخبير والعليم والقادر والمقتدر والرؤوف والرحيم والمتعالي، والكل امتلك الصفات وقاد الأرض من جبروته، كان جباراً في صنعه واصطناعه وصنع مما صنع من الماء والتراب كامل الحياة الظاهرة .

الآن يجب أن ندرك معنى آن، فإذا لم ندرك لن ندرك من مبدأ أن من يريد أن يدرك عليه امتلاك الإدراك، حيث به يدرك ما لا يدرك ودون ذلك لن يكون له إدراك، يعيش على القبول والرفض

كتابع لا واعٍ، إنما يسير مسيرة الرعية التي يقودها راعٍ من خلفها دون التفاتٍ، حيث تؤمن بأن الشيء هو لا شيء كما أنّه كل شيء فكما يقال لها تؤيد ترفض من رفض الراعي وتؤيد اتجاه الراعي حيثما يريد أن يسير فتسير، أعود لأقول إن اللّه في كل لغات العالم ذكر لا جنس له إلا في المقول النطقي، أي من مبدأ حاسة النطق والعقل، فلا يمكن في النقاش الموضوعي- بيني وبينكم- أن يكون أنثى ضمن المفهوم اللفظي وإلا لكنا نعيش في السماء وكان هو على الأرض، أي أن العملية الهندسية كانت معكوسة من مبدأ نظرية المثلثات القاعدة في السماء والقمة في الأرض وهذا غير صحيح أي نظرية المثلث المقلوب .

ضمن هندسة البناء لا يبنى الهرم من الأعلى إنما تبنى القاعدة وتؤسس على شكل مداميك كي يظهر الهرم هندسياً رائعاً، وهذا ما أراده الإله في نظرية الهندسة الكونية النهائية التي أقامها وأشادها من مبدأ النقطة والواحد حتى تصل التسعة لتنقلب عشرة، أي صفر وواحد وهو العود على بدء .

إن معنى الصفر المكتشف هو النقطة والنقطة تعني البدء أي بدء الكون وبها عرف وعرفنا لنتعرف عليه حينما تحولت إلى نطفة، إذاً هناك من وضع الحرف ووضع عليه النقطة فوقه أو تحته ليظهر المعنى في بدء، وأعتقد أن الباء هي أول حرف خطه الألف الواحد الأحد الذي لم يقبل التثنية، ولكنه قبل التسلسل فأحدث بذلك مظهر التشابه وأعطى من خلال التشابه الخلافة، وأعني بما أقول أن الواحد يشبه الواحد لكنه كلّفه بالمتابعة بعد أن أوجده،

وعليه نجد أن التوحد بين الخالق والمخلوق هي قيمة وحدة الوجود وأسباب وجوده بغاية التأمل فيما أوجد حوله كمحيط موجود، مرة ثانية أرجو المتابعة كي ندرك مما امتلكنا عقلياً بحكم ظاهرة الجينات والوراثة من ذلك الإنسان القديم؛ الذي أورثنا كل ذلك بعقل فاهم سرمدي مستمر أزلي ملتحم مع المطلق الكلي حين حدوث التواصل الفكري معه كمحيط يحيط ينشئ ويزيل يمحو إذا أراد حينما يريد.

تعالوا بنا نتفكر بكوننا، نمتلك عقلاً وُجد ليفكر ننطلق معاً إلى النقطة، ومنها نستند إلى العلم الديني الذي أتى ضمن الكتب المقدسة عبر الرسالات السماوية التي وصلت إلى أولئك العظماء العلماء؛ الذين حملوا من خلال التأمل والتبحر في المتأمل بهم، أي الأرض والسماء وما بينهما وما تحتهما وما عليهما من بشر وشجر وحيوان وجماد وسماء وأرض وماء سمة وصفة الأنبياء، بكونهم تنبؤوا بعد ما امتلكوا الفتح العلمي مما مضى إلى الحاضر وإلى ما هو آت، والذي حمل صفة الوحي القادم من السماء، حيث حضر ما بين الأمل المتأمل والمتأمل به، فأصبح وأمسى المساحة والمسافة بينهما حينما امتلك صاحب التأمل الصدق والهدف فيما يتأمل به، ساعده الوحي عندما وجد سعيه للوصول إلى الهدف الإنساني بغاية الحفاظ على الجنس البشري ومساعدته على استمراره، أيضاً مما كان قبلهم وإلى ما جرى معهم دونه كي يصلنا قادماً متوافقاً مع كل زمان وفي أي مكان مما كان وسيكون إلى أن يكون كائناً من كان عليه حينما قال الله تعالى (والله أنبتكم من الأرض نباتاً)، أي

وضع بذرة في الأرض لنظهر منها نباتاً إنسانياً على شكل إنسان، والنبات في العلم الزراعي يحتاج البذرة والبذرة توجد في باطن الأرض كي تنمو، والنطفة بعد أن غدا الإنسان بشكله الإنساني النحتي النصفي أي ذكر وأنثى أودعها في قرار مكين أي في رحم الأنثى ليظهر منها إنساناً قادماً جديداً وهي لغة التواصل .

يا سيدي الإنسان الخليقة صورة إلهية في السماء حقيقة على الأرض، تابع معي وتفكر حرفاً حرفاً ونقطة تلو النقطة أخاطبك مؤمناً بك أنك عقل إنساني حيث أعترف أنني وإياك تجاوزنا مرحلة بدء الشر (أي البشر) لأنني أريدك أن تتابع معي، فأنا لا أريد أن أشتت أفكارك وإنما أقرُّ بأننا جميعنا إنسان عقلي امتزنا به عن باقي الموجودات ،على الرغم من قناعتي بأن جميع الكائنات لديها عقل، ولذلك أطالبك بالتفكر من مبدأ تفكروا يا أولي الألباب أي يا أصحاب العقول الإنسانية وأنتم من أصحابها .

إذا لنتفق أن ندخل من باب العلم لذلك الإنسان القديم، وغايتنا البحث في وجوده وما أوجده وموجوداته، ومنه نكون مقدمين له العرفان والاعتراف بأنه حكمنا إليه، وأصر ذلك القديم الإنسان على أن يحكمنا إليه ممسكاً بنا من الخلف أي متعلقاً بنا متداخلاً معنا لا يفارقنا أينما اتجهنا إلى اليمين إلى اليسار إلى الشمال إلى الجنوب في حالة الدوران على كوكبنا والكوكب كروي أو بيضوي أن نختلف عليه، يلاحقنا يتابعنا يتداخل معنا يجبرنا ألاّ نتخلى عنه، ومهما حاولنا هو جلدنا وإيماننا وكفرنا وعقيدتنا وتكويننا لن نخرج منه مهما حاولنا بكونه لن يخرج منا مهما حاول هو .

الإنسان جزء من الروح الكلية المحيطة الكونية ومادة إنجابية معادلة أنجبت في الاتحاد إنساناً، أي نتاج هذه العلاقة الثنائية والكل يعلم أن أية ثنائية لها نتاج أي يكون منها قادم جديد، فحينما نقول واحد زائد واحد يساوي اثنين، الاثنان قادم جديد وفي حال اتحاد مادتين مختلفتين تكون هناك مادة ثالثة تحمل صفات المادتين، وعليه كانت نظرية الموجودات في كليتها قادمة من ذلك الاتحاد الذي بدونه لا تتم أية عملية، أطلب التدقيق وإنشاء الحراك الفكري وأن تعطوني الزمن المسطور، لأكمل ما أخطه من كلمات لكم ولي وعليه حاكموا عقولنا وتحاكموا تحت مظلة القانون الكوني لا الوضعي وفتح زوايا العين الباصرة، وعليه نخضع جميعنا لما تحكمون ولكن لا تحاولوا أن تتجردوا من ذلك الإنسان القديم الموغل في القدم بكونه يحكمنا وسيحكم علينا، إن أسأتم الظن دون دراية في الحقيقة أتوجه إليكم أي أتوجه إلى العقل الإنساني، والعقل الإنساني يؤمن بالحوار ولغة الألف والياء والباء ومعنى الألف الإله الذكر والياء الأرض الأنثى والباء النتيجة التي هي نحن، وعليه أقول يا عالمي أنا عالمك دون وجودك لا علم ولا عالم ولا معلوم، ولو لم يكن هذا لما كنا نتفكر الآن فيما نحن فيه من مسيرة الإنسان ، فإذا كنا نتاج العلاقة الافتراضية أو خلفاءه بالتبادل أو حقيقته على الأرض بكونه صورتنا في السماء فأقول لكم: إننا جميعنا - وجميعنا لعلمكم أقصد بها كامل الإنسان المعرَّف (البوذي والهندوسي والناري واليهودي والمسيحي والإسلامي) أي كل الإنسان .

أيها الإنسان هل تستطيع أن تتجرد من إنسانيتك فتخرج من الجملة الإنشائية التي تعيش بها كتكوين متكامل وتدخل مساحة العداوة لذلك الإنسان الذي أوجد لنا كامل جمل السلوك دون تردد وحكمنا إليه ووضعنا أمام السؤال الكبير المتضمن ضرورة الاعتراف به كإنسان كامل الذكاء بل وخارق، لا يمكن لي أن أزرع في داخلي صورة عداوتي لك إلا في حالة واحدة أن تتخلى عن إنسانيتك وتغدو شيطانيَ الساكن في جانبي المظلم من صدري الحامل لقلبي المؤمن، عليه أقول إن عليك أن تختار بين أن تكون إنساناً أو أن تكون بشراً، فلا شيطان في الوجود إن امتلكت وامتلأت بإنسانك القديم حيث تغدو ظاهرة بكونك جمعت ما مضى إلى ما قد حضر، تقف به أمام المستقبل يشكل لك دافعة ومساراً تسير عليه دون خوف أو رهبة .

ما معنى وحدة الوجود؟ وأنك اتحاد إنسان يمتلك المعنى والجوهر ليظهر بك عنوان تجرد وابتعد عن الحيوان والنبات والجماد، وامتلك عقلاً كي يحكم كل الخلائق والموجودات من عقل يتدبر في الأماكن ما يكون وما قد كان، هل نستطيع أن نؤسس قاعدة المعرفة نبني عليها مسيرة الإنسان، وهل يحق لنا أن نقول عنه أي عن الإنسان أنه كوني مستمر بالتواصل من خلال العلاقة الثنائية الزوجية التي تحافظ على وجوده وشكله ومساره ومسيرته؟.

حينما نستذكر عملية النشوء الكوني من خلال المعرفة الفكرية التي نسجها الإنسان حول بداية الخلق من علمه العاقل؛ الذي أصر على حادثة الانفجار العظيم، حيث انفصال الأرض عن الشمس ومرورها بعملية التبريد بعد أن جمدتها السماء الدخانية المحيطة

والتي تولدت نتاج ذلك الانفجار، وهذا إن دل فإنما يدل على أن الأرض لها غلاف محكم الإغلاق سمح بتبريدها بهطل الأمطار عليها بغزارة حتى غدت كرة مائية، ومن ثم انحسار الماء ونمو البكتيريا والطحالب التي أنبتت معها الإنسان، وهذا الفكر العلمي الذي أوجده ذلك الإنسان القديم لا يتعارض أيضاً مع القلب الإيماني الممتلئ بالعواطف؛ والذي أنجز من خلال الروحانيات وإيمانه بها الفتح الروحي من أجل إنجاب السلوك الذي عليه الإنسان واقترب بعقل قلبه من عقل جسده وخاطبه بحادثة الفتق والرتق (إن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما) وأيضاً (فاطر السماوات والأرض) أي حينما حدثت الخمائر نتأت حبة فطر فانفطرت السماء وابتعدت عن الأرض .

أجل لن نصل مهما بلغنا من علم إلى قوة ذكاء ذلك الإنسان الموغل في القدم؛ والذي لن يدركه عقلنا بل هو الذي أدركنا ويدركنا على الدوام، لا يفارقنا رغم ابتعاده عنا ملايين السنين، نتساءل كيف يحكمنا حينما وجد على الأرض ضمن ثنائيته الزوجية وبدأ الإنجاز ورحلة التكاثر تحت مظلة الحب، وبالحب فقط آمن، أحب نصفه الآخر والتي أسماها حواء التي احتوته وكانت له سكنه الذي يسكن إليه وملاذه عند تطور الصعاب، تأملها وتأمل لحظة الإنجاب منها دخل إلى أعماقها حيث وجد أعماقه فيها منحها فظهر الفكر من خلال اتحادهما وإنجابهما، وبدأت من هنا المعاملات والتعاملات ودراسة المعادلات القادمة من أبنائه وأحفاده وتكوينه وضمن المساحة الكبرى التي امتلكها، وتجول بها بصرياً لا

نظرياً طالبهم بالعمل وراقب فعلم أن هناك كسلاً وهناك اجتهاداً وهناك مخلصاً ومراوغاً وصادقاً وكاذباً وجشعاً ومتملقاً، سجل كل هذا ووضع أول ما وضع قانون الثواب والعقاب والمكافأة والتنبيه والتوبيخ من أجل الاستمرار، فرز مجتمعه الصغير إلى عالم وطالب علم وجاهل وفاعل ومنفعل ومتفاعل ومراقب ومؤثر وفارغ ومشارك ومنتظر وخامل، فقال هذا خاصة الخاصة وهذا خاصة وهذا عامة وعليه كان لا بد من إظهار قوانين منها: الروحاني التي تتعلق بالحب والإخلاص والتقريب والإحساس والاجتهاد، ومنها قوانين العقاب، وعند حصول التكاثر الكبير وظهور البشرية بشكل عام وشائع؛ كان لا بد من ظهور الحكم والأحكام والحلال والحرام .

عرف ذلك الإنسان القديم أن الكثرة عامة يجب أن تحكم وإلا ستستبيح الخاصة وخاصة الخاصة، فلا يكون للحياة استمرار بكونها تتحول إلى شريعة الغاب، حيث لا حكم ولا أحكام، الكل إذا جاع أكل ما وجده حتى وإن كان أخاه الإنسان ينام بلا معنى ولا غاية لحياته سوى الجنس والطعام، وعليه أقر الحكم والأحكام أودعها أمانة يتسلمها خاصة الخاصة يتابعونها يطورونها كلما ازدادت الكثرة (العامة) حيث يتطور فكر الجوع والالتهام لديها فتحتاج الضوابط من أجل بقائها تحت دائرة الضوء يراقبها محدثاً لها الخوف ومسلطاً عليها سيف الاتهام .

بدأت دورتنا الحياتية من طوفان نوح، وعليه يكون آدم إنساناً قديماً تتناقله الذاكرة الإنسانية بوصفه أباً للبشرية ومعنى آدم الأب الأول الملهم صاحب العقل الذي عرف الأسماء وأطلقها على

الموجودات من زواحف وحيوان ونبات وطيور وأسماك وعوالم البحار والكواكب والنجوم، ووضعها في مراتبها وعرف زوجه وخاف عليها وخافت عليه فعرف الخوف والهلع والنجاح والفشل، وتمسك بالعمل مستنداً إلى الأمل ففعل وانفعل وتنسك من خلال الخجل والوجل وستر وانستر، وبدأ يعلم أبناءه الحياة والأخلاق والحكمة والحكم، نعم إنه آدم الموغل في القدم تناقلته القرون والأمم، ومع كل دورة حياتية تأخذ شكل الولادة من صفر إلى تسعة أي تسعة أشهر عمر الجنين وتسعة آلاف سنة عمر الدورة الحياة حينما يصل تعداد البشر إلى تسعة مليارات نسمة يحدث الطوفان ويظهر نوح جديد مع من بقي يصنعون الفلك ينتظرون انحسار الماء في دورة حياتية جديدة، يبدؤون بها من الصفر بكون الفناء عم كل شيء وأخذ كل شيء مستندين إلى آدم القديم الإنسان ذلك الموغل في القدم مانح الكتاب العظيم المحفوظ ضمن الدورات الحياتية يحكمنا إليه بقواه الأزلية الروحانية متداخلاً مع المادة وظاهراً في طاقتها .

الدورة الحياتية

لماذا نبحث بها تحت مسمّى الدورة الحياتية، أسأل سؤالاً جوابه حالة تفكرية، أقدمها إلى أفكارك كي نتدارسها، هل الحياة دورة واحدة، أي مستمرة منذ لحظة الخلق الأولى وإلى الآن؟ أم أن لها دورات بلغت حتى الآن في عديدها الآلاف؟ بكون النقطة تنجز الواحد والواحد يتسلسل متطوراً حتى يصل التسعة،وحينما ينقلب

إلى عشرة، أي إلى صفر وواحد يعود من جديد إلى نقطة الصفر، وحينما نطلق عليها صفراً أي أن كل شيء تم مسحه من أجل إعادة التأسيس، والجنين أيضاً يبدأ من نقطة ويمرُّ في رحلة تكوينه حتى تسعة الأشهر ليبدأ من جديد رحلة الصفر بعد ولوجه إلى الحياة، كما أن الدورة الشهرية للأنثى تنتهي في اليوم التاسع الذي ينقلب في نهايته إلى عشرة تكون نهايتها، لماذا نقول هنا رحلة الصفر لأن عداده العمري يبدأ من الصفر، وعداده الجنيني يبدأ من النقطة التي تسكن القطرة، بالتأكيد النقطة غير الصفر بكون النقطة مضافاً إلى الحياة، والصفر مسحاً وبداية جديدة، تأسس عليها العمر الزمني أو العمر المادي وتشيّدت منها التراكمات الرياضية والهندسية كي تصل إلى النتائج، وعندما يصل عمر الدورة الحياتية إلى العمر الولادي وهو تسعة آلاف سنة، هل تنقلب على نفسها لتبدأ من الصفر؟ أيضاً مع وصول عدد سكان هذه الدورة إلى تسعة مليارات نسمة، فتكون بذلك جميع المعطيات قد وصلت إلى ذروة الدورة الحياتية لتبدأ دورة حياتية جديدة، أي بعد حدوث المسح حيث تبدأ من الصفر بكونها في الماضي البعيد الموغل في القدم بدأت من نقطة، فالنقطة حياة تكوينية روحية، والصفر تكوين مادي امتلكه الإنسان.

فحينما نوغل في التاريخ بغاية معرفة أي شيء عن الإنسان القديم ونظم تكوينه وتكوين محيطه؛ والذي وصل إلينا حيث نحن الآن صورته ومنه نستمر تسلسلاً، وأيضاً حينما نعلم أن عمر الأرض العلمي بلغ مليارات السنين، وأن عمر الإنسان الاستكشافي

وصل إلى ستة ملايين سنة، اكتشف في جاوا الإندونيسي وأطلق عليه إنسان جاوا، واكتشف في إثيوبيا الإفريقية وأطلق عليه إنسان لوسي، وظهر في أوروبا حيث تمت تسميته بإنسان نياندرتال، والأنكا والمايا في أمريكيا، مرّ خلال ذلك بالكثير الكثير من المسميات والاعتقادات فسمي إنسان العصر الجليدي، وبعده إنسان العصر الحجري، وإنسان العصر الحديدي، وإنسان العصر البرونزي كي يصل إلى عصرنا الذهبي الذي نحن فيه، وفكره أيضاً أوجد طقوساً وعبادات وتطورات فكرية رافق تطوره العقلي، فمن عبادة الإنسان الجليدي إلى عبادة الأشتاف والسحر وعبادة الطوطم واختراعه لآلهة القبائل والآلهة التخيلية والصنعية والتأملية والإبداعية وصولاً إلى تطور إل ، إلا ، إيل ، اللات ، اللّه، وكل أسماء الإله، وفي كل لغات العالم ذكر بكونه العقل الكوني والعقل في كامل المخلوقات من الإنسان بجزئيه الذكر والأنثى، العقل ذكر أي لا يقبل العقل التأنيث في كامل المخلوقات والموجودات، ولكامل المخلوقات عقلٌ ذكر وفي كل موقع وجد المكون والمحيط والكلي والأزلي والسرمدي، تارة دعاه بهذه الأسماء وآمن بأن هناك مكوناً بعد أن أنجز كامل التكوين أي المكان والزمان، والإنسان أطلق صافرة البدء فسار الكون بعظمته، عاد الإنسان واعترف بعد أن تأمل وامتلك من عقل المكون فكرة التكوين، فهم بأنه مخلوق عليه أن يخاف منه ويلجأ إليه لينقسم هذا الإنسان من فكره على فكره موجداً مذاهب وأفكاراً، فمنهم من أوجد الوجودية ومنهم نادى بالمادية الجدلية ومنهم من نزّهه ورفعه ومنهم من صوَّره وشخَّصه ومنهم من حمّله

الآلام والآمال، والكل في الناتج يتجه إلى العقل حيث به تسكن كل الأفكار التنويرية والتطويرية العلمية والروحية والعلمانية والدينية، حيث أن العقل يعود عليها ليوجدها وعلاقتها بالتأمل المحيط الذي أوجد كل هذا الإبداع الإنساني من الموجد الذي أوجد الإنسان ليعود فيوجده، وإلاّ من أين أتى كل ذلك الفكر ليتفكر به فيوجد له ما أوجد من معتقد أو مذهب وينتمي إلى طائفة أو تكوين من أجل التكوين والاحتفاظ بشكل فكره الذي هو عليه ؟ من كل ذلك أتجه لدراسة الدورة الحياتية التي نحياها والتي تطورت تدريجياً لا حسب نظرية التطور القردية المرفوضة عقلياً وعلمياً، بل من حيث وصلتنا الأفكار ودخلت الذاكرة الإنسانية الحافظة للثوابت الكونية، ينبغي علينا أن نتفق عليها من خلال الأسئلة التي سأطرحها، وهي: هل نحن نعيش نهاية الدورة الحياتية، وهل ستنتهي بطوفان عظيم أم باصطدام كوكب بالكرة الأرضية يعيد تشكل السماء الدخانية وتمطر وثم تبرد حتى تتجمد وبعدها يذوب الجليد وتنحسر المياه وتبدأ دورة جديدة كالتي نعيشها وظهرنا بها، لتحدث من جديد حادثة الفتق والرتق وفطر السماء عن الأرض، وهل نستطيع اعتبار نوح وطوفانه ومحافظته على الجنس البشري وباقي الأجناس هو بداية دورتنا الحياتية الجديدة، وآدم المتكون في الذاكرة الإنسانية من خلال الأديم وعلاقته بالماء والتراب والروح المتجولة ضمن الهواء؛ هو نقطة البدء، ذاك الذي عاش تشكيل تلك الحوادث الأولى بكونه المتكون الأول لشكل البشرية، تناقلته الدورات الحياتية محافظة عليه كرمز لا ينتهي أبدي أزلي

يعيش في العقل الإنساني كوالد للبشرية جمعاء، وهل لكل دورة حياتية عمر زمني مقدر يبدأ وينتهي لينتهي معه كل شيء، ويعود هذا الإنسان إلى شكله الأول يسعى في رحلة حياتية جديدة تبدأ مع نوح جديد؛ القادم من النُّواح على ما مضى من سلفه وفهمه لما خسره مع الطوفان، وإدراكه أن عليه يقع عاتق الاستمرار والتأسيس لإنجاز ما خسره، بكونه يمتلك العقل وقادراً على صناعة فُلك جديد ينجو به دائماً كي تستمر البشرية وموجوداتها، يعيد إليها ألقها من عقله الآدمي الذي أورثه إياه آدم الأديم ؟.

وما معنى أن نقول: إننا نعيش ضمن آخر دورة حياتية وصلنا إليها، وتحت مسمى أننا نقترب من نهايتها بحكم طاقة الأرض المتعلقة بالكثافة السكانية والمادة الموجودة في داخلها وعليها، وعلاقتنا مع الأكسجين والهيدروجين والماء والنبات والحيوان والجماد والحديد والنحاس والنفط والغاز والذرّة وانشطارها، وهل الأرض تحيا ضمن دائرة مغلقة محمية طبيعية، لها أسسها العلمية كصفار البيض المحمي من الزلال والقشرة الرقيقة والغلاف القاسي، حيث تشبه الأرض تماماً وهي تعيش ضمن الغلاف الجوي، أي كرة أرضية ضمن كرة تشبه الزجاج في شفافيتها، إنما هلامية تسمح بدخول الأشعة والضوء ولا تسمح لخروج أي شيء منها، لكونها تتألف من طبقات الأيونات والأوزونات لتحفظ ضمها الكرة الأرضية بكامل عناصرها الحية بخاصية الجاذبية، فما معنى أن لا وجود للجاذبية خارج الغلاف الجوي، وأننا منجذبون إلى الأرض كما الماء والحيوان والنبات والجماد، فإذا كُشف الغطاء ضاع كل شيء وذهبنا إلى الفراغ

الكوني الذي لا حياة فيه، إن نظرية الكرة ضمن كرة نظرية علمية، وحينما نجري التجربة ونضع كرة ضمن كرة ونضخ الهواء إلى أن تمتلئ الكرة الكبيرة بشكل كامل وتغلق بإحكام، نلاحظ أن الكرة الصغيرة تتجه إلى مركز الكرة الكبيرة لتغدو في منتصفها طالما أن الهواء يتحرك ذاتياً بفعل الحركة الكبيرة في المحيط القادمة إليه من الكرة الصغيرة؛ التي تحوي الفعالية الحياتية، فالإنسان يتنفس والأشجار والنبات والحيوان وحتى الجماد، من كل ذلك تتكون الحركة بفعل أيضاً الأشعة المسقطة على الكرة الصغيرة حيث تحدث التسخين والتبريد في آن واحد .

مما تقدم، تأخذ بنا ضرورة البحث فيما نحن فيه وعليه، والإجابة على كل تلك الأسئلة المطروحة، حيث نبدأ من النقطة والتي تعني النطفة والبذرة ومركز الدائرة التي بدونها لا ترسم، ومَن هو صاحب النقطة ومن أين أتت البذرة، ومن ذاك الذي أوجد المركز كي تنشأ الدائرة ؟ هنا نتوقف لنجري مقاربة عملية بين البيضة بشكلها والكرة الأرضية وغلافها، فحينما نقطعها بعد (السّلق) نجد المح (صفار البيضة) المركز الوسطي والكلازا يحيط بالمحور الوسطي للصفار، حيث يعمل على تثبيت الصفار ويخفف تأثير الارتجاج عليه أي يحفظ الخلايا الجينية، ومن ثم البياض وهو ضعف وزن الصفار ويحيطه بالكامل، والغشاء الداخلي الرقيق وهو على شكل غشائين رقيقين جداً متلاصقين غايتهما امتصاص الرطوبة ووضعها في الغرفة الهوائية الموجودة في قمة البيضة العريضة، والقشرة التي تحدد الشكل العام للبيضة وتشكل الجزء الصلب منها، وغايته

حمايتها والسماح من خلال آلاف المسام تغذية الجنين المتكون في البيضة، إنه شبهٌ متناهي الدقة مع كوكبنا الأرضي، فنعترف أن هناك مكوناً لهذا الكون، ذلك يقود إلى سؤال: هل الدجاجة قبل البيضة أم البيضة قبل الدجاجة ؟ بالتأكيد الدجاجة قبل البيضة بكونها نبتة من أرض وبكون المكون هو من كون كل ذلك، وعليه نشبِّه بيضتها بالأرض ومحيطها وكيفية حفظها ضمن الغلاف الجوي ودورانها وتمايلها يمنة و يسرة، فتشرق تارة من الشمال الشرقي وتارة من الجنوب الشرقي، وآلية حملها (أي الكرة الأرضية) من نظام الوسادة الهوائية التي لم ينتبه أحد إليها حتى الآن، أي أن زلال البيضة يحرك صفارها ويمنع خروجها من الغلاف الجوي حيث أن هذه الوسادة تحيط بالأرض ومحمية في ذات الوقت من الغلاف الجوي الذي ذكرناه، وحينما ذكرت الكتب المقدسة وهي تمجد الإله المكون وُجد على سطورها (خَلَقَ السَّمَاوَات بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا)، من هذه الكلمات الكريمة واستنادي أيضاً إلى الكلمات الكريمة المقدسة (إنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَات وَالأَرْض وَاخْتلاف اللَّيْلِ وَالنَّهَار لآيَات لأُولي الأَلْبَابِ)، لماذا أستند إلى تلك الكلمات، إنها دعوة إلى العلم وخطاب موجه للعقل الإنساني وحامليه، كما أنني أستند إلى نظرية أن لكل بداية نهاية وأن لكل مصنوع مادي أنجزه الإنسان من بداية تصنيعه يكتب أن له فناءً وأن لكل مخلوق طبيعي أيضاً عمراً زمنياً منحصراً بين الولادة والرحيل .

قد يسأل أحدكم سؤالاً، وحقّ له أن يسأل عن هذه المكونات التي تظهر منها المخلوقات والصناعات المادية والموجودات الروحية:

إلى أين تذهب بعد فنائها، وهل تفنى كشكل وهي حية في تحولها إلى مادة أولية خام أو إلى مصنوع مادي له شكل ومعنى به فائدة إنسانية للإنسان، ومن مصنوع خدمي إلى مادة فانية في دورة حياتية للجماد، وأيضاً وجودها قبل التكوين، أي حينما كانت على شكل ذرات أو نقط تجمعت في باطن الأرض كعروق أو كتل ليظهر شكلها ويتعرف عليه الإنسان: أن هذا حديد وذاك ذهب وهنا يكتشف النحاس والألماس، أليست هي في حقيقة الأمر تخضع لدورة حياتية بعد أن تستنفد؟، وعلاقة المادة الخام بالدورة الحياتية والكثافة السكانية وعمر هذه الدورة علاقة حقيقية واقعية، فالنفط مثلاً بدأ ينفد والغاز كذلك والذهب والحديد والنحاس، كما بدأت تختفي الكثير من الحيوانات الغذائية الأليفة والشرسة الخطرة، كما أننا أيضاً بدأنا نلحظ نفاد العلاقات في معادلات التوازن البيئي المهم جداً لحياة الإنسان، هذا يدل على أننا ذاهبون إلى النهاية لا محال كي نعود إلى نقطة الصفر التي يكون بها البدء مع فُلك جديد يقوده نوح جديد . إذ إن النقطة × لا نهاية = عدم تعيين، أما إذا اخترنا مجموعة نقاط فيظهر لدينا قطعة أو شكل مستقيم أو دائري، والنقطة هي أحد المفاهيم الرياضية غير المعرفة ولا يمكن إيجاد تعريف لها بكونها لحظة بدء تعيين لتظهر شكلاً، أي تكون ممتلكة للخلق والإبداع وإظهار الأشياء من عدم التعيين إلى التعيين، والتعيين تراه العين تحلله تطلق عليه مسمّى يأخذ حقه في الوجود كمخلوق من خالق أو مولود من مخلوق أو نتاج من صانع يسمى مصنوعاً، وأيضاً الذرة والتي لا تأخذ شكل النقطة بدقتها

الواسعة، لا نستطيع وزنها ولكن نستطيع رياضياً حساب وزنها بكونها قادرة على تكوين جزيئات تؤدي إلى تفسير الموجودات الظاهرة المرئية وغير المرئية كيميائياً وفيزيائياً، كما أن النقطة نقطة التقاء التقاطعات والتداخلات المستقيمة، بينما الذرة لا يمكن أن تكون كذلك، ويمكن أن نطلق على النقطة بأن نقول نقطة الصفر ونقطة التكوين لديها ذرات، هي عبارة عن مجموعات من الأجسام المتناهية في الدقة، وبما أن الذرة تعتبر أصغر جزء من العنصر توجد في حالة انفراد تتمثل فيها خواص العنصر وجزء من المادة فهي أصغر من المادة قابلة للانقسام مع بقاء حملها لصفاتها الكيميائية التي تدخل في التفاعلات، وهذا ما أخذ بنا لإيجاد الفروق بين الذرة والنقطة والصفر.

إذاً من هنا ننطلق، أي من نقطة البدء التي قدمت من السماء عبر قطرة ماء لتوجد الحياة منبتة الإنسان الحي بشكله العمودي والنبات بشكله العمودي والحيوان بكل أشكاله وأنواعه أفقياً، ولكن نبته عمودي ليبقي الجماد كحالة جامدة تُركت من أجل أن يعود الإنسان إليها ويستكشفها مستخرجاً إياها؛ بكونه متسلسلاً بجانب بعضه وشكل أنساقاً وأرتالاً متحركة بدأ معها مسيرته الإنسانية، حيث امتطى وحكم وشكم وقاد الموجودات سار بها ومعها منجزاً الدورة الحياتية المتكاملة، وضمنها يكون العمر الحياتي للإنسان وللحيوان وللنبات وللمواد المصنعة بعد استخراجها وتحويلها محدداً أي منحصراً ما بين الولادة والفناء.

نصل إلى أن التكوين الكوني ثابت، وكل ما ينجبه الثابت هو آيل

إلى الفناء التجدد والتجديد، وكل ما على الأرض أي كوكبنا الحي نبت منها واستخرج منها ضمن طاقتها الطبيعية وطاقة محيطها بكوننا نشبه البيضة، وقد يسأل أحدنا أن هناك كواكب أخرى؟، نقول عنها: إنها متهيئة ولكنها غير ناضجة بما أنها لم تحمل صورة حياة الكوكب الحي أي أنها لم تكتمل كبيضة لتنجب، وأيضاً طالما أن لكل شيء طاقة ومقدرة وقدرة على حمله فإن نظرية الصفر واحد تسعة متجددة حينما تعود عشرة أي صفر وواحد، ليتبيّن لنا أن المرور في سني التكوين الجنيني كي تحدث الولادة تشبه سني العمر الزمني للحياة الإنسانية، كما تتشابه مع الدورة الحياتية التي نقترب من نهايتها .

أعتقد أننا نحمل على كواهلنا إعادة إنجاب الفكر من الفكر المنجب في الأساس لماذا ؟ لأن ذاك الذي أنجبنا من فكره أراد لنا الاستمرار، كيف يتم ذلك، فهل هو الذي يطالبنا بالعودة إليه من أجل إعادة دراسة فكره، وأقصد به الإنسان آدم التكوين الأول الذي عاش في عقولنا احتراماً وخلقاً، ونوحاً الذي قدمه لنا من علوم الاستمرار؛ والذي حافظ من عقل آدم الأول على استمرار عقولنا كي نعيد إنتاجه،وحينما نقترب من النفاد الفكري ويتوقف الإبداع، أي نعود إلى حالة الانكفاء والاعتكاف وتقف عقولنا عن الإنجاب الإنجازي متحولة إلى حالة الهروب إلى الأمام لتجد أنها وصلت إلى نهاية المطاف، فتنتهي الدورة الحياتية وتفرغ من محتواها ويذهب كل شيء إلى حالة الفناء، والغاية أن نعود للتفكر من جديد حيث تبدأ بنا دورة حياتية جديدة كما كان البدء ويظهر نوح جديد

يأخذ بيد البحث والتفكر بإعادة إعمار الأرض، أي يعيد تشغيل الفكر الحاضر في الأساس والذي فقد كامل أدواته الحياتية، فيشعل النار من قدح الأحجار لبعضها ويستر عورته بأوراق الأشجار إلى أن يوجد الإبرة وينسل الخيط فيتعلم ضرورة وجود اللباس، ويبحث في البناء التكويني لينجز سكناً ومسكناً يلجأ إليه يتأمل فيه ليله ونهاره، ينجب يتكاثر يحتاج كل الأشياء، فيبني الوسائط يطورها رويداً رويداً يستكشف مع كل صباح شيئاً جديداً يسير به إلى نهاية دورته الحياتية يبقى منه بعضه القليل القليل يحمل عبء دورة حياتية جديدة .

إنني ألفت نظركم وأنا أقدم هذا البحث التفكيري بشكله التذكيري التأملي من أجل كوكبنا الحي؛ الذي يدعونا للحفاظ عليه حيث يخاطبنا قائلاً: إنني تعبت منكم ومن نهبكم لبعضكم ولي، فإذا تخيلنا الافتراض اللاواقعي أن الأرض محمولة على قرن ثور وتعب هذا الثور وأراد أن ينقلها إلى قرنه الثاني، ونحن في ذات الوقت نعيش على سطحه لا نستطيع أن نمسك بها بل هي التي تمسك بنا، ونقلها ذاك الثور في لحظة اهتزاز سنذهب جميعنا إلى الفراغ، أي حالة حدوث هزة أرضية عنيفة نتاج إفراغ محتوياتها أو اصطدام نيزك أو كوكب صغير بكوكبنا الحي، حيث ينشأ الدخان الكوني القاتل والفاني لكامل الموجود أو أن يذوب قطبا جليد الأرض، ماذا سيحدث حينما تنفجر الموجودات النووية بصواريخها وقنابلها التي صنعها الإنسان بذات عقله، ماذا سيحدث جراء كل ذلك؟!

هي دعوة للتأمل في ما وصلنا حقيقة إليه ضمن دورتنا الحياتية المنتهية لا محالة .

الاعتراف

تطهرٌ فيه القداسة، تبحث عنه الروح كلما أتعبتها آلام الجسد والفكر المادي اللذين يدفعانها لارتكاب الدنس المخالف لطبيعتها النورانية الساكنة في الإنسان، ومن أجل أن تعود للبشر صفات الإنسانية تظهر ضرورة الاعتراف بين الفينة والفينة، بكونه يملك مولد الحياة، والمراد منه أن يتجه إلى عالم الإعمار بكونه أعمر منها، وحينما تتأملها تقرّ باحترامك للحياة ليظهر منك أول اعتراف بأنها أوجدتك كي تكون مسؤولاً عنها، فإذا حدث واعترفت كانت لك الكرامة الإنسانية التي تميّزك عن باقي الموجودات، وفي ذات الوقت تتشكل لك هوية مضافة تتربع فوق حاجاتك الحيوية، لذلك نرى أن الاعتراف أكبر من الرغبات العابرة، وهو جوهر السلوك المتمتع بالآداب وجماليات اللقاء مع الآخرين، وفي ذات الوقت هو حاجة ضرورية حين حدوث التبادل مع الآخر؛ حيث يتحول تأثيره الإيجابي إلى حضور ذاتي نوعي مبهر ومحبب في آن، وهنا أتحدث عن الاعتراف الإيجابي الحامل للصيغ الإنسانية، والغاية منه إحداث التطور الاجتماعي والابتعاد قدر الإمكان عن الخطأ، الذي نقول فيه: إن الاعتراف بالخطأ فضيلة وشجاعة تظهر كردة فعل على ظلم وتجاوز لا منطقي، يشكل عودة لا إرادية لفهم الطبيعة الإنسانية.

عند هذه النقطة أدعوكم للتبصّر في الممارسات المادية واللامادية وكمية الارتكابات الخاطئة أو غير المفهومة أمام أي موجود روحي أو مادي طبيعي أو صناعي، وصحيح أن الإنسان العاقل طبعاً هو الوحيد من بين كل الموجودات الكونية يستطيع أن يعترف باستخدامه لحاستي النطق والإشارة بالكتابة، وهذا ما يميّزه بكونه قادراً على النطق الذي يحاكمه العقل حين حدوث النضوج العقلي وتحريض السلوك الأخلاقي في الداخل الإنساني .

أنتَ رجل وأنت أنثى: هل يمتلك كلّ واحد منّا المقدرة على الاعتراف، لنحاولَ أن نمرّ ببصيرتنا متجولين في عقولنا وباحثين عمّا اقترفناه بحق ذاتنا أولاً، وبحق الآخرين ثانياً، ولنحاكم يدينا وألسنتنا في سرّنا وجهرنا، فإذا استطعنا أؤكد على استعادتنا لأسس هيكلتنا الذاتية التي وُجدت فينا، كي نتفاعل مع الحياة بحبّ، ومعها نرى تصالحنا الضروري والذي بدونه لا تولّد لروح الحراك الإنساني ضمن الصيرورة الحياتية، نعم الاعتراف ينشِّط الذاكرة ويمسح الغشاوات المتراكمة والتي بها تعشش الأخطاء، فيظهر جوهرها بنقائه ويدفعنا للاعتذار من ذاتنا فنرمي بكامل الأقنعة جانباً لنعود إلى الحياة بقوة .

الاعتراف مساحة عمر جديدة ومصالحة ومصارحة كبيرتان يغسل بهما الإنسان الاتساخ الزمني من أجل دخول النور بعد أن حجبته ظلمة الخطيئة، فهو كلّ الوضوء الظاهري وتنظيف للداخل الإنساني يتوحدان من أجل حدوث الطهر المتجه إلى القداسة، كما أنه كمية الاحترام الساكنة في العقل الإنساني تقدم للآخر حال

وقوع الخطر أو بعد وقوعه عند تقديم الاعتراف، فتكبر شخصية المعترف ويكبر المعترَف له، وعليه نجد أن الاعتراف سلوك إنساني راقٍ يبدأ الإنسان به لنفسه ومن ثم للآخرين الذين ارتكب بحقهم الأخطاء اللسانية أم اليدوية، وأقصد بذلك كامل الاعتراف عدا الاعترافات الخاصة والتي لا يدري أحد عنها شيئاً سوى صاحبها، وأيضاً أعرّج على أن الاعتراف مقترن بالعودة إلى المسار الصحيح فبه تُصحّح الاعوجاجات وترمَّم الفجوات ويعود للبناء شكله الصحيح، نعم به تعاد الحقوق ويظهر الحق بعد غياب وتُختصر معه أيضاً الأزمان، ما أجمل أن يهيئ الإنسان لأخيه الإنسان مصدر سعادته في لحظة اعتراف منه له! بعد إشغال فكر وحدوث همّ متعب للآخر، اعترف لما تعتقد به إن أخطأت بحقه، اعترف لوالديك واعترف بهما، واعترف بأسرتك واعترف لها، واعترف لعملك إن لم تنجزه بشكل جيد، واعترف لمجتمعك لتكون جيداً به .

الاعتراف على أهمية قوته التي تحتاجه جميع القوى الكاملة في الجملة الإنسانية؛ والتي تخصُّ الإنسان وحده كما تحدثنا، فإنه في الحقيقة يحتاج القوة النهائية للنطق به، أستثني منه الاعتراف للإله المكوِّن وأسمّيه الاعتراف الخاص، كأن تعترف له أنك بحاجة لكل شيء منه، وهذا ما لا تستطيع طلبه من أيٍّ كان من البشر والإنسان، يأتيك الاعتراف الثاني للكاهن تحت أي مسمّى شرعي وديني وإلى أي كان انتماؤه، ومن ثم الاعتراف الطوعي للقضاء الاجتماعي، وهناك الاعتراف القسري للعسس تحت ضغط القرائن والتهم، وهناك الاعتراف للزوجة، ولا أعتقد

أن أياً كان يستطيع أن يعترف الاعتراف الكامل لزوجته بخيانته أو عدد عشيقاته أو ممارساته التي تخالفه فيها، إنني أتجاوز كل هذه الاعترافات مسلطاً الضوء على الاعتراف الذاتي، أي ما بين العقل والقلب الذي يولد العهد والميثاق، ويؤكد على عدم ارتكاب الخطيئة والخطأ بحق الحياة الموجود بها كامل الحياة، وأخصّ منها الإنسان والحيوان والنبات والجماد، لنحاول أن نعترف لذاتنا فتظهر ذاتنا أجمل وتسير الحياة بشكل أفضل .

الأنهار الأربعة

مربع يشكل قاعدة بناء الهرم الفكري أدعوكم للبحث والاستثمار فيه، وما أقصد مما أريد السير فيه هو الإفطار على مائدة الفكر الصائم وغير المتطلع أفقياً، أطالبه أن يستنير عمودياً ويتوافق منجباً الزوايا القائمة وفهم المقعَّر والمحدَّب اللذين يسكنان حدقة العين الناظرة، وغايتها تطوير البصر المنجز للبصيرة .

إن البحث في فهم المفاهيم والعلاقات والمعادلات التي تخص فكرة التفكر في الإنسان، وما يمتلك من آليات لا مرئية وأدوات مرئية ورموز تحتاج إلى التفكيك والتحليل غدت من الضرورة بمكان، حيث يدعونا دائماً وأبداً إليه بكونه عاقلاً ومتأملاً ومتفكراً ومحباً، وغايته من كل ذلك امتلاك العلم بعد امتلاك مكونات التجربة، كي يعلم ما لا يعلم، وزيادة نسبته في العلم الذي يأخذ به من المحيط الكلي الكامل ليعود في نتاجه إليه وله وعليه، فيرتقي من بين الكثرة بالحب

الذي بدونه لا يكون هناك نتاج وعلى كامل المحاور، وحينما يتفهَّمه يدخل مجتمع الصفوة المتكوِّن الذي يوصله إلى الندرة، فإذا استطاع الصعود كان ندرة الندرة، وفي هذه المرتبة تمدُّ له الأيادي الخفية طالبة العطاء والإفادة للجميع والمساعدة في نشر ما امتلك، والإفادة مما علم وتعلم وامتلك بعد أن مرَّ من كل ذلك، ومع كل الصعاب يصل جنان عقله الحاملة للأنهار الأربعة والتي هي محور بحثنا الفكري والتفكري، بعد تأمل فيها أجدها صوراً هندسية أُنجزت من قبل الكوني الكلي والمحيط ،انتقلت إلى العقل النسبي المحمول في الشكل الإنساني الذي اختص بخاصية التأمل في الكوني كي ينجز فكراً به علم ينتفع به وينفع، يأخذ بذاته إلى التصالح ومن ثم قيادتها على الطرق السليمة متحولاً إلى قائد للحياة وموجوداتها بعد امتلاكه للحكمة والموعظة الحسنة، أتجه إليها وغايتي فهمها بعد تحليلها وتفكيك ألغازها وتحليل معانيها ،أتوقف معها معدداً إياها وهي: الخمر واللبن والعسل والماء، أنهار جنان الخلد والتي تجري بها علوم الحياة من الأحوال والأسرار والفتح العلمي القادم من التأمل؛ حيث يلد الإيحاء المطوِّر للإنسان والحياة من الماء التي بها نحيا ونحيي ويُحيي.

ابدأ بنهر الخمر الأحمر، والخمر في القديم قادم من العناب أو التمر أو التين، ولذلك تمت استعارته في التشابه مع الدم الأحمر القاني الذي يسيل في الشرايين، لا يتوقف طالما أن الإنسان حي يحمل علم الأحوال حيث تجري فيه الصور المكانية المسقطة على الجسد الإنساني يظهرها مسير الوقت الذي يبدأ مع اللحظة أو رفة الجفن وحركة العين، ولا ينتهي إلا حين انتهاء الحال بالانتقال إلى

حال جديد أو البقاء فيه، حتى انتهاء الإنسان الذي سار به الزمن اليومي والأسبوعي والشهري والسنوي، هذا يعني أن التبدلات الحاصلة في الصورة ومنها: النجاح والفشل- الحب والكره- الغيرة والحسد- السعادة والشقاء -الولادة والحياة والفناء- الغنى والفقر- البطالة والعمل السيئ والجيد، وما بينهما جميعها لها ألوان تنضوي تحت علم الأحوال، ما هي إلا انعكاس لما يجول في جوهر العقل وخفقان القلب، هذا إن دلّ فإنما يدلُّ على أن المظهر هو حقيقة ما يجري في الجوهر الذي يكمن به علم ما يجري، فيظهر الحال كمعلوم يدل على الحالة والتي جمعُها أحوال، فالعلم لا يوجد إلا من خلال عالم أوجده حيث يغدو حال العالم العلم الدال عليه.

وحينما نستعير نهر الخمر (الدم) نعلم أنه عند درجة حرارة ٣٧ مئوية لونه لون الجسد الطبيعي، وحينما ترتفع أو تخفض أو يضطرب يظهر عليه علم الأحوال أي التلونات التي تظهر على الوجه وحركة الجسم كلما تطور الشراب تلونه كصورة تتطور فيها الألوان، فكأس تحدث النشوة والثانية تعطي الوجه الحمرة والثالثة تحوِّله إلى جمرة والرابعة تأخذ به إلى العالم السفلي عالم الشهوة؛ والذي به تشويه تام للصورة التي تخرج الألوان منها يجرفها النهر الجارف إلى البحر أو البحيرة حيث يختلط فيه كل شيء، وحينما يصحو إما أن يكون قد ابتلعه أو لفظه إلى الشاطئ أو أحياه من جديد بغسله له وإيقاظه مما هو فيه .

إن نهر الخمر الذي ذكر في الجنان ما هو إلا صورة في السماء حقيقة في العقل تتبادل الرمزية كي تنشأ التحولات اللحظية

التي يمر بها الإنسان، وذكره في جنان الخلد إسقاط من جنة العقل صاحبة العقل الكوني المحيط الكلي، والمعطي بالتفكر والبصر والبصيرة للأحوال أشكالها التي ترافق حياة الإنسان والانعتاق منها أو التوافق مع السماء، فهو لا يسيل بالخمر ويجرف ويبدل ويظهر إنما هو جمع جميع ما يمر به الإنسان في رحلة عمره المقدرة، يأخذ به إليه مظهراً من مزيجه المتكون من الحب والعمل والزواج الأبناء والبناء والمجتمع وجميع تخصصاته صورة الحالة التي تلبس الشكل الإنساني وانعكاسها عليه، نشبهها بصورة الخمر الذي يبدل ألوان الإنسان حين وقوع الحال في حالة من أحوال هذا النهر، فترتسم صورة ما يجري إليه المرء ومعه على وجهه وجسده نطلق عليه أن حاله مضطربة أو متزنة أو مختلة .

للأحوال عيون وألوان، كما أن مفرده حال وعينه تدرك أن قوة العقل عند الإنسان وحسن استثماره يطور الحال ويظهر المعرفة بألوانه، فالابتسامة الفرحة والابتسامة الصفراء والوجه المكفهر والوجه النضر والوجه الأبيض والوجه الأسود والعين البيضاء والعين الحمراء والإنسان الشفاف والمسموم والمكيود والطيّب والعاقل والسليم المعافى والمريض والمكشوف والعلني والعالم والمتعلم والفهيم والفقير والغني، وهذا يتأتى من إدراك أن الوعي المراقب للمسيرة الإنسانية يظهر كامل تبدلات الأحوال من حال إلى حال، وحينما نتدارس أحوال الحياة الإنسانية منذ آدم الرمز ونوح النواح المتجدد مروراً بكل ما مرَّ به الإنسان العقلي نعلم كم من الأحوال

الكونية مرت عليه، وكيف أن نهر خمره في عقله ومسيرته أخذ به حتى وصل إلى ما وصل إليه، وكلما شربنا واغترفنا من هذا النهر فهمنا معنى الحياة واختيار طريق الارتواء، من خلال تطور الذوق والمذاق أمام رائحة زهور الأفكار التي أنتجت في جنة العقل، وسكرت من بخار الروح نهر الخمر المتجول ضمن العقل يسيل عبر كامل تلافيفه، يسقيها لتزهر وتثمر أفعالاً إيجابية وبناءة تعلم بعضها بالإنجاز عظمة نهر الخمر الساكن في أعمق أعماق علم الأحوال، يفيض من عمقه مظهراً صورة العلم والإبداع .

بما أن الأرض على مسير فهي ليست على حال، والحال ليس له أساس ثابت يبني عليه المرء؛ بكون المحطات الأرضية كثيرة والجزئيات منتشرة، وتطور الأنماط المعرفية يتجدد مع تجدد الإنسان واختلاف نسب الوجود مع الموجود، نجد أن الاتصال يحتاج الوصل والوصل لا يتم إلا بين نقطتين، هذه المسافة المقدرة بينهما هي المسؤولة عن تطور الحال من ثبات إلى أعلى أو إلى أدنى، فلا يمكن للأحوال أن تستقر إلا بسكون الحياة والحياة لا تسكن، إنما الإنسان ينتقل من حال الحياة إلى حال الانتقال وهو نهاية علم الأحوال، حيث لا تجري بعدها أنهار، والذي بدأنا به نهر الخمر فلم يسكر في الأول حتى يسكر في الآخر وسكرة الولادة تشبه سكرة الحياة والسكرة النهائية هي سكرة الموت .

أما نهر اللبن فيعني الحليب بكامل دسمه من معنى نهر الذي فيه الجريان ، الحليب يجري واسمه في الأصل اللبن المستخرج من

الضرع بعد الحلب أو الإرضاع قبل تحويله إلى اشتقاقات، ونهر اللبن الذي أقصد هو علم الأسرار، مرتبط جداً بنهر الخمر الحاوي علم الأحوال والذي منه يشرب، وما يشربه ينمو به، يفعل منه، فيظهر لونه أبيض أو أسود مروراً بكامل الألوان ، النطفة البيضاء كاملة الدسم بكونها عصارة صلب الإنسان الذكر، تحمل الحيوان المنوي لبنيّ المظهر والتكوين الأول لبنيّ والبويضة لبنية، تخرج من بين ثديي الأنثى بيضاء وهي عصارة عظم الترائب في الصدر، واجتماعهما يكوِّن الجنين الذي يرتبط بالحبل السري وهو لبني أيضاً يأخذ منه اللبن، المخ لبني والبصلة السيسائية والنخاع الشوكي الشكل والمضمون لجميعهم لبني، نهر المعلومات تتجمع فيه الجينات والعناصر المورثة وفي ذات الوقت هو مخزن معلومات يتجول مسؤولاً عن إعطاء الأوامر للأعضاء والأجهزة الجسدية في الإنسان داخلاً وخارجاً، يلد الجنين يرضع اللبن وينمو عليه إلى حين، وكامل المخلوقات الحية تبدأ كمرحلة بدء الإنسان من حيوان ونبات .

نهر اللبن فيه الذواكر التي تحفظ وتسجل وتؤرشف وتكرر وتحذف وتقبل التطور والتخلف تقدمه إلى علم الأحوال، إنه تجهيزات قابلة للحضن والاستقبال والتطور بعد معالجتها بالحكمة والعلم التي هي في الأساس من مكوناته، فهو علم دافع للتفكر والتأمل من أدواته تعود عليه لتعطيه علماً، فيغدو به مضاعفاً يتميز ويظهر خمره بعد تخمّره معتقاً من نهر الخمر الذي لا بد أن يمر به كي يحدث له الألق، وهو لون من ألوان علم الأحوال السائل في نهر

الخمر، فإذا لم يشته الإنسان لبن عقله الذي قدم منه وهيأ له المكانة اللائقة كان حضيضاً بشهوته وبقي دوناً في عالمه الذي لا يمكن له فهمه إلا بعد أن يشرب منه .

نسير معاً، نصل إلى التأمل كي نشرب من نهر العسل، حيث يحدث معنا الفتح العلمي القادم من الإلهام، وحينما أوحى الربُّ إلى النحل لتتخذ من الجبال بيوتاً قصد التأمل بها وبصناعتها وكيف أنه ألهمها صنع خلاياها المسدسة والمثمنة وآلية تحويل رحيق الزهر إلى سائل فيه منافع ولذة عظيمة، صفاؤه رائع ولونه أروع وطعمه حلو ورائحته جذابة مثيرة، فما معنى أن هذا النهر اختص بالإيحاء الذي يكمن به الإلهام؟ يأخذ بنا إلى عالم تكوين العلم في نهر الأسرار، أي نهر اللبن الذي يحضن بعلمه وأسراره كامل علوم الإلهام التي يحولها الإنسان إلى عمل ينتفع به وينفع أخاه الإنسان ، لماذا نهر العسل هو نهر الفتح العلمي الذي يكمن به الإيحاء والوحي والإلهام، وهل يكفي كل هذا دون السعي لفهم طريقة صنعه والطيران خلف النحل لمعرفة كيف تبني بيوتها ومقايسة المسافات والمساحات والاختيار والتدقيق والتمحيص وتحليل كل ذلك، ألا يدعونا هذا النهر لفهم مكونات التجربة وإعدادها الإعداد الصحيح، فما معنى أن يكتب بوذا تعاليم كونفوشيوس، وزرادشت أن يدرك ماهية النار، وأن يوحى إلى موسى بالسير بعباده وضرب البحر بعصاه، وأن يعطى لبولس رسائله وحياً بعدم الخضوع لبعل المصطنع، وما معنى أن يوحى إلى نوح أن يصنع الفلك من رؤيته؟ .

إنني أعتقد أن الوحي هو الفكرة المتجلية في الإلهام؛ والتي

تحتاج الإبحار في نهر العسل والاجتهاد من أجل تحقيقها كي تصل الهدف، فإن حدث هذا مع توفر الجهد والاجتهاد كانت الحقيقة في أبعادها العمودية والأفقية، بكون الوحي والإلهام عمودياً، والتفكر والتفكير والرؤية التي تسكن فيها البصيرة والبصر أفقية بكونها محيطاً، وإن الشرب من هذا النهر هو دلالة على فهم صناعة الحياة القادمة من تحويل الرحيق الذي يمتصه النحل بطرق علمية دقيقة وتنوعات الرحيق من رائحة التراب وتحويله إلى طين إلى رحيق أزهار الجوز واللوز والتين والعنب والعناب إلى عسل شراب فيه لذة للشاربين، والشاربون هنا تعني متذوقي العلم القادم من التأمل والتفكر وطلب التعلم ومن ثم الإبحار في نهر العسل بالرغم من لزوجته وحلاوته الفائضة، فمن منّا يستطيع شرب الكثير منه بكونه علماً وهو اختصاص أهل الخاصة وخاصة الخاصة .

هذه الأنهار الثلاثة مركبة في الأساس من الماء القادم من ذاك النهر العظيم نهر التكوين، حيث الإنسان يشبه الكرة الأرضية في كل شيء، فثلثاه ماء وثلثه يابسة وعليه كمكون لمتكون نقول: إن نهر الماء هو الحياة، وكوكبنا الأرضي لم يحمل اسم الكوكب الحي إلا بوجود الماء، ولولا الماء لما كانت الحياة لأي كائن روحي أو مادي، وحينما نتدارس أساس نهر الخمر أو الدم الذي به علم الأحوال نجد الماء مكوناً رئيساً، وكذلك اللبن وأسراره والعسل وبنيانه، ندخل إليه وعليه فنعلم أن وحيه وإيحاءه وإلهامه لا يتم إلا بعد أن تنفصل القطرة من بحرها تتجول تتأمل تتفكر تعلم أنها عائدة إليه لا محالة .

الماء حياة وكما ذكرت في مقدمة البحث نحيا ونحيي ويُحيي كل شيء به، فهو حق والحق هو المكون الحافظ لأسرار الحياة ووجودها، انقطاعه نهاية ووجوده بدء واستمرار.

لنتفكر ما مصير الجنان العقلية والجنات والبساتين الأرضية، كيف كانت جنة عدن وكيف سيكون الفردوس الموعودون به، وكيف ستنمو الأشجار وتزهر وتثمر والنبات والضرع، هل كان لشجرة الحياة المحيطة بالشجرة المقدسة أن تحمل تلك القوى السرية الروحية والمادية، وللإنسان أن يحيا بلا نهر الماء المكون لتلك الأنهار الروحية غير الملموسة في المخلوقات الحية والمادية المشاهدة والملموسة في الحياة المعاشة، أليس كل ذلك يدعونا للتأمل والتفكر؟ هذا المركب من ذرة الأوكسجين وذرتي الهيدروجين ليعطينا الحياة؛ والذي لم نستطع أن نركبه فقط من قدرته على إحيائنا أعطانا قدرة تحليله لا تركيبه، منه نستنتج أنه أس وأساس كامل الأنهار المكونة لجنة العقل وجنة الفردوس الموعود، وجنة الخلد الافتراضية في جنة العقل تنمو شجرة المعرفة بالتأمل بعد امتلاك البصيرة والبصر؛ الذي يحوله إلى تفكر وعلم يشتغل به، وفي جنة الفردوس نمت شجرة التين التي أنزلت الإنسان من جنة العقل إلى جنان الأرض، وجنة الخلد تنتقل أنهار الخمر واللبن والعسل والماء إليها، تتحول إلى هيولى مرئية ولا مرئية فاعلة دون انفعال خيال دون واقع، وكل هذا يعيش من النهر المكون لتلك الجنان إنه نهر الماء مكون الألوان ، تسألني أجيبك: الماء شفاف لا طعم ولا لون ولا رائحة يسقي التراب، فيخرج منه الإنسان والحيوان والجماد والنبات

والأشجار والأزهار، وجميعها لها ألوان قادمة من نقطة كونية تحمل نطفة بيضاء تتحول إلى إنسان أبيض أو أحمر أو أصفر أو أسمر أو أسود أو بذرة أو أساس ذات اللون الترابي مهما كان لونها، فهو أيضاً مصدر لونها ليخرج منه ثمر أحمر وأصفر وعنابي وأخضر، وكامل ألوان الورد والثمار قادمة منه، فكيف به يصنع كل هذا؟ وحينما ندرك أن وجه المحيط الكلي صاحب العقل الكوني المعطي للنسبي الإنسان والنباتي والحيوان نسب عقله المتكون، أعود إليه أجد اسمه الأعظم يرفُّ على الماء وعرشه محمولاً، ونحن الإنسان لن نستطيع أن نمشي على الماء وإنما نُحمل بواسطة الفلك، وبالفلك كل شيء يسبح، والسباحة لا تكون إلا في الماء، والهواء جزء منه ماء مهما كان نوعه ومسيره وقوته .

ما معنى الكلمات المقدسة الواردة في الكتاب المكنون (وجعلنا من الماء كل شيء حي) (وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً) ورودها في العهد الجديد (أنا عمدتكم بالماء) (حيث صنع الماء خمراً) (والأرض بكلمة الله قائمة من الماء وبالماء) وفي العهد القديم يقول (فها أنا آت بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء كل ما في الأرض يموت)، الماء نهره وبحاره ومحيطاته أسست نظم حياة الكون الإنساني على كوكبنا الحي الذي لولاه لم تكن هناك حياة، فهو حاضنة الأنهار جميعها ودافعتها، ولذلك هو نهر الحياة أسس لوجودها وهو القادر على إنهائها بالطوفان، أي حينما يفيض ويتسارع ويرتفع تتحرك أمواجه تلطم كل شيء لينتهي كل شيء في الحياة الكوكبية، وحينما

ينفصل الخمر يتحول إلى مصل، واللبن يتبخر أيضاً ليمصل ويتعفن، والعسل يتحلل، يجف الماء متبخراً، يتحول الإنسان إلى رماد ومنه إلى تراب بعد أن يكون قد سار بقدرة أنهاره الأربعة إلى شواطئ البحر في دورة حياتية قيامته نهايتها وبداية جديدة ، هذه الجملة المعرفية التي حاولنا الغوص في أنهارها الأربعة ما هي إلا جزء يسير من المكنون المعرفي الساكن في ظاهر وعمق الإنسان، والذي لم يكتشف منه حتى الآن إلا النذر اليسير، والإنسان كمصطلح وحقيقة وحقائق علمية اعتبره أساس كامل العلوم وجامعها ومنتجها ومسوِّقها، وأيضاً المستفيد في الناتج النهائي منها، يقضي زمنه المقدر بحثاً بها وعنها، وحينما يجد نتائجها تعيده إلى بدء البحث عنها كي يقدم نتائج جديدة له ولها، أي للحياة والتي أوجدته يعود في رحلته ليوجدها .

وإن ربط الروح بالمادة هي حالة التصالح مع الذات التي نسعى إليها من أجل خلق الشفافية التي ترينا ما بجوهرنا، فنعلم ما لم نعلم ومن ثم ينقلنا هذا العلم إلى المحيط الكلي، فنرى ما لا يستطيع المختلف مع ذاته رؤيته، هنا تتجلى قضية الالتقاء وعدمه وما بحثي الذي سرت فيه حول الأنهار الأربعة إلا مقاربات فكرية تأملية، غايته الوصول إلى فلسفة التكوين الفكري والاشتغال عليها حيث بدونها لا نمتلك أدوات الانتقال، ومعها يحدث تنظيم نوعي للوعي المتجول مابين العقل والقلب، ما بين الحب والعلم، ما بين الروح والمادة، ما بين الجوهر والمظهر حيث تظهر مسارات الأبحاث الإنسانية التي تنجز التطور الفكري .

الاعتقاد

يحمل قوة التأكيد على معنى امتلكه مادياً أو روحياً، ماذا تعني لك هذه الكلمة؟ وحينما أسألك بماذا تعتقد كيف ستجيبني، وهل يمتلكه من يتجه إليه بعد الاطلاع على أساسه وبرامجه وغايته، وإلى أين يريد أن يصل به، وهل يحقق له الامتلاء، بكونه يمتلك الفراغ الفكري ليبحث عن الاعتقاد، أو أنه وصل إلى مرحلة الإشباع والملل فيسعى للتغيير والانحراف، أم أنه واجب يدعوه لأن يكون حاملاً لرؤية يعتقد بها ينادي بها وينتصر لها، وما هي علاقته بدراسة الأفكار الإبداعية القادمة من أهل العلم لما لا نعلم، نبحث بها فنعلم ومن ثم تصبح عقيدتنا بعد فهم عناوينها الجذابة والبراقة، نختار منها ما يتوافق معنا مع فكر تسكنه نغدو لها تابعين أو مطورين .

الاعتقاد في اللغة قادم من العقد أي نقيض الحل، واعتقده كعقده واتحد معه وتعاقد عليه، متوافق وموافق على ما اختاره، كما أن إعطاء الأوامر لا يتوافق مع الاعتقاد إنما توجيه كلمات: يجب، وينبغي، وإليك، ويقع على عاتق، يتم لمن يمتلك الاعتقاد في تنفيذ ما يملى عليك ويوجه إليك ،فإن لم تمتلك القدرة في الاعتقاد على التوافق ومن ثم التنفيذ فكيف بك توافق على العقد الذي به الاعتقاد .

إنه عنوان عريض، نسأل بعضنا بماذا تعتقد وأي نهج اتخذت بكون الاعتقاد يعني أيضاً (الاتخاذ) لتظهر به صورتك الفكرية

القوية؛ تسقطها أمام الآخرين فتحدث رنين صلابتها لينتبه المحيط، وشدة آثارها يتلقفه البعيد والقريب لا تخضع للانكسار إنما تقبل الحوار و به تنتصر، وعليه هل هو اختصاص أهل العلم والفهم، وماذا يعني الانقياد خلف معتقد لا تتفهم جمله المطلوبة منك أن تتشربها، وفي الأساس لست قادراً على امتلاك فكرة الاعتقاد الخاصة بك والتي تُطلعك إذا امتلكتها على ذاتك فتعلم أي نوع من أنواع الاعتقاد تعتقد به سلباً أم إيجاباً .

وحينما تعتقد أنك تستحق النجاح وتعمل له تنجح، وإذا اتخذت الثقة بذاتك شعاراً لك وخاطبتها واعتقدت أنك تثق بذاتك فتثق بالآخرين، وحينما تجري بحثاً بغاية تقديمه إلى المستقبل وامتلكت الاعتقاد بأنه سينقلك إليه من خلال اعتقادك بالماضي على أنه جبل تستند إليه معرفة وعلماً انتقلت من حاضرك وبقوة، وإذا لم تمتلكه ولم تعمل به فلن تعمل ولن ينجح عملك، أو إن عملك لم يمتلك قوة النجاح بما أنه لم يمتلك قوة الاعتقاد في تحقيقه، وأيضاً إن لم تعتقد بأنك بحاجة إلى التكوين الأسروي لن تمتلك الأسرة المكون الرئيس للمجتمع الذي تعود إليه لتعتقد به مؤمناً بأن به أرضك وعرضك، وعليك يقع عاتق حمايته وفي النتيجة حمايتك حيث يحميك تخاف عليه فيخاف عليك تتخذه موطناً فيتخذك مواطناً.

لقد امتلأت الأرض بالبشر فانتشرت الاعتقادات بينهم وكثرت، وبعد أن تمجدت المعتقدات السماوية وظهرت بعدها الوضعية والثقافية والاختراعية ونبتت الأفكار من العقائد الثقافية

كالشيوعية والرأسمالية والاشتراكية والاجتهادات فيها حيث حملت شعارات اليمين واليسار ويسار الوسط ويمين الوسط واليمين المتشدد والحمائم والصقور والإيجابي والسلبي، تعبت البشرية فأتعبت إنسانيتها التي أخذت تشعر بالألم الفكري الذي تخلى عن جمل الحب والعواطف والسلوك الجيد ،واتجهت إلى الاعتقاد بالمادي ومنتجاته وزيادته متجاوزة كل القيم والمبادئ الحافظة لمسيرته، واليوم تبحث البشرية عن معتقدي البهجة والفرح اللذين يسكنان الحب والذي ينبغي علينا أن نعود إليه ونتحد معه عاقدين العزم للتخلي عن معتقد التشاؤم.

أصل إلى الاعتقاد الرئيس والذي علينا أن نتملكه، وهو معتقد التصالح الذي تحدثت عنه في سياق حديثي عن الاعتقاد المنجب للحقيقة التكوينية وأسباب وجود التداخل الإنساني والمهمات الملقاة على عاتقه، يتكون بها كامل الاعتقاد الذي يبعد الشر وضرر الإنسان لأخيه الإنسان وللطبيعة التي يسكن بها النبات والحيوان والجماد .

إن الاعتقاد الوحيد الذي يوصل الإنسان إلى ما يريد هو الحب، والحب وحده إن تناغم مع أي موجود ملك اليقين وشكله الاعتقاد به علماً كان أو أدباً، فلسفة تطالبنا بتوحيد المظهر مع الجوهر من أجل اللقاء مع الآخر والاعتقاد يقول: بدونه لا وجود للحياة ولا استمرار لها .

الحــــق

يسمو على الواجب، يعلو ولا يعلى عليه بكونه ينفي الباطل بوقوفه وحضوره كضد بمرتكزاته القوية أمامه وخلفه، يحيطه من كامل جوانبه حتى يسقطه ويظهر عليه بتغلبه على الخصام، وتحويله إلى تصالح من خلال عودته إلى صاحبه، شكله السعي للحياة الإيجابية التي لا لبس فيها، فالواجب التزام أخلاقي فردي والحق يستخدم فيه الإنسان حينما يفقده كل ما يمتلك من أدوات بدءاً من الحوار والسلوك والأفكار وانتهاءً بالقتال من أجل انتزاعه.

كلمة أزلية موغلة في القدم أعتقد أنها تسكن البداية والنهاية، بكونها تحمل حق الحياة وحق الموت، ولذلك تطالب به البشرية فرادى وجماعات في حياتها، وتكرهه حينما يحمل اسم الموت (والموت حق) قالها أصحاب الرسالات الخالدة المكرمون في الأرض والسماء ، تعتبره الفلسفة من أهم مكونات السلوك الإنساني، لا بل هي وجود الإنسان في أسبابه الموجدة له وبها تبصَّر فأدرك أن الحق ليس غايةً بذاته، بل اعتبره وسيلة أوجد لها أدواتها كي يستعيد الإنسان حقه حينما يفقده أو يُستلب منه أو يُعتدى عليه، ومنذ لحظة حدوث أمر كُنْ، أي حقيقة ولادة الحق في داخل الإنسان حيث يحدث

ظهوره في أمرين: طبيعي فطري، ومنها الحق في الطبيعة الإنسانية واحترامها وحق الحياة وحماية بقائها وحق المعرفة المرتبطة بالفهم والتعلم وحق الحرية في اختيار العمل والمعتقد، ومساحات الحرية في الانتماء إلى الأرض والأسرة والمجتمع والعرق والحياة الكريمة، ومن ثم الدفاع عنها كحق من الحقوق الطبيعية الفطرية، يستأثر به الإنسان ويحميه ضمن آلية حدود الحرية الشخصية التي ولدت معه بحكم طبعه الاجتماعي الذي سبق حقوق ظهور تكوين الأنظمة المشكلة للدولة، ومن ثم ومع الكثافة السكانية الهائلة، وضيق المساحات الجغرافية، وحدوث التنافس الشريف وغير الشريف، عاد شكل الدولة ليوجد قانوناً ينظم الحقوق مظهراً المعنوي المتابع والحافظ للقيم المادية، حيث تغدو علاقته بتبادل المصالح وحدودها والتجاوزات الواقعة عليها؛ والتي بدورها أنشأت وأوجدت الخصومات التي تستدعي الحق والذي يعني في أحد معانية الخصومة ، ومعنوي ذو قيمة مادية ومعنوية زمانية ومكانية له علاقة بتبادل المصالح وحدودها، ومع التطور وظهور السلطة الدينية والاقتصادية والسياسية أُنشئت للحق سلطة أقرها القانون ومنحت له حمايتها، وفي ذات الوقت طالبته بالحماية وعندما أقرّه كوسيلة نافياً عنه الغاية انتبه إلى أن استعمال الحق المفرط يؤدي إلى استباحة الأهواء والرغبات الفردية للحق بقصد أو بدون قصد، وتسحبه ليتخلى عن السلوك مطورة فيه الأنا السلبية، وأيضاً ضرورة وجود التعريفات والتشريعات والمفاهيم التي ترسم مسارات

الحق، وتضبطه لتحمل غايات الاحترام والاستقرار ومنع الإساءة في استخدامه، كما أنها تنجز تعايشاً سلمياً فيه الأمان والاطمئنان وفهم حدود الحرية .

إنه مساحة السلوك الكبرى التي بها يكمن النصيب الواحد للفرد أو الأسرة أو المجتمع أو الدولة، تنضوي تحته كامل المحاور الحياتية، وهو ملك شخصي يعود على الشخص بامتلاكه له، من شروط تحقيقه اجتماع مالك الحق ومكان الحق، أي أين ومتى يكون لنا الحق، والمطالبة به ضرورة، فالحق لا يضيع طالما أن هناك من يطالب به يتابعه حتى وإن غادر صاحبه أو اختفى، فإنَّ هناك مراقباً كلياً لا يرضى عن ضياعه، يشير إلى أهل الحق والمحافظين على الحقوق أن هذا الحق هو لذاك الذي ارتحل، أو لذاك الضعيف وإن هذا اغتصبه فيحمل إثمه مدى الحياة،فهو عنوان لمعنى الحياة ووجودها .

يحتاج الحق للقوة الإيمانية الكبرى والإرادة التي تتفهم الإدارة لجمل السلوك الإنسانية؛ والتي تمنع التعدي على الآخر وتمنح له الاعتراف بأنه موجود، وأن لكل إنسان حقه يمارسه في الحقوق والواجبات المتكونة، بدءاً من الفطرة المولودة معه مروراً بمرحلة التعلم التي تحوله إلى معلوم به، فإن تجاوزه تجاوز الحق وغدا تسلطاً ،فهو أساس العلاقات الإنسانية وأساس العلاقات الاجتماعية، وتبادل هذه العلاقات الفردية والجماعية مع حقوق الوطن والمواطنة، فهم يلتئمون جميعاً ضمن هرم تشكيل الدولة؛ التي تضبط معايير العلاقات المعقدة بين الأفراد والمؤسسات وبينهم.

المظهر والجوهر

ينبغي علينا أن نتفق وأن نقر بأن أيّ مظهر له جوهر وأيّ جوهر له مظهر كعلاقة الهوى حينما يهوي من العقل إلى القلب، وعلاقة البدن وما يحتويه بالروح أو الذات، ووحدة الموجود مع الواجد، والتقاء المحب مع الحبيب، والمريض مع الطبيب، والعاشق مع العشيق، والزوج مع الزوجة، والسماء مع الأرض، وعلاقة العقل مع القلب، والفكر مع التأمل، والعلم مع العمل، والجزء حين ينضم إلى الجزء لينجز الواحد التسلسلي. إذاً هما اتحاد لا انفصال لهما، يعيشان في استمرار لا انفصال لهما ضمن المعادلات العلمية بأبعادها، والمنطقية وفلسفتها، والرياضية واشتقاقاتها، والكيميائية بعناصرها، والفيزيائية بظواهرها المرئية واللامرئية، يدعونا للتوقف عنده محاولين تحليله لنصل إلى أجوبة تطرح نفسها على الأسئلة الكثيرة والتي تنادي جميعها لفهم هذه المعادلة .

الكامل الكلي المحيط الأزلي السرمدي المكون لنتكون، جوهر عقلنا الباطن يعيش بالإدراك المبحوث عنه في صور الأشياء المشاهدة والطبيعة والماء والسماء وموجوداتها، فكان منه ما يجب أن يكون، لكل مظهر جوهر ولكل جوهر مظهر، حتى الجواهر اسم صورة لجوهر، مثلما الإنسان صورة كن القادمة من آمر التكوين الذي اتحد معه بعد أن أنجز صورته، وبما أن الإنسان صورة الكون يعود الكون إليه فيكون جوهره، وبمعنى أدق إن جوهر أي شيء هو

أوله، أي نقطته التي نشأ منها حيث تتشكل منه صورته، والجوهر لا حدود له ولا قياس ولا يقاس، وهنا مكمن البحث فهو أدق من أي شيء كما أنه أكبر من أي شيء لا تستطيع مسكه وحتى لا يمكنك النظر إليه، إنما يعيش ويُرى بالإحساس العقلي وعن طريق الحواس الناقلة لمعنى جوهر الشيء أي شيء، فهو حقيقة وخيال، أي مرئي في وجوده الكلي عميق في داخله التكويني، حتى لو قمت بتقطيعه أو فصله ترى أجزاءه وذرّاته وبناءه الداخلي دون أن تلمس ذاك الشيء الذي يطلق عليه الجوهر، بل تدركه بعقلك العلمي المتحد أيضاً مع الفهم الذي يحقق القدرة على الاعتراف بأن لأي مظهر جوهر، ومنه يكون المظهر مسؤولاً في كليته عن تحديد اسم أي جوهر، كأن نطلق على اسم الحديد من خلال مظهره الذي يكمن به الحديد بخاصيته أي بجوهره، فإن قطَّعته تجده حديداً، أما إن حللته فستجده مركباً من شبكة بلّورية منتظمة، فتقول: إن هذا جوهره دلّ عليه من مظهره، وفي ذات الوقت لا يمكنك مسكه بل عقلك استوعب فكرة جوهره، وكذلك الذهب والحجر والشجر والنبات والحيوان، والإنسان بشكله الحالي صورة آدم من اسمه الترابي وجوهره الكوني، يبحث طيلة رحلة الزمان والمكان في نقطة البدء التي اعتبرها الجوهر وصورته التي وصل إليها .

إذاً، كيف تم تحديد أسماء كل تلك الموجودات جماداً ونباتاً وحيواناً، والمصنوعات المشغلة في العقل الإنساني كجوهر ليظهرها الفعل كمظهر، وكيف عرف جوهر كلِّ مفردة منها فتمايزت بأسمائها التي أُطلقت عليها وكيفية تسميتها، ومنها مثلاً الديك يصيح

والدجاجة تنقنق، فهل حدث هذا من جوهر الديك بصياحه أم من صورته المرتسمة في العقل كديك؟ إذاً ما هي علاقة الصوت بالخيال الواقعي الذي يستدعينا إليه حين سماعه لنحدث التمايز بينه وبين أي شيء آخر مرسوم يختلف عن صورة الشيء وجوهره المتكون من خلال حاسة الصوت القادمة، وأيضاً الذي يميز صوت السيارة عن الطائرة عن القاطرة عن السفينة، وطالما أن الجوهر يعيش في عمق الشيء على شكل نقطة يمثل مركز الدائرة وبدونها لا وجود لها، فهل يمكننا اعتبار محيطها الخارجي جوهراً مؤلفاً من نقاط متلاصقة تبدو للعين أنها متصلة ؟ أي أن أي مسار أو مظهر ما هو إلا تعبير عن اتحاد النقاط القادمة في مجموعها من نقطة، أو نمو النقطة ذاتها وظهورها بحجمها الكبير، وهي في الأساس جوهر، فتكون جوهرَ باطن وظاهر كالذهب مثلاً ،أما الألماس فله جوهر كربوني ومظهر مصقول، إذاً له صورة مختلفة عن جوهره، والإنسان أيضاً صورة مختلفة عن جوهره، فإذا خرج الجوهر فني المظهر بكامله، هل ينطبق هذا على جميع الموجودات، وهل الجوهر نقطة أم واحد أم كلي أم محيط، وهل الجوهر كالطاقة يتحول من مظهر إلى مظهر .

بالطبع هي أسئلة تأخذ بنا إلى توحيدها في سؤال عن حالة خروج الجوهر على الجوهر، حيث نطلق عليه المظهر في حالة المنعكس من الشيء وعلى الشيء ذاته ومن ذاته، فهل يمكننا الاستغناء عن المظهر؟ فالإنسان الذي أخضع بتفرده العقلي الجوهر الكلّي الذي أنتج الطبيعة الظاهرة ضمن جملة التكوين الحياتي المحيط به،

حوّله بعد ذلك إلى منطق وفعل وعمل وسلوك؛ بعد أن استوعب أن له عقلاً قام باستثماره ليعطي الأوامر إلى أدواته (الحواس الخمس) زائد الحاسة العاقلة والناطقة ورتّبه كأول الموجودات معترفاً أنه بدء، فبدأ رفعه حيث اعتبره (أي الجوهر) فوق كل المقولات ونزَّهه بكونه نَسبه إلى أصل الأشياء، وجعل منه شفافاً كامل الدقة متيقناً أنه جوهر وبنى منه وعليه كل ما أراد أن يصل إليه بالهيولى، حيث قطع أشواطاً بعيدة في الوصول إليه من حيث وصل، وكل هذا تم بعد أن امتلك الإدراك بأن المادة مظهر منظور من حاسة النظر؛ حللها في عقله العلمي الذي امتلكه بالتعلم نتاج التأمل فأدرك جنسها ونوعها، أعطاها اسماً ورتبها في ذاكرته ليعود إليها بكونه فهمها وتفهَّمها .

إذاً المظهر صورة الجوهر، ولكل صورة جوهر، حتى اللوحة الفنية وعلى الرغم من ظهورها كصورة نسأل من رسامها والذي هو في الحقيقة جوهرها المنعكس عليها، وفي حالة وجود التباين بين المظهر والجوهر يبقى المنبع لهذه الوحدة واحداً تدل عليه الحواس، فالتفاح أحمر وأصفر فإن جوهره طعمه الذي يدل عليه، وكثيراً ما نراه في منتج النبات أما المعادن والجماد ففي مقطعها صورة واحدة يدل عليها تحليلها الكيميائي وخواصها الفيزيائية- كما ذكرنا، وحين ذكر الإنسان نصل إلى الهيولى حيث نتوقف عندها نرى جوهره في ذاته الهيولية، فإذا ارتقت عقلياً وعلمياً وفكرياً ارتقى فوق كل الموجودات وحكَمها، وهنا ندرك أن العلة في الوحدة أي وحدة المظهر مع الجوهر، فإذا عدنا إلى الحديد وجدنا لا علة له

ولا هيولى بكونه مقطعاً كاملاً، ولذلك تكمن به القوة المتمكنة منه لكنها لا تمتلك طاقة الفعل وليس لها اختصاص الجوهر بكونه منعكساً على الصورة بالقوة الكامنة والظاهرة .

لقد تحدث الأقدمون ممن سبقوني في الجوهر والصورة التي اعتبرها المظهر كثير منهم، وأدع لكم الدخول عليهم وإجراء المقارنة بحكم المسير الزمني والتطور العقلي المطور له، مما قالوه: إن الجوهر هو الذي يجاب به في جواب (ما هذا الشيء)، هكذا قال ابن رشد أما أرسطو فحلل الوجود إلى عناصره المكونة له وإرجاعه إلى علله هناك قال عنه: إنه ماهية تنطلق منها جميع الموجودات وسأل عن التطابق بين الماهية والوجود، وقال عنه إنه الحد ومحدد كطرف من أطراف الماهية، هذا يقودنا إلى تعريف الصورة والماهية والهيولى ونقطة البدء ومركز الأشياء ونقطة انطلاق أي شيء، بدءاً من الكون وانتهاءً بأصغر الأشياء في العودة إلى الذرة والحبة والنطفة والنقطة أي (الصفر)، أضيف أنا: هل للأفكار جوهر؟ أقول: نعم، إن العقول جوهر فمن أين إذاً أتى جوهر العقول هل هو كامن؟ سؤال أرميه إليكم فتتولد الأسئلة في الغذاء، من أين يأتي جوهر الغذاء؟ إذاً من العقول التي فنيت ودفنت في الثرى، أي ممن سبقونا، ومن سبقونا من أين كان لهم كل هذا ؟ من المساحات الواسعة التي أوجدت التأمل فأنجبت الفكر للعقل، وكيف كان كل ذلك من الحبة، والحبة أساسها النقطة، إذاً من أين أتى للحبة الجوهر أمن الهيولى؟ فلنعرف الهيولى ببساطة ونتابع :

الهيولى جوهر الأبعاد السداسية التي لا نرى منها إلا (الأبعاد

الثلاثية) أي الأمامي والجانبي والعلوي، هنا نسأل أين هي الأبعاد الثلاثة اللامرئية ؟ إذاً علينا أن ننتقل إلى العالم الافتراضي كي نتحقق منه، وإذا كان السطح يقبل القسمة من خلال الطول والعرض والجسم يتقبل أبعاد الطول والعرض والعمق، والمحاور تلتقي في النقطة التي أنجزت هذا الجسم أو ذاك السطح، فنعلم أن الهيولى هي الجوهر القابل للصورة تكمن فيه القوة اللامتناهية والمبتدئة من النقطة، لا يقوم فعله إلا بقيام صورته وبما أن الجسم مركب من المادة والصورة فالجوهر هو ذاته، أي حقيقته اللامرئية فعله القائم على وجوده، فالهيولى هي نقطة الوجود وفي ذات الوقت معناه الدفين الأصل لكل شيء، فيكون هو الجوهر بقوة صورته الظاهرة، وبما أن الجوهر البدء ليس له صورة، إنما هو فكرة تأملية تعيش في العقل الإبداعي من خلال التأمل الذي ولده وحوّله إلى فكرة أنجزت العلم به، سرنا إليه حاملين إياه كجوهر لا مرئي ندرسه ونتدارسه ونتناقله وننقله في الحالة المعرفية كشاهد إثبات في حقيقة حياتية تسكن كامل الموجودات .

أعود إلى ماهية الصورة وإسقاطاتها الأولية القادمة من حاسة النظر إلى الطبيعة، حيث تنعكس صورة المرء على رقائق الفكر المتجمعة من الشبكية، مشكلة الوعي الجمعي الأولي متحفظة على الدور الوظيفي للعقل التخصصي التفكري؛ الذي تمتلكه خاصة التخصص بالإنسان، فالنظرة إلى الصورة هي تطلع إلى منتج مصنع جاهز كامل المواصفات لا يقبل التشكيك، بل يقبل البحث والتمحيص بكونه لا يمتلك صناعة إنسانية، والذي يصنعه الإنسان

هو تقليد للمصنوع الروحي. وأنا هنا لا أحلل بغاية خلق جدال روحي إنما أحاول إثبات العلاقة بين الجوهر والمظهر، والتطلع إلى هذا البنيان على أنه وحدة وجود فيها ثنائية الواجد والموجود المنجبة لحركة الوجود، فإذا كانت الصورة تحمل صفة التطابق والتشابه واختصاصها توثيق نقل الحقيقة كما هي لا أكثر ولا أقل، من ذلك أدعوكم لربط العلاقة بين التخيل والتعبير والإدراك والإبداع والمحسوس من الحواس المنقول للفكر، بغاية تشكيل الاعتقاد الذي يؤدي إلى الاعتراف بأن مفرد الجوهر له صورة عامة تطل علينا من أجل النظر إليها والتبصر بها آخذة بيدنا من أجل تواصل الحياة، فالصانع أراد من المصنوع بعد أن صوَّره وأعطاه اسم الصورة من صورته كي يعي أن ذاته جوهره ليكون بذاته صورته، وعليه يتحول المعنى من حالة إحالة المصور إلى الصورة ليعكسها عليه فيغدو مصوراً، هنا تتضح سيرورة الدلالة على الصورة فنستخلص أنها أيقونة تختبئ خلف فرضيات اللقاء من أجل الوصل والاتصال في معادلة المعنى والذي هو الجوهر الذي أسعى إلى صورته، أنت الذي تفهم حقيقة فهم الصورة من أجل الوصول إليها، فحين ننفتح على إمكانيات تركيبها ندرك مفاتيح تفكيكها، ومع تطور العقل بدت اليوم الصورة أكثر مرونة وطواعية من أجل إظهار المعنى أي الجوهر، فتدمير أو هدم الجوهر يعني لنا الالتفات إلى بناء آخر، هناك صورة واحدة من مصور واحد أعطت للتسلسل الإنساني الصوركي يبحث فيها من أجل الوصول إلى الجوهر الذي هو في داخل أي صورة منها.

إن ضرورة فهم اتحاد المظهر بالجوهر هي علاقة التصالح والوحدة

والعشق ليظهر الاقتراب من الكمال الذي يسعى إليه الإنسان في رحلة حياته، وإرادته أن يسجل بها الحضور كي يحضر في عالم الواقع المليء بالتعب والجهد والفرح والحزن والسعادة والشقاء بإرادته في عقله الباطن، وضمن مسيرته الظاهرة الانتقال إلى العالم الافتراضي، كي يتحدد من تسلسله عائداً إلى وحدة وجوده الروحي بعد أن أنجز ما أنجز من إيمان وكفر، ونجاح وفشل، وفوز وخسارة، وصعود وهبوط، وارتقاء ونزول، واضطراب وسكينة، ونوم وصحو، وصباح ومساء، وليل ونهار، كل هذا من أجل تطوير البقاء والابتعاد عن الفناء والخلود في الجوهر الذي يمتلك صورة واحدة هي المظهر.

إن كل ما نشاهده في حياتنا البصرية هو صور، وحينما نتخيل، نتخيل صوراً، وعندما نحلم تمر أحلامنا من صور، فإذا توقفنا عند هذه الصور وقفة المصور المحلل المتأمل اخترقنا الصورة فعرفنا قيمة جوهرها بعد أن يتجلى الجوهر على شكلها خارجاً من عمقها متقدماً عليها، ليعلمنا أن بها تكمن حقيقة قديمة أو جديدة أو متجددة .

الصورة الطبيعية منتجة من جوهر ذري نقطي، أما الصورة الصناعية فهي منتج المنتج الطبيعي لتكون قادمة من مكنات أوجدها الإنسان، استخدمت الصورة الطبيعية الأساسية الكامن بها الجوهر، فظهرت تحت مسمّى صناعي وفي حقيقة جوهره طبيعي، وعليه تكون الصورة الصناعية مشابهة لذاتها مطابقة لحاجة واقعها عملية استخدامها، ننتبه لها حيث تشير إلى صانعها مع وجودها كواقعية من ذاتها ولذاتها .

من هذا نصل إلى عالم الوعي الإنساني الذي يسألنا عن الجوهر، وهل هو عالم عقلي ذهني لا مرئي أي جوهري وكل ما هو ظاهر خارجي، أي ننظر إليه خارج الوعي الإنساني، يرتبط بالحواس التي تغدو مسؤولة عن البحث عنه لتعيده من عالم المظهر تتجه إليه لتنجز اتحاداً معه حيث يظهر فهم الجوهر، وهنا يكون ظهوره على المظهر، نتابع متسائلين عنه هل الإحساس هو الذي يدل عليه أم الإدراك العقلي أم امتلاك العلم والفهم يطور المقولة الباحثة والمقادة في الأصل منه؟، أي من عالم الإدراك بعد التعمق في الشيء، ينتقل إلى الفكر الذي يرى المظهر يخترقه يغوص فيه بتخصص بعد أن يتعلم السباحة والغوص، فمن لا يغُص لا يرَ بداية الجوهر بكون الجميع يسبح والندرة هي التي تغوص، ومع الغوص تنشأ علاقة التوحد ما بين سطح الماء الذي نسبح عليه واختراقه لاكتشاف محتواه، وأيضاً ضرورة فهم جوهر الماء الكيميائي يعطينا فكرة عن مظهره الطبيعي؛ الذي نستطيع أن نحلله ولا يمكننا أن نركبه كباقي الموجودات الطبيعية الحيّة والجامدة والغازية والسائلة وجميعها تمتلك مظهراً وجوهراً، كما أنها متصالحة مع ذاتها أي مع جوهرها، الإنسان العمودي الوحيد هو الذي يبحث فيها يكتشفها، وهو أيضاً الوحيد الذي قليلاً ما يتصالح مع جوهره، وفي كثير من الأحيان هو مختلف، لذلك وبعد كل الذي بحثنا فيه الصورة والجوهر والمادة والهيولى، ينبغي أن نعلم أننا نحن الإنسان من يتفلسف في البحث عن الأشياء، أي نفلسفها من أجل فهمها، هذا يعني أن البحث في كامل الموجودات والدخول عليها هو اختصاص إنساني وامتياز منحه

لذاته هذا الكائن العقلي، فهل هو أي نحن الإنسان فهمنا جوهرنا وما معنى جوهر المكوِّن الذي أنجز كامل هذا التكوين الدقيق، وهل كوَّنه من أجله أم من أجل الإنسان؟ أعطاه صورته وخلقه على شاكلته وملّكه الصفات والقدرات والأسماء ليحكمها ويقودها ويستمتع بها ويمتع بها ويتعلم منها ويعلمها ، فأي جوهر هذا الجوهر العظيم اللامتناهي في ماهيته والمنتشر كهيولى لامرئية، إنما إدراكية تدرك من خلال البحث والتقصي عن أهل خاصة الخاصة ومعرفية عن أهل الخاصة وعفوية عند الكثرة العامة .

الإنسان مظهره المدني ببصره وسمعه وشمه وتذوقه ولمسه وعقله ونطقه يهيم بحثاً عن جوهره الذي ظهر عليه في مظهره المنعكس من المحيط الكامل الكلي وفي داخله يسكن جزء منه، حيث كل إنسان به من روح الجوهر نسبة كون فيها كن، إن الإنسان نسبي ومن أجل زيادة نسبته الكونية عليه التطلع باحثاً عن جوهره باصراً في البدء داخله وناظراً متأملاً محيطه، فإذا التقط شيئاً منه ارتقى وزادت نسبته وصعد علواً وسما ممتلكاً مقولة: أن أعرف من الجوهر جوهراً أنا مظهره وهو جوهري يعود علي في اتحادي معه معرفة المنجز للإنجاز والإنجاز للمنجز .

إن مفهوم الجوهر والمظهر هو تحليل الخلاف والاختلاف، من أجل العودة لحالة التصالح المطلوبة في هذا الزمن أكثر من أي وقت مضى، ولا يتم ذلك إلا من خلال الفهم الوظيفي والتوظيفي لموجودات الحياة الطبيعية، والتطلع لاستثمار الأفكار الكثيرة المنتشرة في الأرض والسماء وما بينهما، والتي تحتاج منا مع كل لحظة تمر

التطلع إليها تدعونا للتفكر بها وإضافة منجز جديد إلى المنجزات المادية الكثيرة؛ والتي وفرت الكثير من الراحة لهذا المخلوق الإنسان المتمرد بطبعه على الفهم في كثيره أي غير متصالح مع جوهره منفصل دائماً بمظهره غير واع لوحدته الكونية التي لا تظهر به إلاّ بعد فهمه لجوهره ، وقليله يتواضع له فينهل منه بكون العلم كبيراً والإنسان قليلاً، العلم محيط والإنسان نقطة منه، بدأ منه وفي منتهاه يعود إليه وعليه كان النور جوهر العلم ونتاج العلم صورة النور، به أختم لأقول: العلم نور والنور محيط والإنسان قطرة من محيط تعادل النقطة التي بها كان البدء أي الجوهر، ونحن استمرارها أي صورتها المستمرة ندور من بدئها كنقطة ونعود إليها، نقطة انتهى .

الحياة ليست مظاهر، وكل من يقول: إن الدنيا مظاهر هو في حالة اختلاف ومنشئ للاختلاف يحتاج التصالح، والذي يتحد يجد ذاته التي يبحث عنها طيلة حياته على أنها خارجه عنه ليكون خارجاً على قانون الطبيعة، يجب أن يعود إلى حالة التصالح؛ والتي هي محور بحثنا المظهر والجوهر، فحينما يلتقيان يلتقي الوجود ويتحد الواجد بالموجود فتظهر الحياة على ذاتها جميلة نستحق أن نحياها وأن نكون بها مكونين .

الخير

فعل لا إرادي يحمله الإنسان يشبه الطبع ويتداخل معه حسب

الظروف، يمنح الشخصية صورة محببة تضاف إلى جمل السلوك المتكونة في العقل والمتحولة من الفكر إلى الإنسان، يرسم له هالة تسمو به حضوراً وتمنحه الوقار بكونه فعلاً يحتاج ولا يحتاج لتفكير في آن، فتارة يكون اندفاعة عفوية وأخرى مبرمجة عقلية فكرية علمية، يريح الضمير ويُدخل للروح البشاشة ويرسم على الشفاه الابتسامة، أي أنه في النتيجةَ يمنح السعادة لطرفي المعادلة .

في البدء كانت الكلمة الخيِّرة، ومن ثم طلب المكون أن يُقرأ معناها، وبعدها شرحت ذاتها ولبست ثوب المعرفة لنعرف أن الكلمة إنسان يأنس لأخيه الإنسان، يكمن فيه الأنس والونيس والأنيس لذلك حينما تحول إلى بشر ظهر الشرُّ قادماً من اتحاد (بدء وشر) أي بشر، وهنا حدث التضاد ليقف الخير دائماً وأبداً أمام الشرّ، فهما على طرفي نقيض على الرغم من أنهما موجودان في الذات الإنسانية، فإذا فُهمت الكلمة وعُمل بجوهرها كان الإنسان متصالحاً شفافاً فاهماً وتحوَّل إلى علمي من تعلمه، فهم مكوّن الخير الذي احتاج إلى التطوير من أجل التحول من بشر إلى إنسان دون أن ينفصل عن بعضه المادي واللامادي والعلوي والسفلي، يتجلى في اتحاده هذا بوحدة الصورة مع الجوهر، يتقدم إلى أخيه الإنسان يلتقي معه في مسيرة التكوين المطلوبة منهم في أسباب وجودهم، الخير ينجز الجمع الإنساني والأفعال الخيرة، ويتواصل الركب على دروب مسيرة الحياة بناءً لاستمرار الإنسانية.

نبحث في الخير، فنجد أن التاريخ العميق وأزمنته أوصت الإنسان بحمله من خلال كل الوسائل المتاحة، وأنجزت له المبادئ والقيم

والأمثال والحكم، تناقلته القرون والأمم وحملته من - إلى كصمديات تحافظ عليه تخاف من زواله أو ضياعه أو انكساره، فمثلاً لماذا قالوا (من يفعل الخير لا يعدم جوازيه) و (افعل الخير وارمه في البحر) ؟، لقد امتلكوا فهمَ علم كلمة الخير وقوته والحاجة الماسّة والدائمة إليه، والخوف من أن يعود الإنسان إلى بشريته أي إلى شرِّه، ومع أن ترمي الخير في البحر (البحر تكوينه مالح وأي شيء تريد أن تحفظه عليك أن تملّحه، وبوجود المدّ والجزر أي أنه سيعيده إليك حينما تحتاجه مع اختلاف الزمان والمكان) لأنه قليل وضده الشر كثير، هو كالحب بل فيما أعتقد هو الحب بذات عينه، بكون الحب أيضاً قليلاً وتضادّه الكراهية والحسد والغيرة والنميمة والقتل والاستلاب والتعدي على الحقوق، أي أنها مجموعة الشر، وحينما ندقق نعلم أن الخير إنسان والشر بشر ،أي أن الإنسان لا يمكن له أن يغدو إنساناً إلاّ بعد أن يمتلك صيغ التهذيب، وفهم تهذيب طبيعة الأشياء بزيادة جمالها وإبعاد السالب عنها مع الحفاظ على حقيقة وجودها، أي مجموعات السلوك الأخلاقي يدرك بها حقيقة وجوده ووجود الآخر فيعمل لها وبها .

إنه فطري عفوي إيماني وجاهل إن استمر ضمن مربعه هذا، يكتسب قوة عطائه ونموِّه، وتحمله من المحيط المعاش حيث يتحول إلى متزن يؤديه الإنسان حسب ما يمتلك من الإمكانات المادية واللامادية؛ والتي تظهره في أسباب وجوده كإنسان له علاقة مع الإنسان الآخر ليشترك الجميع في إدارة الحركة الكونية، ومنها يتعلم فرز الصواب من الخطأ والتنبيه إلى مكامن الخطأ والابتعاد

عن الإساءة وإبعادها عنه وعن غيره، نقدم الخير الذي يكمن به الإسعاد قدر المستطاع مادياً ومعنوياً، يتجول الخير بين القلب والعقل في وحدة لا انفصال لها متعلقاً بالحب القلبي والعقل العلمي، وكلما ازداد التناغم كان الخير منطقياً محباً وعاقلاً وحقق غاياته .

الخير معنى سام، يعتقد الإنسان المتمتع به بأنه متعة أخلاقية تستمد قوتها من الكون الكلي بكون المحيط لم يعط للإنسان النسبي إلا الخير بكون الشر سفلياً دنيوياً لا يمكن التغلب عليه إلا بالخير، وهو أيضاً مرتبط بالثواب البعيد والمنظور والمرافق، يتبناه الإنسان يعتمد به على النجاح، يقاوم به شره الزماني والمكاني، ويتجلّى الخير الاجتماعي في الرأي الذي تتفق عليه الجمهرة من الناس يغلبون به التضاد وينشدون من خلاله الانعتاق .

كلمة جامعة لامعة منجبة للأخلاق تتخلق فينا تدعونا لإظهارها والتمسك بها، بدءاً من الكلمة الطيبة الحاملة لشكل الصدقة، مروراً بمساعدة الآخر وفهم آلية مسببات الوجود والعمل على تطويرها وتحسينها والإخلاص لها، وانتهاءً بالسعادة التي نستذكرها في لحظة استعدادنا للمغادرة من الحياة، أي إن فعلنا خيراً كانت راحتنا فيه لنفعله .

الخبر

غدا لا يستغنى عنه، وبما أن التكاثر البشري أصبح كثيفاً وتسارعت أحداثه صرنا نتناقله بكونه مثيراً للاهتمام، نستمع

إليه بكوننا لم نعلم عنه شيئاً من قبل، وربما يحمل لغة الغد والأمس غير المعلومين بالنسبة لنا وما خفي من الحاضر حولنا، يتابعه البشر وغايتهم معرفة المزيد عمّا جرى لهذا أو ذاك، يناور معك حينما يكون الخبر يخصّك مستخدماً التقريب والدوران حول موضوعك، فإن كان مفرحاً رسم الابتسامة على وجهك ووجهه وإن كان محزناً قطّب حاجبيك وجهّمك وتجهّم معك في حال كان يخصك، أما إن كان يخصّ مجتمعك أو وطنك أو أمتك أو أي شيء تنتمي إليه يجيبه مستفسراً مَن- ومتى- وأين- وماذا- وكيف- ولماذا، أي أنه يخضع جوابك بكونه حدثاً مصنوعاً للأسئلة الستة التي ذكرتها ، أخبرني ماذا فعلت بالأمس واليوم وماذا ستفعل غداً ؟، وحينما تلتقي مع أيٍّ كان له علاقة مباشرة معك أو مع محيطك أو مجتمعك، أول ما تسأله : ماذا لديك من أخبار؟ وحين المداعبة تسأل (هات أخبرنا يا طير)، والطير حمل الرسائل قديماً التي تحتوي على الأخبار ، متكون موجود في علم المنطق ونوع من أنواع الكلام اللساني لا تشتريه، فهو آت إليك لا محالة في القريب بكونه جملة خبرية إخبارية مركبة، وبما أنه سريع يشيع وينتشر بسرعة انتشار النار في الهشيم، فهو كالخُبار مشتق منها والخُبار هي الأرض الرخوة تثير الغبار إذا مرَّ بها نسيم أو قرعها حافر أو نحو ذلك، والخبر يثير الإنسان ويعطيه المعرفة يحاكمه، فإما أن يستفيد منه وإما أن يتجاوزه، ومنه السريع ومنه المعجّل والمستعجل، ومنه الذي يحتمل الانتظار والبطء، و به يكمن الفرح والسعادة ومنه أيضاً السيئ المزعج والمحزن، ومنه الشخصي الخاص والعام والعلمي

المثبت والإثبات خبر والكذب ونفيه أيضاً خبر، لا يتقبله الإنسان بسرعة يرفضه بالرغم من الصدق الساكن فيه سلباً أم إيجاباً .

يختلف الخبر والإخبار والأخابير عن النبأ والمتنبئ بكون الخبر وصفاً لحدث لحظي يحظى بالاهتمام وينتشر بسرعة، استمراره ضئيل أي ينتهي بعد استقباله وتبادله وتحليله والتيقن بأنه صادق أم كاذب مهم أو غير مهم، وجمعه أخبار التي تقدم لنا التقارير عن آخر الأحداث التي لا يعرفها البشر، والأخبار حقائق تتضمن معلومات حقيقية وصادقة، ومثالنا: ثوران بركان- وحدوث زلزال- وغرق سفينة- وسقوط طائرة- ووفاة شخص ذي صفة- أو سفر أحد مهم- أو نجاح أو فشل-، بينما النبأ يحتاج سين التسويف وزمناً طويلاً فيه الانتظار، قادم من التنبؤ ومثالنا: سيهطل الثلج وسينهمر المطر غداً أو بعد غد، وسيحضر فلان من سفر طويل، وسيحصل آخر على ترقية أو سيُعزل من مكانه أو سيُعيّن في مكان جديد، كما أن الخبر عنوان جديد يتناوله البشر يثير اهتمامهم، وقد يكون مفرداً أو مجموعة أفراد، يقرِّب البعيد يبيّن حقيقة الأحداث الجارية، وهو على أنواع: خبر جدّي وخبر طريف وخبر مهم وخبر يحدث في المحيط القريب وخبر مؤثر وخبر هام، وعناصر الخبر التي قدمنا لها ونحن نسير في شرحنا عنه ، وأيضاً طبيعي حقيقي وصناعي مركّب ووهمي، يحمل غايات في كثير من الأحيان غير مفهومة، وله علاقة بالنظم الاقتصادية والاجتماعية والأسروية والسياسية والعسكرية، وهو يبتعد كثيراً عن لغة الأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمنّي والعرض، كما أنه يعتبر نوعاً ثقافياً

محمولاً على الأثير ، له علاقة بالمجموع الثقافي الناقل للمعلومة تتكون معه صورة مجتمع مثقف حقيقي أو غير ذلك، وكلما كان سهلاً وبسيطاً كان سريع الانتقال على ألسن المجتمعات، أيضاً هو يختلف عن الإشاعة مهما كان نوعها صادقة أم كاذبة، لكنها في الاعتبار قسم من أقسام فلسفة الخبر والمفترض في وجوده نسبة الإثبات كي يغدو معلومة ضرورية، ويخالف النسبة حينما يتحول إلى تصور إنشائي وفي حالة النسج التصوري، أي الخيالي يحكم على النسبة الثابتة فيه، أي مقدار الصحة والخطأ .

الإنسان في غريزته امتلك حبَّ الاستطلاع، وفضوله يدفعه لمتابعة الكثير من التفاصيل، فإذا رأى حدثاً أو سمعه أو رواه له أحد ما تناقله مضيفاً أو حاذفاً، وقليل من ينقله بأمانة، وحينما يفعل ذلك يُطلق عليه المخبر فإن صدق أفاد وإن كذب كُشف ولو بعد حين، وعليه: الخبر والإخبار يحتاجان للمخبر، أما الأخبار فيختص بها المقدّم لها عبر الرائي والراني والكاتب في الصحف، فالخبر مفيد فعل لحظي ويومي يحتاج لمصدر وناقل أمين .

الحِبر

حينما ينساب من القلم تتغير كل المعاني فتقوم منه حضارات وأمم، يضع حداً لحياة الإنسان، كما به يكتب بدء الأيام وسني حياة إنسان آخر، من خلاله يظهر توثيق القوانين والشرائع، وتنتظم الحياة حينما تقرؤه الشعوب وتتبادله على صفحات محفوظة في

شرائح وكتب، يسري في القلم أو الريشة مثلما يسري الدم في عروق الإنسان وكما الماء في الجداول والأنهار، استخدامه يدل على النموِّ والنضج، فالطفل الصغير يتعلم بالمعجون والطبشور والرصاص إلى أن ينضج فيكتب بالحبر الجاف، وحينما يعقل يختار الحبر بكونه أزلياً، ولقد جاء في الخبر أنه يؤتى بحبر طالب العلم ودم الشهيد يوم النهوض ويوضعان في كفتي الميزان فلا ترجح أحدهما على الأخرى، وهو المداد بكونه يمد القلم ومنه كانت مداد كلمات ربك.

عُني به توثيق العلم الذي من خلاله يتحول إلى تاريخ تتناقله الأجيال، وحينما نتحدث عن أهميته ندرك أن بدونه لا وثيقة ولا توثيقاً ،كيف يحدث هذا ؟ إن جميع الوسائط التكنولوجية تحتاجه: الحاسبات تحتاج لونه، الطابعات تحتاج مواده كي تظهر لونه الإلكتروني ضمن استخدامات أجهزة الهاتف، الأقلام المطابع تبادل الأرقام والمعلومات في العلاقات الفردية والاجتماعية والاقتصادية وفي كل محاور الحياة، لنتخيل أن لا حبر في الحياة، ما هي الآلية المطلوبة للتواصل؟ فأول حبر كتب به الإنسان لغة الاستمرار في الحياة هو حبره الخاص للإنجاب والذي يستمر أبيضَ شفافاً لا ينتهي إلا بانتهائه، ومن ثم كتب بدمه واستخدم دم الحيوان حينما سال، وفي لحظات الصراع مابين الموت والحياة خطَّ به أسباب رحيله قسراً أو نتاج حدث فعرف من تدوينه طريقة رحيله ، لقد استخدم الحبر الأحمر تاريخياً وكان اللون الرئيس بلا منافس، بعد ذلك حل الرماد الناتج من الاحتراق (الهباب) والصمغ العربي والماء الصافي، واستخرج اللون الأسود من مركب زيت بذرة الكتان ولبِّ الصنوبر

وزيت الكاز وزيت الزيتون وشهد العسل، طوَّره الإنسان من تطور فكره واشتقَّ الألوان جميعها وخصص كل لون لمرتبة مسؤولة تخط بها؛ فيعرف أن هذا وزير، وذاك خط مدير، وآخر يستخدمه العامة من الناس، وإن أفضل أنواع الحبر ما استخرج من سخام النفط .

الحبر مفرد، أحبار جمع لتعدد ألوانه ومواصفاته وسريته وعلنيته، وأنواعه: الحبر الجنسي تستخدمه المخلوقات الحية بدءاً من الإنسان وانتهاءً بالنبات، تنجز به التواصل والاستمرار وأهداف الحياة، والحبر الروحاني يُستخدم فيه الزعفران ومكونات الزهور أو النبات، استخدمه السحرة والمشعوذون عبر كامل الأزمان، والحبر السرّي الشفاف غير المرئي له علاقة بمصالح الدول وبناء مكوناتها يتم التعامل به بشكل خاص ونوعي ، والحبر التدويني تستخدمه الأقلام الصناعية من أجل التعلّم والتعليم وتسجيل المفيد، والحبر الإلكتروني هو ليس حبراً، بل ألوان ونقط تتفرغ على شكل كلمات أو معادلات وفي كل اللغات تستخدمه أجهزة الاتصالات، مما يجري ومن كل تنوعاته في الحاضر يتحول إلى ماضٍ مفيد، وامتلاك علم الحبر أي علم تدوين ما يجول في العقل المتأمل يحوِّل الإنسان إلى حَبّر ومعناه أنه امتلك معنى فهم الحبر الجنسي والروحاني والسري والتدويني، تحول هذا الحَبّر إلى اسم ديني كبير والذي يصل إليه يعطى لقب الحَبّر الأعظم وما دونه أحبار يسعون للوصول إليه، وعليه نعلم أن الحبر وجد منذ أقدم القدم موغل في الزمن البعيد تطور بفعل تطور الكيمياء العلمية، حيث توفرت الأصباغ السائلة

والجافة وأظهرت الأبيض والأزرق والأحمر والأخضر والأصفر والأسود وإلى ما كل ذلك من ألوان .

الإنسان الذكر قلم الحياة، ومحيطه دواتها، وأنثاه صحائفها تجمع تسجله وتنميه في داخلها، تقدمه إلى الحياة كي يستمر بها وتستمر به فبدونهما ودون الدواة لا حياة، هذا المثلث الطبيعي المتكون لا يتكون إلا بالقلم الإنسان والدواة الطبيعة والأنثى الفاعلة والجامعة والمنتجة للإنسان والدافعة كضلع أساس في الحياة، فقدان أي منهم فقدان للموجد ليعيد الواجد وجود الوجود وبدونهم لا وجود.

إذاً الحبر مداد الحياة الخالدة عبر كل أشكاله التي ذكرتها، وأحواله التي نسجتها، ومفاهيمه التي حررتها، مستخدماً فيها كل أنواعه منذ لحظة كتابتها في العقل وسريانها مع الدم إلى اليد التي أمسكت بالقلم غذته بالحبر، فكتبت به مداداً على السطور وتواصلاً مع الحياة، واتحاداً مع الأنثى من أجل إغنائها وتطورها .

الخبز

من منا لا يسأل عنه حين غيابه؟، تتناوله الرعية صباحاً وظهراً ومساءً، تبحث عنه تنتظر وجوده باحترام وصبر وأناة تستعجله حينما تنادي أفواه الجياع ، وجّهت الحكمة لرعايته وتحمّلت الدول النامية دعمه، رمز للثقة تتبادله الشعوب لحظة إنشاء الصداقات، وتنبّه بأن من يقدمه لك يثق بك فلا تخنه ولا تغدر به أعطاك الأمان لتعطيه الوفاء ، فما زال الكثير الكثير من المجتمعات حينما

تدخل منزله أو عليه يقدم لك الخبز والملح تعبيراً عن ثقته بك ليحدث عندك إيقاظ السلوك الإيجابي أو يُذكّرك بضرورة تعزيزه، تعددت أشكاله بين الأسطواني أو البيضوي أو المخروطي واستقر على شكل مستدير، حيث كمنت به فلسفة الحياة كي يظل الرغيف على شكل عجلة يجري ويلهث وراءها الإنسان، يرافق الإنسان طيلة رحلته إلى أن ينتهي، يحترمه أثناء مسيره بإجلال يحتاجه ويُقَبِله يمنع ذاته وأيَّ أحد أن يدوس عليه يرفعه أينما وُجد ، أعتقد أن صناعته تتماثل مع صناعة الإنسان فكلاهما عُجنا وخُبزا ومرّا بمراحل النضج إلى أن نضجا ليأكل أحدهما الآخر حيث يقوى منه ويتقوّى به، وأيضاً حينما تعلّم الإنسان الأسماء كلها عرف اسم القمح فعجنه حينما استذكر طريقة صُنعه على شاكلته، تفكر في أنه من ماء وطين تُرك ليجف ثم شوي فمر في المراحل الثلاث: الطين اللازب والصلصال والحمأ المسنون، وكذلك فعل من هذا الاستذكار؛ طحن القمح حوَّله إلى دقيق وعجنه بالماء وتركه يتخمّر ثم أدخله النار حتى ينضج وبعدها أكله.

وأصل كلمة خُبز من فعل خبَّز ويعني ضرب ونقول خبزه أي ضربه بكون الخباز يضرب العجين حتى يرق ومن ثم يخبزه .

بالتأكيد هو ملك موائد الطبقات الأربع: القادة والأغنياء والوسطاء والبسطاء، لا يغيب عنهم ولا يكاد يخلو من يد أحدهم، فهو يحتل المرتبة الأولى متقدماً على الخضار واللحوم والفاكهة بكونه القيمة الاقتصادية الإستراتيجية للإنسان منذ نشأته وإلى ما سيأتي من الزمن، نقصه يثير الشغب فكيف به إذا فُقد؟ وهو

الذي يحدث بفقدانه ثورات الجياع وبارتفاع أسعاره طوفان الفقراء، اختلفت أشكاله وأنواعه بعد تنوع الشعوب والرغبات الشخصية لأفرادها، كما أنه ارتبط بعادات وتقاليد وأمثال الشعوب متحولاً إلى مَثلٍ في كل لغات العالم (بيني وبينك خبز وملح) لنحافظ عليه، والخبزُ بمفرده يعرِّض المنكبين، وأيضاً ذكَرَته الكتب المقدسة: ففي العهد القديم ورد ذكره اثنين وخمسين مرة، أما في العهد الجديد ورد ستاً وعشرين مرة، كما اعتُبر أساس فاتحته، وفي الكتاب المكنون ورد ذكره مرة واحدة، ذكره كونفوشيوس وبوذا في منتصف القرن السادس قبل الميلاد، كما أنه وُجد على الجداريات الفرعونية كرسوم تُظهر طرق صناعته، وكثيراً ما كان يُدفن مع المتوفى حيث ساد الاعتقاد أثناء رحلة الانتقال أن الإنسان يتناوله بعد الرحيل ، لقد اكتُشف القمح ضمن المستوطنات البشرية قبل أكثر من ثمانية آلاف عام، ذكره الإغريق في أساطيرهم والهنود الحمر ضمن حضارات المايا والأنكا والأفارقة في تاريخهم القديم .

لا يمكن لأي إنسان مهما كان نوعه وعلت مرتبته أن يتجاوز الخبز، فبه يشبع وبدونه لا يحدث النمو والشبع، ومهما حاول تجاوزه في غفلة يتناوله بكون مذاقه مذاق الإنسان، وفيه وحدة الأرض والسماء، وظهوره على شكل نبات يجعله الأساس في تكوين الإنسان ،كسرة الخبز قد لا تعني للممتلئ أو المرتاح أو المكتفي شيئاً ولكنها بالنسبة للجائع أو المتشرِّد قد تعني له كل شيء، ولذلك اعتبر الخبز دين الحياة ودينونتها، الخبز كلمة حياة قالها المكوِّن حينما أعطى الكون كن فتكون، ليس بالخبز وحده يحيى الإنسان

بل بكلمة من الإله، والخبز كلمة نعمة ارتبطت مع جملة النعم: الماء والهواء والتراب، الحفاظ عليها ورعايتها قيمة إنسانية كونية مرتبطة بالعلاقة مع الإله، مكوناتها تتحد لتنجز القمح والحبوب في جملتها المكونة للإنسان، والخبز ومجموع الحياة وما أقصده وأربطه إليه هو ذاك التشابه بين الإنسان والخبز، والذي أدعو للحفاظ عليها وعدم التفريط بها فالكثرة والندرة كما ذكرت تحتاجه .

ارتبطت مصطلحات الحرية والديمقراطية بالخبز، فأيهما أختار أولاً الجوع أم السجن، وهل أستسلم طوعاً للاستعباد أم أستحق الحياة أم أنني بدونهما أذهب قانعاً للموت؟ فالحياة بلا خبز ولا ماء ولا هواء لا حياة، الخبز والحياة توءمان ينجبان الولاء والأداء لا ينفصلان عن بعضهما بكونها يحققان السلام، الجوع كفر في كل أشكاله وأنواعه، والشبع بالخبز وحده يحقق الحد الأدنى من الأمل، لن يفكر الإنسان بالبناء وهو جائع، ولن يطمئن إلا معه، إن التخلي عنه يعني ضياع الأمن والأمان، تبحث عنه الشعوب ففيه قوتها وتضامنها وجمعها واجتماعها، الخبز قيمة من قيم الشعوب إذا تخلت عنه تخلت عن قيمها، فهو أساس أي أمن غذائي لنحافظ عليه ونحترمه ونجلّه مقدرين قيمته .

الملح

الأبيض الناصع الدقيق، حامل الإفادة في الاعتدال، والضرر حين زيادته أو الانتقاص منه، وضرورة الحذر حين استخدامه

من مبدأ الحذر من الأبيضين السكر والملح ، يحفظ الحياة الحية والمنتهية وإذا أردت أن تحفظ أي شيء عليك أن تملّحه، وقوته وشدته تحوله إلى صبر، والصبر قوة إنسانية عظيمة يتمتع بها أهل الإرادة والإدارة والإدراك لمعاني الصبر، هل تفكرنا لبرهة؛ لو لم تكن البحار والمحيطات مالحة كيف كانت رائحة الكون وهل كنا أحياءً، وهل كان البحر حياً مثل اليابسة تسكنه أحياء، وهل يمكن للغيوم أن تتشكل لو لم يكن الملح في البحار والمحيطات، في تجربة شخصية قمت بها حيث وضعت وعاءً به ماء بحر ووعاءً به ماء عذب وقمت بتحريكه في تشابه جريانه في الأنهار أو البحيرات وأمواج البحر، الذي حصل هو أن ماء البحر تبخّر بما يعادل سرعة خمس مرات عن الماء العذب، فماذا يعني لنا هذا؟ لكم أن تتفكروا، وهل يخلو كوخ أو قصر أو منزل على وجه البسيطة منه، فما هو سر الملح المتكون على شكل مادة معدنية كريستالية شفافة بيضاء موجودة في طبقات الأرض ومياه البحار شغلت التاريخ الإنساني منذ أقدم القدم، حيث ارتبط تاريخ الملح بتاريخ مياه البحار وبدأت معه، ارتبط وجوده بوجودها وتكوينه وعناصره، هش بكونه قادماً من الماء ويذوب فيه وحينها نستسيغه من خلال انحلاله في لعاب الألسن، موقعه ضروري ضمن تسلسل الحاجات الحياتية والإنسانية؛ على الرغم من وجوده كمركّب في كامل المخلوقات الحية: الإنسان والحيوان والنبات والجماد، وكلٌّ فيه منه بقدر محسوب ومدروس، كان يُقدم قرباناً للإله في العهد القديم، وفي العهد الجديد الإنسان ملح الأرض، وفي الكتاب المكنون جعل بين بحري العذب الفرات والملح

الأجاج برزخاً وحجراً محجوراً، هو سيد الطعام يصلحه ويظهر نكهته، استخدم في التخزين وحفظ الغذاء وتمليح الأجنة المولودين حديثاً كي تتماسك أجسادهم، والتحنيط للموتى وإذابة الثلوج وقتل البكتيريا، وله باع طويل في إفساد كامل أساليب الشعوذة الواردة في الأساطير الموروثة لبعض فئات الناس؛ بكونه لا يؤمن إلا بالحياة الحقيقية ، كما أنه رابطة أخلاقية تدخل السلوك كحالة تعبير عن ولادة الثقة، ومازالت العادات والتقاليد تحمل جوهر وجوده لحظة إنشاء المواثيق والعهود ودخول المنازل لأول مرة، استخدم أحياناً كمَهر للزواج ودلالة على التذوق، من أجله قامت حروب وثورات في التاريخ القديم والحديث، يستخلص من (الأجاج) وهذا مسمى للبحار والبرك والترسبات الملحية الموجودة في باطن الأرض، بُحث عنه وأوجدت له المناجم والملاّحات، وفي ذلك الزمان كانت كفة الملح تساوي كفة الذهب، وأول عملات صُنعت من الملح على شكل أقراص وتداولتها أمم ودول، كما أن هناك مدناً حملت اسمه مثل مدينة سالتزبورغ، وأهم أطباق الطعام هو "السلطة" قادمة من سالات حيث لا سلطة بلا سالت أي ملح، وأيضاً مدينة تاكارا الإفريقية بُنيت من الملح قبل ٨٠٠ عام تقريباً بما فيها مساجدها وكنائسها.

فلسفته متمكنة في جوهر الحياة، لذلك تحول إلى رمز من رموزها، ارتبط بعرق الجباه المالح الذي يظهر من المنتجين الفاعلين في الحياة، كما الدموع المالحة تنساب في لحظات الحزن تتذوقها الشفاه فتعرف قوة حزنها من ملحها، كما أن له علاقة بالهروب من الواقع وعدم الوفاء كأن يقال ذاب مثل الملح واختفى، والذي لا

يستطعم من ذراته أطنان ملح لن تعطيه طعمه، فهو طعم الحياة ولذة إطعامها، وهناك من يقول تمالحنا، ما معنى الملح هل نستطيع أن نتخيل حياة إنسانية بلا ملح وهل يمكن للملح أن يفسد ، وإذا فسد ما هو حال الدنيا بما فيها فكيف نصلحه وهل يصلح، وإذا ما خلت منه ملوحته إلى ماذا سيتحول ؟ .

الملح لحظه العلم وأوجد منه طعم الملح، دوَّنه طبياً خوفاً على صحة محبي الملح، وأخذ بتحويل المجتمعات إلى استهلاك أمام تحويل كل شيء إلى مستهلك ومستهلَك ، في الكيمياء مركب مشتق من الحامض باستبدال أيونَ الهيدروجين بأيون موجب لفلز أو جذر أمونيوم منه ينشأ ملح كبريتات الأمونيوم وملح كبريتات النحاس، أما ملح الطعام فهو قادم من كلوريد الصوديوم NACL وكربونات الصوديوم، يستخدم في صناعة الصابون ورمزه Na٢ Co٣ وصناعة المعجنات تستخدم بيكربونات الصوديوم ورمزه NahCo٣ وصناعة الأسمدة تستخدم كبريتات الأمونيوم NH٤)So٢( ) ، أما لعلاج الإمساك وتليين المعدة فيستخدم كبريتات الماغنزيوم ورمزه Mgso٤ إنه الملح.

العقل أكبر من الكون

لن ندركه بالرغم من كلِّ ما وصلنا إليه، لماذا؟ والعلم يقول إنه بدأ من حادثة الانفجار العظيم، أي بمعنى وسؤال في آن: هل كان هناك كون سابق وانفجر؟ حينما خرج كل شيء عن سلطة

قانون الانتظام والحركة والمسير والاصطفاف، حيث اصطدم الكل ببعضه، فكان الدمار الهائل وتحول كل شيء إلى دخان، ومن ثمَّ عاد وسكن بعد أن تجمع الغبار الذري وانتظم من جديد، وإن لم يكن كذلك، فما هو ذلك الشيء الذي انفجر هل هو الشمس وماذا كانت الشمس تفعل هل كانت لوحدها، وحينما انفجرت كيف انتظمت الكواكب والنجوم وأخذت شكل مجرات، هل لنا أن نقول: إن كل هذا حدث صدفة، وهل للصدفة مساحة ضمن هذا التنظيم الهائل مكانه، ومكانه قادمة من كون، وهل نأخذ باعتبار العلم القائل بأن بدء الكون كان من لحظة ذلك الانفجار؟ أعتقد أنها حدود العقل التي وصل إليها، وأؤكد أنها ستتغير حينما ترتفع نسبة استثمار العقل؛ والتي سنذكرها فيما سنأتي عليه، وأيضاً في حالة امتلاك الإيمان الروحي وغالبية الإنسان يمتلك الإيمان الروحي في الكوني الأزلي، باعتباره المكون الأول والآمر بتشكّله من خلال حادثة الفتق والرتق، وتشكّل السماء الدخانية والتسخين والتبريد الذي احتاجه الكون كي يستقر وتبدأ الحياة الإنسانية، والتي هي في حقيقة الأمر قادمة من إنسان امتلك عقلاً من العقل الكلي يعود عليه ليستكشفه ويوجد من علمه به ما يريد أن يعلمه، فكيف بنا نسير إلى تعريفه، وهل بمقدورنا الإجماع على تعريف له وتحديد البداية والنهاية من خلال ما قام به العلماء وهم يحددون عمره، أسئلة كثيرة تتجول في العقل ومنذ القديم الذي أوغل فيه الإنسان في محاولاته لإيجاد آليات فهم وجوده، ولا يتم ذلك إلاّ من خلال فهم كونه الكبير المحيط والأزلي والكامل، وحيث روحه تضغط على

عقله بغاية الاستسلام يأبى هذا الإنسان إلاّ أن يتوسع بعقله، فتتوسع مداركه ويسهل إدراكه لذاته ويصعب فهمه لمقدراتها .

إنني وأنا أخوض غمارهذا المبحث الدقيق والخطير والكبير جداً في آن أجد أن كلمة كون ليست لفظة عابرة أو كلمة يسهل تبادلها واعتيادها، إنما هي كلمة تتكون في داخلها كامل صور الحياة المنظورة من العين الإنسانية واللامنظورة في العقل التحليلي يجتمعان في حالة الانحصار بدائرة الإنسان المنحصر فيها، بكونها كلمة دائرية جمعت في داخلها الثانية الكبرى من الزمن، والتي نعتبرها أهم مسجل للحركة العقلية منذ البدء وحتى اللحظة وإلى ما سيأتي من المستقبل، فهي وبالرغم من دقتها تشكل مع النقطة والنطفة ثلاثية توضع على الصفر الذي هيأ كل ذلك بكونه مسح كل شيء، وليظهر التحول إلى إنسان وحيوان والبذرة التي ينبت منها النبات والذرة التي تجمعت لتشكل المادة، حيث اعتاش عليها ومنها كامل المخلوقات المتحركة والجامدة من النظر، والتي جميعها تسكن الكون القادم من كن فكان كوننا الذي نتأمله نستكشفه نتطلع إليه صباح مساء، بحكم الطاقة الهائلة التي تتولد من بعضها، تتحول من شكل لشكل لتنجز جوهره المنجز في الإنسان بكونه كون الكون، وبمعنى أدق هل يجوز أن نقول إن الإنسان هو الكون، أو إن الكون هو الإنسان بحكم المقولة (أتحسب أنك جرم صغير وفيك انضوى العالم الأكبر) ما معنى هذا؟ هل يعني لنا أننا أيضاً قدمنا إلى هذا الكون مع حادثة الانفجار العظيم بكوننا نجماً صغيراً على شكل كوكب احتوى الحياة ليعطي للحياة حياة، فإذا قمنا بتشريح الجسد

الإنساني المادي هل نرى هذا العالم أيضاً من مبدأ تبادل الحياة، أم أنه وكما سبق عالم عقلي متناهي الدقة احتوى العالم الأكبر، أو أنه قادر على احتوائه ولكن يحتاج إلى تطلع المتأمل الباحث عن توسعة مداركه وإدراكه وعلمه وعلومه كي يسع الكون الذي يتسع باتساع العقل .

هل للكون أبعاد منظورة وغير منظورة، وكيف أتى من كن فكان ليكون كائناً متكوناً أراد مكونه تكوين الكل، ليعيد المفرد اكتشافه على شكل الانتباه من المتطلع إلى ما تحت القبة السماوية بكونه لا يستطيع أن يرى ما فوقها، وكل ما يشاهده من نجوم وكواكب وأقمار وشمس خاضعة لمشيئة بحثه تحت القشرة التي نسميها السماء بكوننا نعيش ضمنها، ولهذا يكون الكون على علاقة مع الحجم النسبي لمساحة الرؤية، مع الاستعانة بأدق الأدوات المساعدة على إيصال النظر إلى أبعد مكان ممكن عن طريق المجاهر والتلسكوبات ووسائل الانتقال، أي المركبات الفضائية التي تعرفنا على حجمه وسعته ونظمه الدقيقة؛ التي وحتى اللحظة لم نعرف عنه إلا ما ندر، فهل نستطيع أن نعرف أو أن أحداً على وجه البسيطة عرف طريقة إنشائه، حيث أن كلمة كن التي أنجزت الكون فعل أمر حي فكان، أي لو لم يكن كذلك لما كان، فإذا كان له حجم كان له مركز وحينما يكون له مركز يكون له حد، على مبدأ إنشاء الدائرة الذي لا يتم إلاّ من نقطة تكون هي المركز، يركز أحد ما فيها فرجاره ويبدأ برسمها أو ينطلق إلى بنائها، إننا ومن الأرض وبالعين المجردة نرى القمر كما نرى الشمس والنجوم والكواكب، كما أن الذي يصعد

إلى القمر أو الزهرة أو المريخ أو أي كوكب آخر يرى ما نرى، وكذلك ومن أي نقطة يكون عليها إنسان يعيش على الأرض يرى ما نرى، لنعلم أن القبة السماوية التي نراها ما هي إلا محيط يحيطنا كما أنه يحيط كامل الكواكب والمجرات.

إن نظرية اتساع الكون المبحوث فيها الآن من قبل علماء الأرض، بدراساتهم حول السماء والنقاط المظلمة فيها، وبما أن النقطة تكوين والصفر تأسيس فكانت الأرض صفراً (أي هباءً وعماءً منثوراً) لتهبط النقطة على الصفر الأرض مثل شكل (نون)، أي حرف النون حيث يشكل الحرف بدون نقطة شكلاً لا معرفياً، تهبط عليه النقطة فتكون نون القادمة من أجل تسطير لغة الحياة ومسيراتها وانفعالها وتفاعلها ضمن الكون الدائري، ليظهر المكون تكوينه في الإنسان الذي عاد عليه ليفهم كونه ويكوّنه من جديد، فهل يمكن لهذه النقاط أن تتبدد حيث تتحول من ظلام إلى نور، فيتسع الكون وتكون هذه الدراسة التي أطرحها تدخل تحت مسمّى اتساع الكون من خلال وصول أشعة النور إليها لتبدد ظلمتها، وحينما تتحول إلى نور مضاف إلى السماء الأساس نقول: إن الكون يتسع، وعندما أبحث في هذه النظرية أجد حقيقة في نظريتي أن هذا الاتساع قادم من اتساع العقل، فالانتباه إلى ضرورة فهم الحجم الكبير للعقل، وأعني به: أن كل ما ازداد فهمنا وامتد بصرنا اتسع حجم ذاكرتنا، نعلم من ذلك أن حجم العقل أكبر من حجم الكون، والدليل أن إنسان الماضي نبّه إلى ذلك دون أن يمتلك العلم به؛ حيث كان العقل صغيراً والكون كبير جداً والمسافة بعيدة، احتاج الإنسان في حينها إلى التفكير

آلاف المرات قبل أن يقطع منها بضعاً، أي حتى كوكبنا الأرضي كان كبيراً جداً أيضاً على العقل الإنساني، أما اليوم وبعد ازدياد الوعي لما يمتلك من قدرات علمية هائلة انقلبت المعادلة، وبدت الكرة الأرضية صغيرة جداً؛ حيث أصبح وأمسى يراها في عقله، يتجول عليها في عجالة من خلال الوسائط العلمية الهائلة والتي اختصرت المسافات وأعطت للرؤية مساحات هائلة جديدة للتأمل فيها، قادنا هذا إلى غاية البحث أكثر في الكون الذي بدأ يظهر صغيراً عليه وأن عقله أكبر بكثير منه، فأخذ يبحث عن توسعته وزيادة حجمه كي يتوافق معه، وبالاتفاق مع البحث العلمي حول المستَثمَر من العقل الإنساني ونسبه، والتي أجمع عليه العلماء بأنه حتى اللحظة وبقمة العبقرية التي أوجدت الإبداعات الميسرة للاستمرار وتواصل البشرية لم يستخدم أكثر من ١٤٪ من قدرات العقل الهائلة، أي أن من أوجد كل تلك الوسائط من اتصال فضائي حتى الوسائل البسيطة في الاستخدام لم يرتقِ لأكثر من هذه النسبة، وهذا دليل على أن الإنسان المكوّن من تكوين يعود لامتلاك كونه وفهمه طالما أنه يريد الفهم أكثر والعلم أكثر، وغايته أن يوجد إبداعاً تلو الإبداع يبهر ذاته أولاً الممتلكة لعقله يعود عليه العقل ليطالبه بالمزيد.

وإذا علمنا أنه الوجود المطلق العام هو اسم لما يحدث دفعة كاملة، كحدوث النور عقب الظلام مباشرة فيجب العودة إلى دراسة كامل النظريات بدءاً من حادثة الانفجار العظيم وانتهاءً بالفتق والرتق، وإن تم بالتدريج أي اندماج الصورة في المادة والمادة في الطاقة والطاقة المتحولة تعود لتفصل الطاقة عن الصورة والمادة عن الجوهر، أي أن

الحركة تتوافق مع الزمن والحركة لا تتم إلاّ بوجود مكان، وحين حصول هذه المعادلة يعني أن هناك نشوءاً كونياً، بكون أي لكل سبب مسبب، فأي ذكاء خارق تمتع به ذاك المسبب الذكي الذي أنجز السبب ليربطه بالسببية، وتكون وحدة الكل في المفرد المستكشف والكلي المختفي والظاهر في آن .

هل الفلك هو الكون؟ من مبدأ (كل في فلك) حيث تسمح هذه الجملة قراءتها من اليمن إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمن ومغزاها أنهم فيه (يسبحون)، وبما أن حركة البحار خطية دائرية فالكواكب تتحرك ضمن محيطها السماوي بحركات تبدو خطية، وإن كانت كذلك فهي إلى ما لا نهاية- وهذا غير معقول- وبالتأكيد هي دائرية بكون الكون في لفظه الكلامي شكل الانعطاف الدائري، أي أن له قبة دائرية تحيطه على شكل قشرة نطلق عليها السماء اللانهائية؛ والتي يراها الكائن المتفكر من أي نقطة يقف فيها على كوكبه كروية وأعني أرضنا، وعليه عنى الكون الحدث والتكون أي التحرك والمكان مشتق من كون الذي يعني الوجود والاستقرار تختصر كامل هذه المعاني لتتجسد في الإنسان بكونه الحدث المستقر في مكان متحرك عليه وفي كامل محيطه وباستطاعته إن ينزل في أي منزل فيه، لذلك الإنسان أيضاً جرم صغير يخضع لنظام الحركة الدَّورانية، يملك الزمان، ومتكون من مكان يملك كامل الكون بكونه كائناً من كن فكان في جملته كوناً يكون .

أين هو موقعنا من الكون، وهل نحن متخصصون بالأرض فقط، أم الأرض متخصصة بنا بحكم علاقة الجذب والانجذاب، أي

الجاذبية الأرضية الجامعة لكامل الموجودات الحية عليها، ومهما انطلقنا وسبحنا في هذا الفضاء اللامتناهي ضمن الكرة السماوية الكبرى التي تحيطنا، ليس فقط كوكبنا بل الشمس والقمر والنجوم والمجرات المكتشفة والتي نحاول استكشافها ، هل الكون موقع أي هل يوجد غيره أم أنه واحد أزلي سعى الإنسان طيلة حياته لفهمه، وتحدث عبر مسيرة حياته عنه وقدر زمن حصوله ما بين ١٢-١٥بليون سنة، وفي اعتقادي أن لا تحديد ولا يستطيع أحد مهما بلغ من العلم والمعرفة أن يحدد بدءه حيث أن البديهية تقول إذا كان هناك بدء هناك نهاية هل يعقل هذا ومع التخيل بأن حادثة الانفجار العظيم والفتق والرتق وتشكل السماء المحيطة هي التي أحدثته، أي أن هناك كوناً قائماً في ذاك الوقت نتخيل أنه انفجر أي يمكن أن يكون اعتمدنا على أن الانفجار العظيم هو البداية الكونية، أي أن الكون السابق انفجر في رمته ليعود ويتشكل من جديد وهنا تصح أن لكل بداية نهاية وأن البداية الجديدة تبدأ من نهاية البداية القديمة .

الإنسان هو الكون لماذا ؟ والكون هو الإنسان أيضاً لماذا ؟ ولماذا نفصل الإنسان عن الكون ومن ثم نعيد جمعه ؟ فالأول هو الذي حلله وقسّمه إلى أجزاء وأعطى لكل جزء مسمّى من أجل فهمه وتيسير فهمه، وحينما فهمه عرف أن قواه الأربع الفيزيائية هي: القوة النووية الشديدة - والقوة النووية - الضعيفة والقوة الكهرومغناطيسية - والقوة الجاذبة لنقاطها الكونية، كي تظهر في جملتها كوناً، فحددت لكل كوكب مساره ومجراه وأوجدت لكل

مجموعة كواكب أطلق عليها مجرة، وفي مجموعها مجرات شكلت كوناً على شكل بيوض تسكن بيضة كبرى منها الحي (كوكبنا)؛ ومنها الذي يسعى للحياة، ومنها من هو في طور انتظار قدوم الحياة إليه، ومن يسعى لكل ذلك استكشافاً واكتشافاً، أليس الإنسان أيضاً بطباعه الأربعة والتي هي طباع الكون المائي والناري والترابي والهوائي، أليس هو منجز كوني يقع على عاتقه إعادة إنجاز فهم الكون بكونه عقلياً متأملاً متفكراً متعلماً عالماً عاملاً على بنائه، فكيف به يصل إلى معرفة أن عمر الكون خمسة عشر مليار سنة، وكيف عرف أن الكون يكبر ويتسع من خلال معرفته لنظرية السكون والحركة، وعمر أقدم النجوم ومنذ ذالك العمر المبحوث فيه وإلى اليوم لم نر نجماً يلد نجماً ولا كوكباً يولد منه كوكب، إنما تطور العقل الذي يعود ليطور الأدوات يستكشف من علمه ظهور نجم جديد هو موجود في الأساس، لكن الأدوات العلمية بالتطوير العقلي وصلت إليه ليعتبره كشفاً جديداً، وعلماء الفلك يقرّون وهم يجرون أبحاثهم بالعثور على كواكب أو نجوم أو غيوم قديمة يسارعون للكشف عنها، ونظرية بدء الكون وعمر الكون أخضعها لجدل علمي يتقبله العقل من خلال ما أطرحه كبديهيات في أسئلة: من أين بدأ الكون، وهل سينتهي وطالما أن له تحديد عمر هل سينتهي حتماً، هو جدل فلسفي غايته البحث في تكوين الكون، أيضاً أعتقد أن العقل الإنساني الهائل السعة والذي أوجد أدق الحاسبات لتساعده في إجراء العمليات الحسابية، وحل المسائل الفيزيائية والمعادلات الكيميائية، وخرج بكامل هذه النتائج المتتابعة والتي دائماً في

حقيقتها ليست ثابتة بل متحركة بشكل خطي ودوراني على شكل كلمة كون هو الذي أوجدها، أي أن العقل الإنساني كلما اتسع ، اتسع كونه .

أصل إلى ختم بحثي بحوار كوني عقلي، هل استطعنا وعبر كل هذا الألق العلمي والجمال الكوني أن نرضي العقل الإنساني، وأن نشبع جوعه إلى معرفة كونه الذي أتى منه وعاش فيه مسيرته الزمنية؛ والتي يقر فيها أنه لن ينتهي، لماذا لن ينتهي، إلى أين يذهب هذا الكون إلى كون جديد؟ هنا أتوقف قائلاً: الإنسان هو المنتهي، وفي اعتقادي أن الكون يراقبه منذ بدايته وحتى نهايته، ولذلك راح الإنسان بدراسته لكونه من أجل أن يعرف ذاته وكيف هو فيها أم هي فيه، والعلاقة بينه وبينها وحاجته إليه، وعندما يقترب الإنسان من النهاية يستسلم إلى النهاية يغادر إلى فراغه الكوني، بعد أن أدرك في حياته أنه عاش كوناً مادياً وبدأ من ذرات نووية شديدة القوة، يعود إليها ذرات ضعيفة القوة تفقد كهرمغناطيسيتها وجاذبيتها، تنتشر في كونه كنقاط مظلمة تنتظر أشعة النور القادمة من تلك الطاقة التي أوجدته .

الإنسان كون هذا الكون كامل الصفات والتكوين الجميل امتلك صفات التحليل الخاصة والعامة، فهم الكون واستوعبه وأبدع فيه وحلله لكنه لن يستطيع أن يوجد مثله ومهما بلغ من فهمه له، فالكون يبدأ الإنسان به وينتهي به، والكون سرمدي أزلي احتوى الكل، فهل نستطيع أن نحتويه؟ إننا نستطيع فهم الحديد وتكوينه

والماء وتركيبه الكيميائي والمادة وظواهرها الفيزيائية، لكننا لن نستطيع أن نعيد تركيبها أو إيجادها، إنما هي حوارات وبحث دائم ومستمر يستلمه الإنسان من الإنسان الذي قبله، يسلّمه إلى الذي بعده ضمن حياة الكون التي يتبادلها مع الآخر، على مدار ساعات حياته، يسأله بكونك قادراً على فعل كذا أنجزه وكنت بالأمس وكائن اليوم، وتكون غداً في الساعة حينها لتكون دائماً وأبداً متكوناً من كن في كون يكون .

العقل الكوني أكبر من الكون بكونه كلياً أعطى العقل النسبي مساحة منه، فاحتوى العقل الكلي من خلال تأمله ، فهمه وعرفه وأطلق عليه اسمه، أوجد أبعاده ومقايساته وحجمه وحجم كل كوكب من كواكبه، زانه بميزانه وحمله وسار به باصراً ومتبصراً، اخترع له بداية ولم يستطع أن يحدد النهاية، إنما استطاع أن يتفكر بنهايته الإنسانية، اعتبره حياً لا يفنى بذاكرته، وسأل عنه كيف هو حي شغلته الحياة الكونية كي ينسى أنه سينتهي كإنسان، ويبقى هو كوناً كونياً أرادها له (البداية الكونية)، بكونه لم يستطع رؤية ما قبله فأوجده تحت مسمّى حادثة الانفجار العظيم التي اخترعها لمرة واحدة، ولم يسأل لماذا لم تتكرر، ولماذا حدثت، فهل حدثت في العقل الإنساني الذي أسكنه فيه (أي في العقل)؟ سؤال للجميع أين يسكن الكون في العقل، لماذا وكيف؟ أدع الإجابة لكل من يريد أن يتفكر ويبحث .

الحيرة

إيجابية تنتسب إلى عالم المعرفة بكونها نسبية الإنسان النسبي، تطال عالم القدرات والتأمل المحيِّر في عظمة القدرة الكلية النافذة في الأقدار، علمية تطويرية تفكرية إن كانت غايتها خاصية العلم والعودة إلى الفعل، وتغييرية (من إلى) لتظهر بشكلها الكامل، تكاملية مع الحياة كرؤية تؤدي إلى حسم الأداء الفكري وزيادته، أما إن كانت هجينة أي سلبية متولدة من عدم امتلاك الفهم الكامل للضرورات؛ فهي تبدد قوة القرار الفكري الإنساني وتضعف تركيزه حينما تدخله دائرة الاختيار بين موضوعين تفاضليين، فإن لم يمتلك القرار الحاسم أفقدته قيمة الزمن أخرته فلا ينجح في هذا ولا يسير إلى ذاك، فمتى تنشأ وهل تعيش بين الفعل وردِّ الفعل، وكيف نبدو حينما ترتسم على وجوهنا ؟ لنُعرف بأننا نعيش حالة الحيرة التي نمارس خلالها إشارات لا إرادية وحركات في المكان، وأن الشفاه تُتمتم أثناء حدوثها حيث تجعل من مسيرنا غير منتظم، وحينما نجلس تشاغلنا كي نختار بين إجابتين أيهما أفضل وأدق إن لم نمتلك دقة الإجابة، وحالة الاستيعاب العلمي أثناء سعينا للحصول على نتيجة منطقية مرضية تأخذ بنا إلى النجاح الأفضل.

هي محور مهم من محاور الممارسة الحياتية، لا بد من أنها حدثت وتحدث مع أي إنسان يتطلع إلى محيط التفكر لا في البحث عن آليات الامتلاك والتشبث بالرأي، وبذلك تكون حيرة أهل العلم التي

تقرِّب من أسلوب التمايز والمقارنة بين المرئي واللامرئي كي تنجز أفقاً جديداً، فتحكم بالعمليات الفكرية، أما حيرة التملك في العلاقات الإنسانية الإنسانية من حبّ وأحلام فردية ومقاربات اجتماعية؛ فيسكن فيها سلوك التأخر وفقدان الثقة تحوله رويداً رويداً إلى فقدان للإرادة وإضعاف الهمة الكامن فيهما الفشل ، لذلك أسألك متى احترت آخر مرة وماذا كانت نتيجة تلك الحيرة التي مررت بها ؟، بالتأكيد إنك تحتار حينما تختار ملابسك وما نوع الطعام الذي تريد أن تتناوله وأي صديق أو رفيق تقرّبه أكثر أو تريد أن تبعده، وحيرة القلب وحيرة الصراع السلوكي بين الصح والخطأ والحلال والحرام والصدق والكذب، لا أقصد من كل هذا الحيرة الطبيعية، وإنما تلك الفردية التي تتملك من الإنسان؛ فتُظهر عجزه حينما يحتاج قرار اتخاذ الأولويات، والإجابات تخلخله فلا يؤكد ولا يتأكد، ليبقى في حالة من عدم الثبات والتردد اللذين يؤديان إلى الانحصار في المتاهة والضياع ما بين المدخل والمخرج والاطمئنان الواثق وجمود الأفكار.

إنها نقيض الثقة في النفس، تضغط بقوة حينما تحتار وأنت تختار بين شيئين أحلاهما مرّ، وأيضاً بين موضوعين متوافقين على محورين يأخذان بك نحو الأفضل ولا تريد ترك هذا أو التنازل عن ذاك ولا تستطيع في ذات الوقت الجمع بينهما.

الإنسان العاقل المتعلم الطالب للعلم الناجح العلمي الفاهم لنظم الحياة ومستوياتها ومفارقاتها وغرائبها وعجائبها، المنتمي لا يقارن لا يمايز لا يحتاج للحيرة لحظة الحاجة إلى الاختيار بين الثوابت، بكونه يمتلك سرعة قراره وإيمانه بدقة مسيرته، فحكمته تمنع

عنه الوقوع ضمن محظورها، بعد ذلك يفكر بها بكونها تدخله عالم ضرورة الحيرة، والغاية طلب الوحي الحامل للفتح العلمي وهنا تكون حيرة أهل البصيرة لا حيرة أهل البصر.

الإنسان الفاشل الحاقد الكاذب المتأخر المتخلف غير الممتلك لدقة الجواب يقع فيها، يحاول أن يمارس الخداع وهو يلبس ثوبها كي يخلص ولن يخلص، فالخلاص في الإخلاص الذي يحتاج حيرة التأمل ودقة التفكر وسرعة جواب الوصول إلى النجاح.

لنعترف بأن الحيرة موجودة معنا ترافقنا مهما امتلكنا من معرفة وعلم، وفي كثير من اللحظات ننحصر بها تمر بنا تنقذنا أحياناً وتقلقنا أحياناً أخرى، فنعلم أنها موجودة في داخلنا، تتجول ضمن جمل السلوك والعلاقات والإجابات، وإن أفضل مرتبة لها هي تلك المفردة التي تعيش ما بين الأرض والسماء فيحار المرء في قدرته.

الغيرة

إحساس متعب وصعب، حينما يتحول إلى حالة طارئة تجتاح الإنسان دون استثناء العمر والعمل ودرجات العلم، تتفعّل في عقل الذكر والأنثى حينما تتم مشاهدة التفوق المتحقق من شخص يتماثل في التخصص أو الإنجاز العلمي والنجاح العملي، أو من خلال تصرف كان بإمكانه أن يفعله وتباطأ عن تنفيذه، ويتقدم الآخر ويفعله بالشكل الجيد والذي لم يتوقع أن يصل إليه، حينها يغار ويقول إنه كان باستطاعتي أن أكون مكانه، وحينما أؤكد على أنها حالة

أحاول نفي أن تكون عادة وتحولها إلى عادة تكمن فيها الخطورة؛ حيث تغدو سلوكاً تضعف الثقة وتنجب الشعور المؤلم ينعكس على المحيط، فينشأ الكثير من الإرباك وحالات الاضطراب التي يشعر بها الإنسان ، سؤال هل تغار ؟ من ماذا تغار ؟ ولماذا لا تغار وتغار في آن ؟ وما هو نوع الغيرة المحببة لك ؟ هل تستخدمها في الحب ؟ حب الوطن ؟ حب الأسرة ؟ حب العمل ؟ حب المحبوب والحبيب ؟ هل تتعرض لسؤال لماذا لا تغار وكيف يجيب من لا يغار ....؟ ماهو نوع الغيرة التي تحملها ؟ أسئلة كثيرة تخص الغيرة أدعها أمام ناظريك حللها وأجب كيف أنت وما هي آلية تعاملك معها ؟ .

الغيرة تسكن العمق الإنساني، موجودة عند جميع البشر، تختلف نسبتها من شخص لآخر، وقليلها مفيد وغير ضار بكونها تظهر كدافعة ومحفزة على التفوق، وتؤدي إلى التطور تختلف عن الحسد والرغبة في التملك، ومنه جاء القول كن غيوراً ولا تكن حسوداً وكن ساعياً وراء النجاح ولا تكن متسلطاً على نجاحات غيرك، فغيرك قادم من غيرتك التي يجب عليك أن تختلف عنه فيها ومعها توجد نجاحاً آخر، فتظهر الغيرة هنا كفعل تحفيز لا فعل رغبة غايته الحصول على ما امتلكه غيرك .

إنها سمة من السمات الإنسانية الراقية، تتفاعل في الفكر القادم من النظرة وتتحفز للانتصار لما يملكه الإنسان من محبة أو يختص به، تتحول إلى حمية لملازمتها المحموم ملازمة الغيور لبعلها، ترتقي درجات الأخلاق، حينما تكون من أجل شرف العمل وحماية الوطن

بكون العمل مسؤولاً عن الأعراض، والأرض صورة الوطن الحامية للإنسان يغار عليها ويحميها لتحميه .

إن امتلاك معرفتها وأسسها تغري القلب بالتدفق، وتحفز الإرادة لزيادة الفعل الإنساني الإيجابي محمّسة إياه كي تبعده عن تلك الغيرة الخاطئة في وسائلها ورسائلها وطرق التعبير عنها؛ التي تُطوّر أنا التملك المتحول إلى تسلط يؤدي إلى نفور الإنسان المرتبط به منه والمحيط أيضاً، وعليه تكون غيرة الجهل دافعة بإشعال نيران تحرق المراد والمريد، بكونها لا تمتلك المعرفة ولا تسعى للتحقق، تفتقد التدقيق، تستمع إلى روايات قصاص أو لئيم، بالتأكيد لن أغفل الغيرة الطفولية ولا غيرة المراهقين ولا غيرة الأزواج ولا غيرة التنافس في الحب، وعليه إنما نسترسل باحثين عن الغيرة الخلاقة الطبيعية والمحببة؛ التي يستشعرها المرء فتأخذ بيده كرافعة تنقله إلى واقع جديد يطور في داخله الحب محفزة فيه وضع المنافسة الشريفة والإيجابية .

إن تطور الغيرة يتحول إلى كراهية، وحينما تغار المرأة من الرجل تؤذيه في مشاعره، وحينما يغار الرجل يكره ذاته، بينما الغيرة على من نحبهم خوف من أن يصابوا بمكروه لأننا نحبهم، وينبغي علينا ألاّ نعبر عن حبنا لهم بالغيرة عليهم، فالحب أكبر من الغيرة ولذلك الغيرة تسكن الحب، فإذا تفاعلت في داخله أنهته بكونها تتحول إلى شك، وأول مظاهر الغيرة التشكيك في الآخر، حيث يفقد الإنسان الأحاسيس بالحب رويداً رويداً تتحول إلى شك قاتل به غيرة شديدة تقتل الحب، لنمتلك غيرة المحب في الاعتدال

فيكون لنا جملة من الأحاسيس تربطنا بالأرض والإنسان والعمل، وتغدو صفة إنسانية تكوينية تحمل معنى الحمية والأنفة تضبط الإيقاع وتوجد للأعذار مساحات تبعد الشكوك، محببة الإنسان بالحياة التي يستحق أن يحياها من تذوقه لمعنى الحب المطلوب أن يسود الإنسانية جمعاء ينتهي فيه الحسد والكراهية والشك .

الشكّ

تختار، تمنح ثقتك الكاملة، تُفاجأ بعد حين أن شيئاً ما بدأ يتسرب إلى ثقتك ينخر فيها تدقق، فيستفيق الشك الغافل ضمن مساحات العقل رويداً رويداً يكبر، إما أن يصدمك حينما تمتلك اليقين بأن شكك في مكانه وإما أن تدغدغ أفكارك مطالباً إياها بإعادة الشك إلى نومه ،كثيراً ما نستخدم عبارة (مما لا شك فيه) كما أن مجتمعاتنا تتمتع بثقافة اليقين التي تستند إلى اليمين الروحي مستعينة صيغ الشك أحياناً على الرغم من ندرتها مثل: أظن – ولعل – وقد – وربما - وما شابه ذلك، نتجه إليه من أجل فهمه فنقول: إن من لا يشك لن يصل إلى الحقيقة، ومن يستمر في الشك لن يعرفها أبداً ، حالة تسيطر على المرء يسقطها على الإنسان المحيط أو الأشياء أو الأماكن أو المواقف؛ تؤدي به إلى ضيق واضطراب في المزاج يظهر ضمن كتلة الشعور الإنساني بشكل عادي إذا كان في حدوده الطبيعية، أما إذا صار مرضياً يقلب حياة صاحبه إلى عناء به جحيم وانعزال مرتبط بالشخصية وتكوينها، علاقته

تبدأ من الفرد تمرّ بالأسرة والمجتمع، يتطور سلباً أم إيجاباً من طرق التربية والبيئة المحيطة ، قاعدته كبيرة إن امتلكت الانفلات، وإن انحصرت تبني عليها هرماً، حينما ينتهي يتحول إلى يقين، وهو على أنواع: فطري وشكله الاختلاف بين المتشابهات، حيث يشك بين الملح والسكر ويقينه التذوق، وعلمي منهجي يخضع لإرادة الافتراض من أجل اختيار المعلومات ونفي الخطأ أو تصحيحها، والاصطناعي زمنه قصير بغاية الحصول على نتائج سريعة، هو ليس الجهل، فالشك موقف عقلي يمتلك كامل الوعي وحده يتوقف عنده الإنسان مستخدماً فيه التفكير العميق والاحتياطات اللازمة، فيكون معناه في التعريف: التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما عن الآخر أو ما استوى طرفاه، وبشكل أدق إنه تلك العملية التي يتوقف فيها العقل عن إصدار حكم ما بحجة أن العقل والحواس لم تستطع الوصول إلى اليقين، وعليه يكون الشك العلمي والروحي المنهج بكونهما يحتاجان بعضاً منه ليظهر في المحتوى النهائي يقيناً .

يعتبر الشك تعبيراً عن الحرية الذاتية للفرد، بكونه يحمل الإرادة الحرة دون أي إجبار واعتباره أداة مساعدة وعاملة على تشكيل فلسفة تكوين الأشياء، حيث يعزز الصحيح منها ويصحح ما بني على أنصاف الحقائق، وبما أن كل إنسان يحتاج إلى درجة بسيطة من الشك يحمل بها فكره وشخصه من الوقوع في بعض الأخطاء والتأكد والتيقن من الأمور قبل الإقدام عليها، وهذا النوع ضروري لكل إنسان حتى لا يكون (إمّعة) يقبل كل شيء دون محاكمة أو تقييم، فالتشكيك في بعض الأمور بديهة غايتها الدراسة

بعمق أكثر واكتشاف المعضلات والتدقيق في مكنوناتها من أجل فهمها والتعلم من المكتشف من أخطائها، أما إذا تطور أي الشك وتحول إلى سلوك ملازم للشخصية الإنسانية ؛حيث يجد صاحب هذا النوع صعوبة في التواصل الاجتماعي يؤدي به إلى الانعزال بكونه يعيش التردد الدائم الذي يحوله إلى متخلف حينما يحمل التفسير السلبي للأحداث وتصور النوايا الخبيثة عند كل إنسان آخر، يطور الأحقاد ويمنع القدرة على الصفح والغفران، إن شكل الشك النهائي مرضيّ وإذا تملك الإنسان بنى لديه اعتقاداً أن كل من في محيطه يريدون له الأذية يعيش هاجس المكيدة والمؤامرات، يتخيلها بأنها تحاك ضده فيعاني بشكل دائم من الأوهام الاضطهادية والشعور بالخوف الدائم .

الشك ذاتي يختلف عن التشكيك القادم من لغة المكائد والأشراك والضغائن وزراعة الفتن، يسكن الغيرة ويتفاعل مع الحيرة اللتين إن تطورتا فيهما حولت حامله إلى سلبي ومؤخر ومتأخر وتظهره في حالة العزلة والتقوقع.

نختلف حوله لنؤكد أن الشك العلمي يغني التجربة والنظرية، ويؤدي إلى الاستكشاف واكتشاف الجديد، فإذا كان كذلك يعيش ضمن البحث عن المعرفة، فلك الحق العلمي بأن تشك وإذا شككت وامتلكت الأدوات فلابد إلاّ أن تصل إلى شيء ما يرضي شكك، حيث نعتبره هنا مطوراً للعلم أو يؤدي إلى التطوير بكونه يفرز السالب من أجل أن يظهر الموجب .

ينتفي الشك حينما نمتلك المعرفة التخصصية، وواجب عليك أن

تتخلص منه بكونك لا يعتبر معه و به من أهل العلم والفهم يظهرك متجلياً في قوة الإجابة حين حصول السؤال حيث يظهر اليقين واضحاً، وحينما لا نمتلكها يبدو الشك جلياً من خلال الاستعانة بأدواته التي ذكرناها في مقدمة حوارنا هذا حول الشك، وبالرغم أن الشك في قمته يؤدي إلى اليقين واليقين هو ضد الشك .

الظّن

إنه ليس لعبة فكرية نمارسها وننتظر نتائجها، يقع ضمن معنى ممكن أن يكون هذا أو ذاك، ولا وجود له في المستحيل ومفقود في اليقين، حيث يعيش متجولاً في العقل والتحليل الذهني، وعليه يكون غير منظور من العين المبصرة، يتكون من رؤية فكرية تخالف الشك والقلق ولا يحمل الرؤية العينية، حيث يتشابه مع التخمين ويختلف عنه بكون الأول يخص الإنسان والأعمال والأفعال، والثاني أي التخمين يختص بالمكونات المادية تتعدد أشكاله، فحينما يكون معلوماً وعلمياً يتحقق فيه التصور للمتفكر به أياً كان نوعه ، وفي حال الجهل يبدو على شكل توهم لأي شيء أو فكرة لا تمتلك أي أساس علمي، والفرق بينهما هو الإثبات الذي ينفي الظن أو يثبت خطأه، فإذا كان مبنياً على معلومات سليمة صدق وإن قدم إلى العقل المتفكر من معلومات غير صحيحة فشل وكذب، ودائماً وأبداً الصدق في المعلومات الواردة تفقد الظن حضوره وتبعد الوهم وتقتل الشك، عليه يكون الظن فوق الشك ودون اليقين، وهو يخضع لنظرية

الاحتمالات غير المتلكة لدقة التوقع وختام الإجابات الصحيحة، يحصل الظن من الوشاة المارقين في الحياة، والمتمردين على لغة الصح وغير المنتفعين يبثونه من أجل غايات خبيثة، فيخلطون بين الحقيقة وضدها، وهنا أستحضر الآية الكريمة الخالدة على سطور المقدَّس (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم) فكيف إذا كان كله! فإذا كانت هذه الدعوة لاجتنابه والابتعاد عنه، فكيف بنا نتبادله؟ ألا يشكل دعوة للتأخر حين الأخذ به ؟ وفي العلم هو علم لم يتحقق وفي الحسِّ لم يلمس، وإذا استجاب له المرء أنهى وجوده من عالم الاجتماع، وأصابه في تطوره بالشك المؤدي إلى الانعزال، ومن ثم تحوّله إلى مرض عضال .

إنني لا أتحدث عن الظن الإيجابي والذي يصدق في كثير من الأحيان متقارباً مع نظرية الاحتمالات، وسنعرج عليه، إنما أقصد الظن السلبي والمتجسد في الإنسان الظنون الذي لا يوثق به ولا بخبرته بكونه يحمل ظن التخلف والتأخير، يعيش بينهما الحسد والكراهية والحقد، وعليه يكون صاحبه مفتقداً إلى ثقته بذاته وبالآخرين، ورجل فيه ظنّة متهم، أي يحمل تهمة تلبسه، وفي المعاجم (البئر الظنون) أي البئر الذي لا يوثق بمائه .

لا يفسر الظن دائماً بمعنى سلبي، وكثيراً ما يكون عند العاقل المالك للعلم والفاهم لطبيعة الحياة إيجابياً فلا يتهم البريء حتى ينفي الشك باليقين بكون الظن يعيش بينهما، ودائماً وأبداً الإثبات هو أداة نفي الظن والشك ،واليقين يتأكد من خلال الشواهد العلمية

والروحية النظرية والعملية، والتي يجمع عليها جمهرة الفاهمين المالكين لقواعد فهم أصول الحياة، والمترفعين عن مغرياتها حيث ينجزون الأحكام ويضعونها في مقاماتها النافية للظن والمنهية للشك المدعمة باليقين .

يتجول الظن متحولاً إلى لغة دافعة تحدث التطور عند الآخر المظنون به، حيث يندفع إلى إثبات حسن العمل وتقديم الجيد، وغايته هنا التطوير ولا يستخدم إلا من قبل العاقل الواثق، وحينما يطرحه بأسلوب الإشارة البصرية أو الحركات اللفظية يؤدي إلى الإفادة والتطوير .

يعتبر الظن من الأدوات المعطلة التي توقف تطور الإنسان الفاعل إن تمكن منه وأدخله في البحث عن التفاصيل المنجبة للقلق الفتاك والشك الهدام، وعليه تكون ضرورة التخلص من الشك السلبي الجاهل؛ الذي يؤدي إلى التخلف وفقدان العلاقات وإنهاء العملية التطويرية والتخلي عن الصبغة الإنسانية، أما الظن العلمي فلا ضير من امتلاك بعض منه، بكونه يخدم العملية العلمية الإنتاجية للحياة الإيجابية .

لا ينبغي لنا أن نظن ببعضنا إلاّ الخير، وأن نبحث في حالة الظن التي تنهي الشك باليقين، بكونها تعيش بينهما تربك الفكر وتقلقه وتؤرقه، بعدها نقرر ما نريد أن نفعله بدقة من خلال امتلاكنا للمعرفة الموثقة فتنشأ الثقة ونستمر مع بعضنا، ويستمر معنا مسيرنا الكوني فننتج .

الفناء

ليس ضد البقاء، إنه مرحلة ما بعد الموت أي أن الموت ضد البقاء، وهنا أصحح ما ذكره كامل التاريخ بكون الموت علمياً هو موت العقل وتوقفه عن توزيع المهام مع بقاء الجسد كاملاً وبكامل مواصفاته، وأيضاً انتهاء فعالية الجسم المادي لا يعني أنه انتهى إنما فناؤه بزواله نهائياً من كامل المعالم، وصحيح أنه عُرِّفَ بسقوط الأوصاف عن الموصوف، لكنني أقول: إن زوال الأوصاف عن الموصوف لا يفنيها، وفناؤها الحقيقي يكون بزوال ما بقي منها وتحوله إلى نقطة، وتحول النقطة إلى ذرات، فالشجرة كما الإنسان تموت، ولكن يستفاد من جسمها وفروعها إلى أن تأكلها القرضة التي فعلت فعلها في عصا سليمان، والجسد الإنساني بعد توقف أعضائه كما أشرت بموت المخ المحرك الرئيس حيث يبقى الجسد (مثل حالة مومياء الفرعون والذي جسده باقٍ منذ آلاف السنين وحتى الآن بتمامه) والفناء الحقيقي هو فناء الجسد (أَي جسد) إنسان حيوان نبات مادة مصنعة مواد طبيعية بعد مرورها بحادثة الموت، حيث من الممكن أن يبقى لزمن طويل موجوداً قبل وصوله إلى حالة الفناء، وتعريفها في لغة المصدر فنيَ فناءً إذا اضمحل وتلاشى وعدم و(فان) هي نهاية النهاية، أي ما بعده شيء، وهي مثل آمين لغة عالمية، المعرفة لا تفنى بكونها جوهرَ العلم ، العلم لا يفنى بكونه النور، والنور لا يفنى بكونه المحيط، والمحيط لا يفنى بكونه الكلي، الفناء

للنسبي أياً كان شكله، وكامل الموجودات نسبة الكلي في الانتساب وإنجازاتها عائدة إليه في النهايات .

الفناء هو التحول النهائي إلى شكل تراب، أي يسوّى مع سطح الأرض ويشبه عمقها، ليغدو مكوناً من مكوناتها، وقد يبقى الجسم بقاءً مادياً لسنين طويلة بعد موته كي يفنى وتذروه الرياح في رحلة إلقاح جديدة، حيث الزهر ينتظر تحوله إلى ثمار وعطاء، إنه ترفّع الأنا بانتهائها واجتماعها بعد دورانها في المحيط الذي انفصلت عنه وغايتها العودة إليه ، سؤال المحيط يفنى ؟ لا يفنى، القطرة بعد انفصالها منه وتحولها إلى غيمة وتجوالها في فضاءاتها تنهمر تولد من جديد تعود إليه متهالكة كي يعيدها إلى غيمة .

هي هكذا رؤية قصة الفناء، هل هناك فناء لا فناء بل بقاء متجدد، يمر عبر دوامة ودورة الحياة ينجذب ينفصل يبقى يموت يفنى يعود يعطي يأخذ ينتهي يتجدد يستحدث يحدث يتحدث، كيف يحصل هذا؟ مثلثات تشاد على مربعات تظهر أهرامات خالدة باقية لا تفنى، من كل هذا نستنتج فهماً عنه أنه قمة المنى وهدف الوصول والوصول إلى الهدف، فإذا كان الاضمحلال والتلاشي فأنا أقول إنه التحول إلى ذرات حيّة تعود من أجل بقاء البقاء والحفاظ عليه، وإلاّ لا بقاء بل هباءً منثوراً بلا جذور، وعلاقته مع الإرادة قادمة من وحدة الحركة والسكون، وطالما أن الحركة مستمرة فالسكون المختلف عن الفناء حالة بقاء ينتهي إلى الذرة كي يعود موجوداً خارجياً في وجود حقيقي له شكل ومنطق وعقل وظهور .

أعتقد أن الفناء الحقيقي يحصل في الموجود الحيّ، والموجود

المادي الاصطناعي حينما تنتهي مقدرته على العطاء وتبادل الفعل وعدم فهم أسباب وجوده، فهذا فني قبل أن يموت وتجاوز الموت في بقائه فانياً لا قيمة له، وحينما يفنى بعد موته بزمن لا يستفاد منه بكونه لم يحمل لا موروثاً ولا مورِّثاً، وهو موجود بكثرة في العامة وعند مدعي الخاصة، أما في خاصة الخاصة فلا فناء لهم كاملاً، بل فناؤهم جزئي بكون الإنسان مادياً ولا مادياً ينتج في اتحاده بينهما عمل نوعية العمل لا تفنى سلباً أم إيجاباً بحكم التداول .

هل يمكن فناء الأوصاف الإنسانية وبقاء الجوهر الكوني؟ فيحدث إدراك البقاء والقيامة الكلية قبل الموت أو بعده فيختلف التركيب الإنساني ليكون جوهراً يحيى في البقاء الكلي لا يعرف الموت ولا الفناء، ولماذا الفناء اختصاص موجودات الكوكب الحيّ (الروحي) ومكوناته تفنى ولا تفنى؟ فإذا كانت جميعها من ماء وهواء وتراب فإنها لا تفنى بكونها تعود لأصلها بعد انتهاء صورتها .

العري الفكري

القصد منه إجراء عملية بوح فكري لمفاصل وأطراف الذات الإنسانية، بغاية إحداث المداعبة الحياتية وإظهار البسمة أو تقطيب الحاجبين، ومن خلالها تحدث عملية التطهير الروحي التي تحاسب بها الارتكابات الخاطئة التي تسكن ضمن آلية الندم، وفي ذات الوقت تدون لحظات صادقة ورائعة تشكل لك دافعة راقية فتستمر بك الحياة الجميلة وكأنك ولدت من جديد .

من يتجرأ ويتحدث لنا جميعنا ذكراً أم أنثى عن ما مر به في رحلة التفكر أثناء مسيرة حياته، على اختلاف تنوعاتها وامتداداتها ومحاورها وصعودها وهبوطها، والتعثرات التي أصابته ووقع بها والنجاحات التي حلم بها ووصل أو كاد يصل أو لم يصل إليها، بالتأكيد كلمات فيها الحقيقة التي لا يتجرأ أحد على البوح بها أمام أيٍّ كان، حتى وفي كثير من الأحيان يحاول أن يتجاوزها غير راغب تصورها أو الحديث عنها مع ذاته وكثيراً ما يحطم المرء مرآته التي وفي غفلة منه تريه ماضياً لا يريد أن يراه .

لكنني وأنا مثلكم أتقدم إلى الأمام أساعدكم وأساعد نفسي على التقدم بعكس ما تعتقدون أنه حاصل إلى الوراء، ولكن في حقيقة الأمر نستعيد الوراء في آلية المنعكس على الأمام حيث نظهر بمظهر المتقدم، ونحن نعترف بما مرّ بنا مما مضى والذي هو الخلف والوراء أي الماضي، وفي حقيقة الأمر إن الماضي يعيش بالفكر وضمن الصندوق الأسود الخاص بالإنسان والموجود في الجانب الأيمن، حيث الفراغات الكبرى على شكل كهوف ووديان كبيرة وعميقة لا يمكن محوه أو نسيانه مرة ثانية مما يستطيع أن يعري فكره يستنهض ماضيه وإلى من ينتسب من فكر مؤمن أو كافر أو محايد أو إبداعي أو ثقافي، بالمحصلة هي أديان فإلى أين اتجهت أنت مؤمن، تؤمن في الاعتقاد القادم من معتقد تعتقد به، فإذا حصل الاعتقاد والإيمان أجبرك على الدفاع عنه بكونه أنجز جملة سلوك، وأنت تسير يظهر منك يدل عليك ليبقى ما بداخلك ملكاً لك، أنت الوحيد الذي تعرف قيمة صدقه وقوة تصالحك معه، ومن خلاله يأخذ بك لتتعرّى

أمام ذاتك، أو في المقدرة الكبرى التوافقية أمام من تحب أو من تكره بالرضا أو بالإكراه ،ولكن يبقى لك كما تحدثت بقايا خصوصياتك ،وهذا محور القصد وبه بيت القصيد في هذه الحوارية التي أرجو من خلالها أن تكون محببة للجميع؛ التي اعتبرت من باب التذكير غايته تنشيط الذاكرة ومصارحة بين العقل والذات، تهدف الانتقال إلى الأمام بعد أن تكون قد قمت بإعادة التأمل في كل المحطات الحياتية التي مررت بها ،تقربك بشكل إيمائي من روح الحياة الكونية وتطور بصيرتك المنظورة من البصر الناظر إلى كل التجارب الحياتية مطلعة إياك على كامل إيقاعاتها، وعليه تكون قوتك في استطاعتك على المصارحة التي تشكل لك لوحة تبعد الضغينة وتملؤك بحرارة الحب الذي يذيب جليد الوجه، هذه التعرية للفكر تريك رحلة التعب بكل ما فيها من جمال وألم والتي تكونت مع الرحلة العمرية التي بنيت بها المداميك الحقيقية والهلامية، تمر بها الروح تبتسم حال رؤيتها للكتل المأساوية وتعترف أن الماضي يعيش في صميم النسيج الإنساني الفكري؛ والذي لا يكتمل إلا بانتقال الإنسان إلى العالم الافتراضي، حيث تكون هناك المراقبة الحقيقية من الروح التي خرجت ونظرت إلى الفكر العاري بأكمله والمادي بغناه .

لماذا أذكر هذا وأنا أتحدث عن العري الفكري وقصدي هو قراءة الذاكرة الإنسانية منذ حدوث الوعي التسجيلي، وإلى أين وصل كل واحد منا حيث هو يقف من عمره الزمني، وهذا يحتاج قوة إرادة وتصميم ليس قراءتها فقط بل ومشاهدتها كأفلام وثائقية

أنتجت سابقاً كأرشيف إن كانت مرتبة وهي مرتبة بالفعل بحكم التسلسل الزمني المرتبط بحدوثها أولاً، ومسيطر عليها من العمر العقلي القادمة منه ثانياً .

أيضاً لماذا كل هذا الدوران حول موضوع العري الفكري، أي إحداث مراجعة زمنية بحكم تراكماتها ومناقشتها مرحلة تلو الأخرى، ولماذا لم ندخل به مباشرة في الحقيقة إنه موضوع شائك ويحتاج التبحر وجرأة الاعتراف، بكون هذا الماضي يحمل شغب الطفولة وطيش المراهقة ومراوغة الشباب وتعب الوصول إلى الرجولة وبطء الكهولة واستراحة الشيخوخة، وكل واحدة منها فيها من المضحك المفرح والمحزن المؤلم ما يكفي لإنشاء معادلات معقدة يصعب تفكيكها، وأثقال تعجز الأرض عن حملها فكيف بي وبكم نريد التعري أمام بعضنا فكرياً طبعاً لا جسدياً؟ ولكي نستطيع أن نضع أسئلة تمتلك تحريض الوجه على الابتسام ومنها ما يستدعي تجهم الوجه وبعضها يثير العتب وربما الغضب، ندخل عليها نفكك رموزها عقداً عقداً نسجل الدعابات والمشاغبات، وأيضاً نراقب البناء الفكري وكيف حولناه إلى مادي وأين تمت الخطوات السليمة وكم احتجنا من ارتكابات لنصل حيث وصلنا :

● إذا كنت قادراً على استحضار طفولتك منذ عمر خمس سنوات وحتى عشر سنوات ما هو حجم المشاغبات والمداعبات التي تتذكرها والحركات التي كنت تقوم بها والتأنيب الذي تعرضت له لفظياً أم جسدياً من خلال أقوى ممارسة نالت منك نتاج خطأ كبير أو كذبة بريئة، وهل كنت هادئاً أم مشاغباً وكيف كانت معيشتك ضمن أسرة

وفرت لك كل الظروف أو لم توفرها (أي غنية أم متوسطة أم غير مكتفية)، وحينما دخلت الصف الأول وغادرت منزلك إلى تلك المدرسة هل أحببتها وما هي الذكريات التي سجلتها عينك من لحظة خروجك من المنزل ومرورك في الطريق الاجتماعي ووصولك إليها، هل تذكر أو تتذكر تلك المدارس الثلاث المنزل والشارع والمدرسة، هل كان هناك تجانس، أم كنت تحلم بالحرية الموجودة بين المدرسة والمنزل وأنت ترى المهن الاجتماعية البسيطة تمر من خلالها بكامل ما فيها من إيجابيات وأخطاء تراها الآن؟، وإذا كنت الآن في عمرك الزمني الذي تقرأ فيه ما بين يديك وتتفكر ماذا عنى لك الغنى والاكتفاء والفقر في ذلك العمر، ماذا منحت وماذا اشتهيت ولم تحصل عليه وبأية ألعاب لعبت؟، حاول أن تتذكر قدر ما استطعت فهذه الذاكرة مهمة جداً بكونها أسست محاور حياتك القادمة .

من سن العاشرة وحتى العشرين وما مررت به من بلوغ ومراهقة، وهل كنت تعي ما تفعل من عادات وممارسات، وهل كنت مدركاً أم كنت تتعرض للتأنيب والتنبيه والتوجيه، أم كنت تؤنب نفسك وتعدها بأن لا تكرر ما فعلت بعد انتهائك من الاستمتاع بأي عادة تملكت منك وحولتها إلى سرية واستحضرت لها الخيال والتخيل لما مر في طريقك من مشاهدات جوار أو أقارب أو غرباء؛ بحيث لا يمكن لك أن تحقق المتعة دون خيال وصور مهما كنت وكيفما كنت وأينما كنت وأي شخص كنت، وهل كنت تضحك عندما تتذكر ماذا كنت تفعل وماذا كنت تتخيل، وهل كان الضمير يحضر وتلعن من خلاله شيطانك، وهل تشكلت لديك المعتقدات التي هيأت لك مكنونات

الثواب والعقاب وفلسفة الحساب، وكيف كنت تهرب من بين كلماتها المتواجدة على سطور المعرفة؟، حاول أن تتذكر أنك أحببت بالطاقة الجنسية وجريت خلف الصبايا، والصبايا غمزن من باب الجري وراء الشباب، هل قرأت واستمتعت فأحببت القراءة وهل كتبت مذكرات فيها من الخواطر الشعرية والكلمات الأدبية البدائية؛ والتي سكنت عقلك نتاج تخيلك أنك أحببتَ فتاة أو أحببتِ شاباً من خلال التشوق الجنسي القادم مع سن البلوغ وسني المراهقة، ودونت ذاكرة الفقر ومراقبة الغنى وحلمت بأن تكون غنياً لتستوعب آلياته وتنظر من خلالها إلى الفقر فتساعده بكونك مررت به، هل جذبك معتقد غير ما أنت عليه وسرت مكرهاً إليه، وبعد ذلك تفكرت بالذي حملته دون إرادة منك بحكم الانتساب إلى الأسرة والمجتمع لتسجل ضمن معتقداتهم، هل كونت علاقات اجتماعية صداقات ورفاق وزملاء، ماذا بقي منهم في يومك هذا الذي تطّلع به على فكرك العاري أمامك، وبماذا حلمت في ذلك العمر، وهل وصلت إليه وأنت تقرأ هذه الكلمات أم مازلت تبحث عنه أم توقفت واستسلمت لقدرك بحيث أنك لم تعد قادراً على تحقيقه فاكتفيت بالنظر إليه؟.

● كيف تصرفت من سن العشرين وحتى الثلاثين، هل امتلكت فهم الحياة من حيث وصلت في مرحلة التعلم ودخلت إلى سوق العمل مبكراً، هل تعلمت وامتلكت تحصيلاً علمياً وحصلت على عمل، هل دخلت الجيش أو أديت واجباتك الوطنية، هل تعلمت مهنة وخضت تجاربها أي ألف بائها وامتلكت منها الطموح لتغدو معلماً مهنياً؟ حاول أن تتذكر البدايات في كل الاتجاهات المهنية والعلمية كما أنه

عليك أن تحاول الاعتراف إن فشلت هنا أو هناك .

● لماذا أنت مستسلم؟ لا ينبغي عليك أن تستسلم تزوجت طبعاً وأنجبت، ما هي علاقتك مع زوجتك وهل زواجك ناجح من خلال التصالح والتصارح وإيمانك بأن التكوين الأسروي ضرورة حتمية من أجل الالتفات إلى التكوين الاجتماعي الحياتي الذي به أسباب وجودك ووصلك وتواصلك، هل كان لك رأي في اختيار زوجك هل أحببتها وأحبتك وآمنت بها لتعطيها كامل المشاعر الزوجية والواجبات التي تطالب بالسعادة للطرفين كي يكون اللقاء تكوينياً أولاً، حيث يحقق الراحة والأمان الجنسي ويعمل على إفراغه من الفكر كي يتجه الطرفان إلى الجني والبناء، أم كان الاعتبار الأولي دون وعي لفلسفة التكوين الأسروي التي تحمل المسؤوليات الجسام؛ والتي إن لم يفهم معانيها الإنسان يتجه إلى خروج الجمل الحياتية الناظمة والمنظمة للمسيرة الإنسانية فيعيش في دوامة التعب المرافق له عبر حياته، بشكل أدق هل وفقت في زواجك أم أنه كان عالة عليك؟ ، بالتأكيد أنجبت بنين وتفكرت بأنك أنت الذي أنجبتهم وأنك مسؤول عنهم، وعليك يقع عاتق تربيتهم وتنميتهم وتعليمهم، ومطلوب منك أن تكون جسراً بين ضفتي نهر جارف ليمروا من خلالك وخلال ضمانات أسوارك بأمان دون خوف، يحملون الطمأنينة منك مؤمنين بأنه لا منة لك ولا فضل، وإنما واجبك بحكم إنجابهم رعايتهم وإيصالهم، فإن أحسنت فلن ينكسر الجسر وستعيد كبرياءك وشموخك بشموخهم ووصولهم إلى شاطئ الأمان الواقع على الضفة الأخرى، وعليه يترتب أن تحسن تربيتهم

كي يحسنوا معاملتهم لك، وليتعلموا مما علمتهم علم التواصل الأسروي والاحترام للتكوين بغاية استمرار التواصل الإنساني في مسيرة البناء التي وجدت من أجل الإنسان بجزأيه الذكر والأنثى المنفصلين في الصورة والمتحدين في الجوهر، هي قضية إيمان بالحياة ومشاعر صادقة تجاه الفعل الحقيقي القادم من كل ذلك، كي يظهر البنيان فتحترمه ليحترمك. لهذا أصل معك ومعي ومعه إلى سن الأربعين الذي به ندخل جميعنا إليه وأقول :

المفترض أن يكون سن النبوءة، أي سن الرجولة والمقدرة على فهم واستيعاب العقود الثلاثة، حيث عاشت بها المغامرة بكل أشكالها الدينية والجنسية والاجتماعية والاقتصادية وظهرت فيها عناصر البناء الإيجابي وأبعاده التي تأسست بغاية إتمامها في هذا العقد من العمر، وأيضاً الذي يحمل الجهل والتحول الجنسي إلى شهوات فائضة قد تسبب الفضائح من خلال الممارسات المرتكبة فيها، وهو سن إخفاء كل ما مضى من عبث ولعب ومجون، والمفترض فيه اكتمال العقل وتحول النظر إلى بصر والبصر إلى بصيرة و به تتسع زوايا الرؤية وتتباطأ الخطا، فلاعب الكرة في العشرينات يعدو عشرات الكيلو مترات، وفي الثلاثينات آلاف الأمتار، وفي الأربعينات مئات الأمتار، وفي الخمسينات عشرات الأمتار، وفي الستينات يحمل مقعداً نقالاً يرتاح إليه كلما خطا بعض الخطوات .

نعم، أعود إلى قضية المشاعر وما اكتمل من العقل الذي به يطل الإنسان، إما لتعزيز عقله فيظهر به رجلاً فيه مواصفات الرجال، وإما يتنقل بين العقل والجهل ليحمل سمات عدم الثبات، حيث

تنعدم نقطة الارتكاز ويضيع في متاهات اختيار المسارات النهائية؛ لأنه ما زالت لديه مساحة من القوة والأمل يستطيع بهما العمل والفرصة متاحة بقدر؛ بكونه قادراً على الفعل والإنجاز من بقايا قوة الشباب، فالرجولة عقل وحكمة ودراية لما جرى ومرَّ في حياة العقود الثلاثة الماضية من تخبطات وتقلبات وانتقالات ولعب على الحبال وحب وكراهية وتملك وافتقاد وغيره، حيث في هذا العمر يزداد الوزن الثقلي ويتجه إلى تحسس مواقع أقدامه قبل نقل الخطا، وبه يتحول إلى شخص حسابي، فإن لم ينجز تكويناً لن ينجز؛ بكونه فقد المقدرة على الخيار والاختيار واستسلم لما هو عليه من حال، وآمن بقدر الأقدار في اعتقاد أنه سيُرفض بحكم مرور الزمن عليه وفقدان السيطرة على كمال الأشياء دون نفسه؛ فهو الذي يقودها ضمن مسارات الرياح التي إن قادته إلى ما لا يحمد عقباه، وإن قادها امتلكها، فكان انتقاله إلى العقل الخامس عقد قوة الرجولة التي تكمن بها الشهامة والاعتزاز والتدقيق في ما أنجز، فإذا كان من أهل الإنجاز أعاد تفقد إنجازه برؤى الإبداع ودخل عالمه من بابه الواسع الذي يصنفه ضمن مراتب الأقوياء الفاعلين في مسيرة الحياة، وبمعنى أدق أن الحكمة التي علت رأسه بعد أن تملكت به قوة العقل أظهرت جماله الفكري ضمن الحاضنة الروحية ومسيره الهادئ الجميل بذلك يشير إليه الآخرون بأنه رجل حكمة يُستند إليه ويعتمد عليه .

إنه العقد الخامس تسكن به الفرصة الأخيرة من فرص الحضور الإنساني التي منحت له على شكل مساعدات خفية غير المعرفة

ولا يكمن بها تعريف، فقط يشعر صاحبها بأن فرصاً كثيرة غيبية ساعدته، فإذا اعترف لداخله الروحي وشكر استفاد كثيراً حيث له من الفرص القادمة أيضاً الكثير، أما إن تنكر وجحد استُلبت منه كامل الفرص التي مُنحت له ليدخل أرذل العمر إما سعيداً أو شقياً، ومنه نصل إلى أن هذا العقد من العمر يتشابه مع عقد المراهقة في اختيار المسار النهائي، فإذا بدأ بذلك العقد باصراً وتفهم حقيقة تكوينه وصل إلى هذا العقد على شكل فنان يرمم ما بنى من خبرة تراكمية هائلة، مَثله كمثل الذي يرمم لوحة فنية أثرية بتخصص نادر حيث يرى ما لا يراه أحد آخر مصلحاً ما قد بدأه في زمنه الأول وباحثاً عن نقاط الخلل الصغيرة التي تشكلت كنوافذ أو ثقوب تدخل منها رياح التعب والخطأ والخطيئة يصلحها مرمماً إياها كي لا تخلط أوراق العمر، وهو ينتقل إلى كهولته المتبقية من عمره الذي تناقص منذ لحظات ولُوجه إلى هذه الدنيا التي بها دنياه، وعليه يتطور حبه حتى يصل طفولته الأولى وهو يتناقص فيحزن من أي فعل سلبي ويفرح لحبّة سكر تثلج قلبه وعقله، يتقدم بشكره البصري لمانحه إياها متمتعاً بضحكة براءة الأطفال حين تقدم لهم الحسنة لا يعرفون الشكل بل يضحكون ويهربون .

لن أكتب عن العقد السادس ولن أدخل متاهاته وحوارياته، بل سأذكر شيئاً قليلاً عنه وهو أنه يملؤك بالذكريات التي ستتحدث بها كلما التقيت أحداً ما من أصدقائك أو أبنائك أو أحفادك لتطلعه على ما مرَّ معك وما أنجزت، تروي لهم أحداث حياتك التي مررت بها، بالتأكيد لن نروي إلا المفرح والإنجاز والبطولات والاجتهادات

والتعب الذي رسم على الجبين تجاعيده وفي الوجه أخاديده وأظهر عروق اليدين المنتفخة بالدماء المتعبة من لحظات الولوج إلى اللحظات التي تنتظر أيضاً الولوج إلى الانتقال، هي رحلة مصارحة بين العقل والقلب تستمع الذات الساكنة في ذاك الجسد المادي المهم جداً للإنجاز، وبدون كل ذلك تضعف الرؤية ويصعب البناء، دائماً أنصح بمحاكاة الفكر وتعريته بينك وبين قلبك، فتتصالح وتظهر ذاتك رقيقة خفيفة تعطي للآخر الأمان وتنشر من حبها الاطمئنان.

الضوابط

إنها حاجة إنسانية وضمان اجتماعي وضرورة حتمية من أجل إظهار المدنية، فبها تظهر الحياة العمرانية بشكل جميل وتبعد طباع الطبيعة العشوائية، حيث تقوم بدور عقل الإنسان لعقله وتهذيب نطقه، والغاية منها جلية وواضحة وهي حفظ استمرار مسيرة الإنسان وبقائه، وبدونها يستبيح البشر بعضهم دون وازع حيث لا حواجز ولا أبواب، أي استباحة كاملة لكل مقومات الخاصة والعامة، لذلك أشرت إلى أهمية وجودها والتزام معطياتها ونظمها كي تؤثر في الحالة الاجتماعية وتنجز تهذيباً للسلوك العام والخاص، فيظهر الالتزام بها واعتناقها في المحاور الاقتصادية والسياسية.

إذاً هي الحاضنة واللباس مهما كان بسيطاً أو معقداً رخيصاً أم غالياً، مظهر للشخصية الثقافية، هذه الشخصية لا تأخذ موقعها البناء والحضاري إلا إذا امتلكت الضوابط، كي تواجه المحرضات

السالبة وتحولها إلى إيجابيات تسهم في بناء المجتمع، وتحترم الأنماط في تعددياتها المجتمعية ضمن أشكال متداخلة كفسيفسائية جذابة تغري المشاهد، وتدعوه في آن من أجل الانخراط بها والإيمان بأنها حقيقة واقعة، تبعد الصراع وتجعل من لغة الحوار أساساً تكوينياً مهماً ومحبباً وجامعاً لكامل الأفعال في مستوياتها الاجتماعية المختلفة، والقيم الخاصة والقواعد العامة للسلوك الإنساني.

إن البحث في الضوابط يؤدي للاطلاع على المعاني والمدلولات التي تحملها هذه الجملة التكوينية، والتي تضم في محتواها بنود الآداب التي تظهر السلوك العام من أبسط مظاهره، وهي الأعراف والتقاليد الحميدة والجيدة التي تتمتع بها المجتمعات وإلى أعلى الاصطلاحات والمعايير القادمة من سطور المقدس والوجداني والحب والالتزام، وعليه نخضع جميعاً لها، بكونها تتحول إلى صورة المجتمع المرسوم بها الشخصية الثقافية القادمة من الفنون السبعة، زائد المفاهيم المتداولة أثناء التبادل الاجتماعي، أي بين الفرد والأسرة، والفرد والمجتمع، والفرد والفرد، والأسرة والمجتمع، ومن خلال هذا الجمع تتحول الصورة إلى تجانس خلاق تتجلى فيه الضوابط، وتظهر منضبطة لا خلل فيها ليؤمن المتأملون بها أنهم قادرون على الاستفادة من هذه الضوابط يتمتعون بها، فتحدث لديهم مقدرة الإبداع من خلال الاكتمال النوعي النشأة والقادم من مفردات محاورها، فيمتثلون لها محولين إياها إلى عادات وتقاليد وأنماط سلوكية هامة، سجلت في قواميس مبوبة تسير ضمن

معايير وحدود لا يمكن تجاوزها، وفي ذات الوقت تنخفض نسب الخلل، وغايتهم الوصول بوجودها إلى منع الانحراف والانحدار في المجتمع للمجتمع .

الضوابط تنجز الانتماء والولاء وتحسّن الأداء، وصحيح أن القانون بسلطته المتمتعة بالتشدد يشكل الحواجز الشائكة ومن يتجاوزه تسيل منه الدماء فيترك أثراً للقانون حيث يكتشفه بسرعة، ومنه يعتبر ويكون جزءاً من الضوابط لا كل الضوابط ، ولو كان كلها لفقدت الحياة الاجتماعية رونقها فلا خطأ ولا خطيئة ولامخطئين ولا اجتهاد ولا مجتهدين ولا إبداع ولا مبدعين، وأقصد من هذا الأخطاء الطبيعية واللا إرادية والقادمة من جمل اتهامية، أي يتحملها الإنسان دون إرادة منه، لذلك قلت: إن القانون جزء من الضوابط كي أدع مجالاً للاجتهاد وجمل السلوك بالتمتع وخاصة الأحاسيس والمشاعر وما تشعر به وما تحسّه، وعليه الضوابط أفعال إنسانية اجتماعية، جُلّ مضامينها أن تحمل مساحة كبيرة للفهم الذي يجب أن يرافق العلم والمعرفة والمفاهيم التي أنجزها أولئك الفاهمون الذين أورثونا الفهم كي يغدو جمالاً يحيط العلم، ولهم في ذلك إرادة أن نمتلك الغنى المعرفي الجامع للفهم والعلم في آن ومن خلال هذه الثنائية تتولد الضوابط الإنسانية التي بها يظهر الإنسان اجتماعياً منخرطاً في مجتمع منضبط يمتلك الضوابط يتعلم منه المتطلعون إليه .

لماذا نتحاور حول الضوابط، وقد يسأل أي واحد منا هل لها حصر ومن أين تبدأ وعند أي نقطة تنتهي؟ أجيب مثلكم: إنها تتكون من

الإيمان بالحب فحينما لا تعرف الكراهية (أي الأحقاد و الحسد والغيرة الجوفاء ولغة التملك اللاشرعية) تكون بك كل الضوابط، بكونك تظهر من جوهر مؤمن يمتلك الرادع الأخلاقي المرسوم في الشرائع السماوية والثقافية والوضعية، وأيضاً ضمن جمل الالتزام العقائدي التي لا تسمح لك بالخطأ، تدعوك للتسامي والترفع عن صغائر الأمور ومحاولة تجنب الخطيئة والخطأ، وأيضاً العمل المتقن والتمتع بثقافة إتقان العمل وفهم أن الخلاص بالإخلاص المولد للصدق والمبعد للكذب والنفاق، حيث من كل ذلك تتشكل مسارات الحياة ومساربها المظهرة للصح والخطأ، وتغدو الضوابط بامتلاكنا لها منصفاً يمنعنا من تجاوز الحقوق والحدود وتشكل لنا الصدود المانعة أمام أي مخالفة .

هل تستحق الضوابط البحث والفحص والتمحيص والتدقيق، لنتدارس الضوابط وعلم الفهم لنفهم العلم يتكون لدينا بساتين جميلة فيها الأشجار الحاملة للثمار والزهور المانحة للعطور، نتناول الثمر فننمو ونشتم العطر من الزهور، فنزهو حيث لا خطأ يأتي من الثمر ولا نشازاً ينشره الزهر بكوننا نحصد ما نزرع، وحينما توصد الأبواب تُقرع، فلذلك أقول تستحق العودة إلى الوراء والتأمل فيها والعودة إلى التمسك بمحاورها التي تظهر السلوكيات ونغدو مع بعضنا أجمل وأحلى وأحسن .

الخوف تخلف

ماهية وجوده ولماذا هو يقف عائقاً في وجه تطور الإنسان العربي بشكل خاص وسكان العالم الثالث بشكل عام، على الرغم من أن إنساننا متحرك طيلة حياته المحددة بين نقطتين، فهل هاتان النقطتان هما اللتان تنجبان الخوف، حيث يدخل إلى الحياة خائفاً ليحمل خوف النهاية دون وعي لأسباب وجوده، هل الجهل في التربية؟ على الرغم من أن المجتمعات غدت متعلمة والكثير منها وصل إلى مراتب بفضل المؤهلات العلمية التي حملها، فهل نعتبرها المسؤولة عن إنجاب الخوف وإبعاده، أم أنها ثقافة وراثية تنتقل بين الأجيال لتحدث الإعاقة أمام حركة التطور.

ينمو الطفل، يمنعه والداه من خلال الصرخة المفاجئة والمباشرة، فيرتعد دون أن يدري لماذا ؟ يكبر يحمل تلك الصرخة المخيفة ليقال له أن عليك أن تخاف الله، يدخل المدرسة ليشاهد المسطرة في يد المدرس، يعود إلى المنزل يراقب طريقه يجده مخيفاً ،يقفز قفزات مثيرة وهو يسير على الرصيف من سماع صوت سيارة قادمة من الخلف في حركة لا إرادية يتطلع إليها فيضحك بعد أن حركت الخوف في داخله بكونه لا يؤمن بنظام السير لأنه نظام

مخيف بدل أن يكون نظام احترام، يراهق لا يستطيع أن يعبر عن ما يمرُّ به الشاب يحول إفصاحه إلى أسرار مخيفة وخجولة، وكذلك الصبيّة العذراء وهي تنتقل إلى الأنوثة واحتياجات الجنس ومصارحاته السريرية وعدم فهمه يؤدي للخوف منه حيث يسيطر في العقل منجباً التأخر، الزوجة تمضي معظم حياتها تلهث خلف زوجها علَّها تمسك خيطاً من خيوط خيانة؛ حينها ينفجر خوفها مُظهراً التخلف الكامل، والزوج أمام هذا البحث المخيف يتضاءل حبّه ليتحول إلى خوف الذي يحوله إلى عالم من الأسرار، تكتمل ثلاثية الخوف: الأب والأم والأولاد- المنزل والمجتمع والوظيفة بأشكالها من رب العمل وموظفيه، والناتج كل يحمله بين جنباته وفي عقله الباطن، هل الخوف قادم من الماضي أم أنه يعيش في الحاضر أم هو الغد (المستقبل).

يدخل الحياة العملية باحثاً عن التكوين ممتلئاً بالخوف من الغد المجهول لأنه لا يمتلك العلم به، لذلك يحاول نهب يومه قدر ما يستطيع ، إذاً الغد لديه غير مضمون الخوف موجود، يطلب من رب عمله الاستماع إلى مقترحه الجيد يطلب منه رب العمل نسيانه لماذا ؟ .لأنه يخاف أن يصل مقترحه الجيد إلى أبعد من الحدود المسموحة فيأخذ به، ويرقّى موجده، فحينما يمنعه ينشأ الخوف المزدوج، وعليه يعمّ الخوف الوظيفي وتتحول الأصوات الإيجابية إلى همسٍ خفي مخلّف ومتخلف.

نعم الخوف تخلف، تتحجم فيه الحريات وتنتفي معه كل أشكال الديمقراطيات المسموحة والمتوافقة مع مجتمعاتها، أيضاً لماذا ؟ لأننا

لم نتعود التخلي عن الأنا الأسروية، فبدل من أن نصرخ في وجه الطفل الصغير ينبغي علينا فهم احتياجاته واستيعابها، فالكبير عباءة الصغير وحضنه الأمين ويده الخيّرة تشير إلى الصح، ومنه نجد أن الحب للإله وتعاليمه السماوية أفضل بكثير من تعود الخوف منه، لأن الله حب وسلوك الحب خشية أي الامتناع عن الخطأ قدر الإمكان، وبما أن الخطأ الطبيعي سمة إنسانية فإدراك ذلك هو من الحب بحيث ينجب التطور والاعتراف والخطأ يتجاوز الأنا، عملية التعلم والتعليم لا تحتاج مسطرة المعلم التي يضرب بها، بل تحتاج الكلمة العلمية وأدواتها والأسلوب التخصصي التربوي والتعليمي في آن .

حينما يحدث الوعي، ومع تكون الفكر في الشخصية الإنسانية عند الذكر والأنثى، ويستذكر كل واحد منهم ما مرَّ به من خوف يَعد نفسه بأنه لن يكرر ما مرَّ به مع أبنائه ومجتمعه وعمله. يصل إلىَ ما يريد نراقبه نجده ينجز خوفاً في أبنائه وأسرته وعمله أكبر بكثير مما مرَّ معه، أيضاً لماذا؟ وما علاقة الماضي المخيف والمخوّف منه بالحاضر والمستقبل، فعقدة الخوف أعتبرها المسؤول الرئيس عن التخلف والتراجع والتقوقع وعدم التطور، الخوف ضد التحضر، وبالتالي يؤدي إلى تأخير التطور وانتزاعه يحتاج إلى حدوث التصالح الذاتي الذي يؤمن بحقيقة العلم بمجموع العلاقات الإنسانية، وإن إبعاده يعطي الإنسان الكثير من الشعور بالحرية الذاتية والتواصلية فتزداد الثقة الشخصية ويتعزز الانتماء بالأرض والإنسان والمجتمع، ويغدو البناء أفضل أيّ بناء،

من بناء الطفل الوليد مروراً بكل المراحل العمرية.

لنتخلص من الخوف الذي يؤخرنا جميعاً، ولنتجه للحب إلى ثقافة الحضارة الحقيقية كي يحدث البناء واختصار الزمن .

التملُّق

يبعد التألق بل أكثر من ذلك ينهيه ويفنيه، وإننا إذ نبحث به وغايتنا كشفه وتعريته من أجل إحداث كشف حقيقي للحقائق وإظهارها، وإنجاز عملية تطور تستند إلى الأسس السليمة والقواعد المتينة التي لا خلل بها ولا نفاق ولا رياء، فالتملق له قواعد وأدوات بدونها لا يعيش، أي ما ذكرت من مجموعة الخداع والمحاباة في غير موقعها، والقصد من كل ذلك الحصول على الفتات والانضواء تحت جناح، والانتظار لبلوغ المتملق نقطة النهاية أو الابتعاد والترحيب بالقادم الجديد والانتقال له .

إنه آفة خطيرة، فهو ظاهرة لها علاقة تتشبه بماسحي الأحذية وملمعيها، فحينما تذكر أن هذا متملق ويتملق، تعلم أنه ماسح جوخ وأقمشة مفصّلة على مقاس المتملق له، عند مراقبتك لمتملق وهو ينفض غبرة عن قميص جديد أو ينتقي شعرة على كتف شخص فعّال، اعلم أن هذا المتملق يحتاج شيئاً من ذاك الشخص، هي العين اللماحة امتلكها وأنت تسير أو تحضر حفلاً أو اجتماعا أو ظرفاً استثنائياً، راقب وقل في داخلك يا رعاك الله كم أنت متملق .

إن أصحاب التملق مؤيدون لكل ما يُطرح، يهزون الرؤوس مثل

الدراويش لا يفرقون بين الصح والخطأ بكونه قادماً من السيد الأعلى، موافقون دون اعتراض وأجوبتهم: نعم، حاضر، غايتهم نيل الرضا، وإذا ذكر سيدهم أحداً بخير أضافوا عليه دون أن يعرفوه، وإذا ذكر أحدهم بسوء استفاضوا بالإساءة إليه أيضاً ودون أن يلتقوه، يضخمون أخطاء غيرهم وغايتهم كسب الرضا من خلال إظهار حسناتهم بالولاء الأجوف الفارغ، نمامون على القريب والبعيد والصديق لا يفرقون بين السيل الجارف والنهر السابر، متسلقون على أكتاف الجميع لا يستثنون آباء أو إخوة أو أصدقاء أو رفاق، لا يمتلكون رؤية ولا فكراً. ولذلك أقول: التملق يقتل الإبداع ويبعد التألق، يرمي عليه ظلال خيبته بادعاء أنه البديل الوفي والأمين بكونه ماسح أقمشة ، فماسح الأحذية شريف يسعى خلف لقمة عيشه بشرف وله عدته ومعداته، يحملها يطوف على الأحذية يعيد إليها بريقها الحقيقي من خلال تلميعها بموادِّه فيحصل على أجره بعرقه وانتظاره.

التملق في حقيقته أداة المتسلقين المتملقين والملمعين، وغدا ظاهرة، وإطارها دناءة وكذب وعتاب بكونه يفتقد المقدرة على المصارحة والحوار، فلذلك سمته الفراغ والتجوف والوهم، أي بمعنى أدق لا يمتلك نظراً ولا رؤية لغد مشرق ولا قدرة على الإبداع، مبادئه استغلال لحظات المسير الإيجابي والإنتاجي والطيبة، بكون المتملق يجيد بأهدافه القصيرة وعدم امتلاكه للطموح والاستغلال، وشعاره ليكن الآن أفضل من اللحظات القادمة، يستغل

اللحظة الموجود فيها يوفر لها شروط التوقف والمسير وليس لديه استثناء، وبهذا يحقق اختلافاً كبيراً بين التملق واللباقة والكياسة، والبون شاسع بينهما، حيث اللباقة والكياسة مطلب إنساني، ضرورته قادمة من واجب احترام الظروف التي تتواجد فيها، كما تقتضي آليات الحضور والمرافقة ودرجات العمل بهرميتها وظروف تواجد كل إنسان في موقعه التمتع باللباقة والكياسة، وإذا تجاوز ذلك كان للتملق سمة الحضور في شخصيته ليطلق عليه متملق غير فاعل في حقيقة الأشياء، وقد يغريك المتملق أحياناً بأنه يتقلد أثواب الكياسة واللباقة لكنك سرعان ما تكتشفه .

يسعى التملق لاعتلاء جهد الآخرين، لا بل أكثر من ذلك يقتنصه وفي عجالة يعمل على تجييره لمن لا يستحقه ضمن موقف اللحظة، وهذه صفة خطيرة من صفات المتملق، وكذلك استيعاب الكذب بحكم انشغال المتألق وتأييده العفوي يؤدي بالمتملق إلى امتلاك النشوة والشعور بالانتصار، وسرعان ما يستفيق في داخله: إلى أن ما قدم له على طبق من فضة ما هو إلا صفات مذمومة ممجوجة يلفظها الطبع الكريم وترفضها النفس الفعالة، دون أن يدري ذلك المتملق أن المتألق اكتشفه ومرَّ به على أنه مسكين فقد الكثير الكثير من الصفات الإنسانية وتحول إلى بشر: شرُّه أكبر من خيره، فقد به جميع أصدقائه وتحول إلى بوق للنفاق لا يثق به من تملق له ولا يرتاح لرأيه ولا لمشورته، وصحيح أن كلمة الحق

لا تترك صاحباً ولا صديقاً، ولكنها تبقى هي العليا والتملق هي كلمة الدناءة والانحطاط، فرفض التملق والتصنع والكذب والنفاق ضرورة للعاقل، وله أن يقبل الحق والحقيقة أو يناور فيبقى بقبوله ومناورته عاقلاً وعادلاً لأنه سيعود إليه، فالإنسان الحقيقي الذي يسعى للتطور والإنجاز وقبول الحق والحقيقة وطرحهما يرفض التملق والتسلق.

القلق

أسألك من ماذا أنت قلق؟ من غدك بكونه مجهولاً أو معلوماً أو من تشويه لصورتك يقوم بها أحد ما، قلق على موقعك الاجتماعي الوظيفي العملي العلمي الاقتصادي، قلق على منتجك الزراعي أو الصناعي أو السياحي ينافسونك عليه، قلق على مستقبل أبنائك، أين أنت تنتظر محبوباً أنت قلق بالتأكيد.. تشكُّ في أنه لن يأتي وبأنك لن تصل وأنك لن تحقق ما تصبو إليه، قلق من ماذا ولماذا ومن أجل ماذا؟ لشخصك وأسرتك ومجتمعك وموقعك ومن صداقاتك، قلق على أحلامك ومسيرتك وطموحاتك، قلق على إيمانك الذي تعتنقه إن كان صورة أو حقيقة، قلق على مشاعرك وهل تخدع بها أحداً أم تخدعك، قلق على مالك الذي ليس هو لك في النهاية، أم قلق من فقرك الذي تحلم أن تقاتله بعملك وعلمك محاولاً أن تنتصر عليه لتتجاوزه فتحاول أن تمتلكه، قلق من نجاح الآخر تراقبه دون

أن تغار منه فتنهج نهجه العلمي العملي الذي أوصله إلى ما هو فيه؟. طبعاً القلق مؤلم وأتمنى ألاّ يمر به أي أحد إنساني، وأقصد مميزاً الإنسان العاقل السوي المخلص للنهج الحياتي الإيجابي، بكونه يمتلك الضمير الحيّ المؤدي إلى ردود أفعال خطرة ومجهولة وغامضة؛ حيث تنشئ له القلق الأخلاقي والخجل المربك ويمر بمرحلة حساب الذات العنيف .

يظهر ويعيش وينمو ضمن حالة الانتظار القادمة من أفعال ارتكبها صاحبه، أو من توقعات على من ينتظره، يتحول رويداً رويداً من سكون هادئ إلى ضيق يحمل عدم الارتياح، وتجوال في العقل باحث حيث يتوقع حدوث الضرر القادم باتجاهه أو باتجاه الآخرين، يحول الوجه الباسم إلى صورة خوف ترسم على الوجه الإجهاد، إنه يفقد التركيز ويخلخل الثقة بالقوة العقلية والنفسية، أي: يؤدي إلى الاضطراب وعدم التركيز والرغبة في الهروب من الواقع، بدلاً من تحليل أسبابه التي أوجدته في القلب الإنساني المرتجف والعقل التائه .

لقد عرَّف الكثير من العلماء القلق، فمنهم من قال هو: الانزعاج وأقلق الشيء حرّكه من مكانه، والقلق اضطراب المشاعر النفسية تحمل في طياتها الكثير من الأسباب والآثار السلبية؛ التي تظهر في تلعثم الكلمات ونتائج التصرفات والانفعالات غير واضحة المعالم، بالتأكيد ومع تطور المجتمعات البشرية وازدياد الكثافة السكانية وتحول الكرة الأرضية إلى مسطح؛ شاهد الناس بعضهم وحدثت الاحتكاكات والماحكات ووجود المناكفات اللحظية من خلال ازدياد

الطلبات والمطالبات والمتطلّبات، وعدم اتضاح صورة الغد التي تبدو مجهولة المعالم، وغياب الفطرية الإنسانية، وحلول المادية العملية واتساع رقعة المصالح، وانخفاض الأداء وظهور أنواع جديدة من الأمراض، والخوف من تأمين لقمة العيش، والطموح المشروع واللامشروع ومتابعة الإنسان لأخيه الإنسان، نتاج ما ذكرناه من تسطح فكري واجتماعي واقتصادي وديني وسياسي، كل ما ذكرناه مقلق ويقلق ومدعاة للقلق .

القلق خطير للعاقل الذي ينتظر أو يرتكب الخطأ والخطيئة، يرتجف قلبه ويتلعثم لسانه حيث تتوه كلماته أثناء محاسبته لذاته واستذكاره لما فعل، فإذا عرف ما ارتكبه لا يغمض له جفن ولا تنام له عين حتى يتخلّص من قلقه، ويكون ذلك بمواجهته اعترافاً أو إصلاحاً لينهي قلقه، يبدأ على شكل شعور مبهم شكله التوتر والتوجس يتحول إلى خوف، أما عند غير العاقل فيحوله رويداً رويداً إلى سافل، مبيحاً لنفسه الخطأ متحولاً إلى سافل وهذا النوع ينهي القلق يتصلب قلبه بعد انتزاع إنسانيته وقيمها وأخلاقها.

قد يظهر القلق نتيجة للأوهام أو الكبت أو تطور الفزع؛ على الرغم من أنه شكل من أشكال المزاج المكونة للشخصية، إنه قاعدة الخوف، والفرق بينهما أن الخوف معروف المصدر والقلق مجهول، والخوف مباشر والقلق غير مباشر، والقلق موضوعي وواقعي وعصابي وأخلاقي ناتج عن شهوة أو غريزة، ولا أخلاقي نتاج الهروب من الارتكابات وانتظار نتائجه عن بعد، وهو محفز في أحيان حيث ينتظر نتائج النجاح، ومنشئ للتوتر حين الفشل .

الأرق

ظاهرة منتشرة ضمن كافة شرائح المجتمع الغنية والمتوسطة والفقيرة، وعند دول العالم الأول كما هي عند دول العالم الثالث، حيث لم يعد هناك عالم ثان، وحينما نعرفه نقول: إنه حالة عدم القدرة على الدخول في النوم والحصول على النوم المريح يؤثر جداً على النشاط الذهني والجسدي ، يخص الإنسان وحده بجنسيه الذكر والأنثى ولكافة الأعمار، ومنه العابر ومنه النوم المتقطع ومنه المزمن، إنه ليس مرضاً ولكن من الممكن أن يتحول إلى مرض ينشئ الكثير من الأمراض، وشكله المتأرق خمول يصيب يومه العملي وضعف في النتاج، وذلك من اختلال التركيز ومظهره الدائم النعاس ، يظهر حينما تُطفئ الأنوار وتتمدد على فراشك لتأخذ شكل المسطح، تستعيد تسلسل ما مررت به في يومك وأيامك التي خلت، يشاغلك منها الحامل لنسب الخطأ المرتكب من قبلك على ذاتك وعلى الآخرين، يتفعَّل مسيطراً عليك أقربه وأكثره ضرراً في اتجاهك أو المتجه إلى من يحيط بك ليحدث القلق، وتتزايد الضغوط النفسية والمخاوف المتولدة من تخيلك لتلك الأفعال الخاطئة أو الأخبار السيئة التي تحوم حولك، وتصلك آخذة بك ومحولة إياك إلى رسم شكله الأرق ، وكلما حاولت إغماض جفنيك تجده يطالبك بالتفكر أكثر فيهرب النوم منك، وأنت تتقلب في

سريرك تارة إلى يمنى وأخرى إلى يسرى، تتفقد السقف والجدران والموجودات المحيطة بفراشك، وكثيراً ما تنهض لتغدو عمودياً، في حال حدوث الأرق فقط تتفكر عمودياً، أيضاً بكونك لا تنظر أفقياً ولا سفلياً بكون الخوف والقلق يسيطران عليك لأنهما قواعد الأرق، ينعدم كلامك متحولاً إلى خيال لا تتكلم، صمتك ينقلب إلى كلام عقلي، يحاول إشغالك يفعل ذاتك، عقلك وذاتك يتبادلان المواضيع الحادثة خلال مسيرتك القريبة منك، يعيدك الأرق إليها بسرعة، ويدخلك بها ضمن دوامة الفراغ التي تعيشها في لحظات وجوده حيث لا يوجد بها إلا أنت وهو .

وبما أنه لا يدعك تنام مؤرقاً إياك، لماذا لا نتحاور حوله محاولين إيجاد أسباب حدوثه، وتبادل الحلول كي نتخلص منه ونسأل سؤالاً: إن لم تكن أسباب حدوثه الخطيئة أو الإثم بحق الآخر الإنساني أو المحيط الطبيعي والمادي، وكان نتاج مرض أو معاناة من حب أو من ضجيج قادم من جوار، أو من تعود على السهر المتحقق نتاج المنبهات والمسكرات والمخدرات، أو الخوف من الفشل الجنسي أو الحاجة إلى زيادته، وأيضاً يحصل الأرق في حال النوم الكثير وعدم القيام بأي جهد جسدي، وعدم تعود العمل، والتخمة مسؤولة أيضاً عن حدوثه، وحينما لا يفكر بأن هناك أناساً جياع يحتاجون فائض تخمته .

يتحول الأرق رويداً رويداً إلى حالة استعصاء تبعد النوم حين طلبه لا يحضر، يقطع أوقاتك المنتظمة ويخفض مستوى الغاية من النوم الذي يحتاجه الإنسان من أجل الاستمرار في الحياة، فلماذا

يحدث معنا الأرق ومن ماذا نتأرّق ؟، هل من فهمنا الزائد للقانون الذي نحاول الإفلات منه، أم من جهلنا به، وهل هو نتاج التمرد على الحياة والعبث بها، ترعبنا بزلازلها وبراكينها وبرقها ورعودها، هل هو نتاج التعدِّيات على مصالح الآخرين وأجسادهم الضعيفة، وهل له علاقة بالضمير الحي والغد المجهول والقفز فوق الصح؟ يعيدنا الأرق لنبحث من خلاله ما ارتكبنا من مخالفات، فيرهقنا مسبباً لنا التعب والألم الذي يرتسم على وجوهنا وفي عيوننا، يرانا الآخرون فيسألون: لمَ لَمْ تنم جيداً، من الذي يؤرقك ويقلقك ليتعبك كل هذا التعب؟ .

ما الذي نحتاجه كي نتخلص من الأرق والقلق والشك والظن، هل قدر شعوبنا الهيام وهي تبحث عن إثبات وجودها فتظن وتخمن، تستخدمه دون أن تدري وهو أهم أدوات تعطيل النمو العلمي .

النـــوم

الصحيح المستوفي لشروط أسباب وجوده يطيل العمر، عندما تستيقظ وتقف أمام مرآتك تعلم هل كان نومك جيداً فتبتسم، وإن لم يكن كذلك تحادث ذاتك: إن كل من سيراك سيعلم أنك لم تنم جيداً فلماذا ؟ . يحقق لنا السعادة من خلال حاجتنا إليه، بل إنه بعد يوم ألق حدث فيه الحراك والعراك والحوار واللقاء والخلاف والاختلاف والإنجاز الحامل للنجاح والفشل، نذهب إليه لنستمتع

مع لحظة الخلود إلى الفراش مرة ثانية ، أسأل: من منا لا يحب النوم، ومن منا يستطيع مقاومته حينما تنسدل أجفاننا رغماً عنا مهما قاومناه وبعد استنفاد كامل الفرص؟ ، وحينما ندخله إلى العقل الإنساني نحوله إلى تفكر إيجابي أو سلبي قلقاً أم أرقاً نجد أن لابد منه، ففيه نسكن ومعه تهدأ النفس وننسى ما حلَّ في يومنا المتعب، أو نتناسى ما سيحل بنا من خلال تسليم ما سيحصل من نتائج عملنا الذي نعلم منه النتائج، ونحاكمها أو نحيلها إلى الأقدار بعد استسلامنا لها ندعها تجري كما تشاء وتفعل ، إنه المساحة الزمنية اليومية التي يمر بها الإنسان قسراً بإرادة أو دون إرادة يسير فيها إليه (النوم) عقلاً وجسداً ، ومهما قاوم لن يستطيع الاستمرار في حالة الصحو التي ترهق كامل أعضاء جسده بدءاً من العقل المتفكر مروراً بالحواس والأعضاء التي ترهقه، حيث تضعف الحركة ويخفّ الأداء الذهني والعضلي ليستسلم نهاية دون دراية، يعلم بعد أن يستفيق أنه قضى زمناً غدا فيه نائماً ليتجدد نشاطه ويتابع ، وفي عملية حسابية بسيطة نجد أن الإنسان يقضي تقريباً ثلث عمره نوماً، ولا علاقة للنوم بطول العمر وقصره، فهو حق وحاجة في آن، يطلبه جوهر الإنسان القائم في فلسفته الظاهرة الإنسانية على هذا التنوع بكون الحياة أوجدت نظامها الكوني المقسّم بين الليل والنهار والظلمة والنور، وكامل المخلوقات الحية والطبيعية تنام ولها انتظام كما للإنسان، تتشابه معه غريزياً وحسياً لا عقلياً تفكرياً، وقبل ظهور الكهرباء القادمة مع الثورة الصناعية الكبرى

قبل قرنين من الزمن؛ كان ما إن ينغمس الظلام ويرخي ظلاله حتى يذهب الناس إلى النوم مبكراً، واستيقاظهم كان باكراً، حيث كانت نظرية السعي والحصول على الرزق تؤمن بأن الاستيقاظ الباكر فيه خير عظيم، واليوم تأخرت ساعات النوم كما تأخر الاستيقاظ الباكر وازدادت العطل ونظمت أوقات للراحة فأوجدت تعويضاً لذلك، وحينما نراقب نجد أن نظام النوم لم يتغير عبر التاريخ والأزمان التي مرت، فهو الحالة المترافقة مع كل موجودات الحياة الطبيعية، لم يتغير ولا يستطيع أي كائن حي الاستغناء عنه، تفكروا وتأملوا كيف أن دوار القمر يدير وجهه منتصباً باتجاه الشمس حين استيقاظها.

هذا الثلث الزمني قلَّ أو كثر لا يعني فقدان حالة الوعي أو الدخول في عالم الغيبوبة، وبكونه ضرورة خصوصية أُنجزت في التكوين الخلقي ليكون العقل جاهزاً وبكامل النشاط يبرمج ما أنجزه الإنسان في يومه بعد أن ينام، له علاقة في استرجاع الإنجازات الإيجابية أو السلبية بعد برمجتها، يمتلك النوم الأحاسيس والشعور حيث ينجز الأحلام والكوابيس في النشاط الذهني، وهذا دليل على أن النوم حالة ضرورية طبيعية رسمها الكلّي وجعلها من خاصة المتكون، والاستيقاظ من النوم في حالة الراحة استيقاظ طبيعي، وفي حالة الجهد يساعده التنبيه القادم من الآخر المادي أو الإنساني وحسب الحاجة والضرورة إليه .

يحتاج الإنسان من أربع إلى تسع ساعات نوم يومياً كي يمارس

حياته بشكل طبيعي، وهذا يتعلق باختلاف طبيعة العمل بين شخص وآخر، وأيضاً حسب مراحل العمر، فالطفولة غير الشباب وغير الرجولة وتختلف عن الكهولة والشيخوخة ، وأيضاً الاعتقاد بأن كثرة النوم تحافظ على الصحة أكثر غير صحيح كما أن ندرته تؤدي إلى التعب والإجهاد وضعف النتاج .

النوم مرتبط بعقل الإنسان العمودي البنّاء بأدائه الحركي الذي يظهر الأداء، وكلما كان الاستثمار العقلي كبيراً علمياً أو يمتلك الفهم ونظم التبادل الإنساني وواعياً لما يريد كانت علاقته مع النوم علاقة متناغمة، يقدر العقل الطموح الإنجابي حاجته من النوم ويتوافق معه، قد ينام الجسد ولا ينام العقل إذا كان قلقاً وأرقاً وقد ينام العقل ولا ينام الجسد حينما لا يحمل العقل الضغوط ويحمل كمية من الحب والوفاء والالتزام، فيرتاح محققاً معادلة أسباب النوم وصحة الجسد، حيث يبقى العقل عمودياً نشيطاً والجسد مسطحاً صحيحاً بحركاته المستسلمة لعقله .

الشهوة

يختص بها العظماء والعلماء وأصحاب التاريخ والأنبياء والفقهاء، بكونها القوة المحركة لطلب الازدياد من العلم والإنجاز، كما أنها علامة فارقة لا يعلمها إلا من امتلك علوم التقاء الأرض بالسماء، أما العامة فلهم الجوع والبحث عن الامتلاء فهم كالنار في شهوتها حينما تسأل هل امتلأت فتجيب وبأعلى صوتها: هل من مزيد،

لتكون لهم بذلك المحرض والطريق إلى الإدمان، فأدوات شهوة أهل الاختصاص: التأمّل والتفكر والعلم والعمل بإتقان والإنصات بكونهم يشتهون الاستزادة، وغايتهم اتساع دائرة الفهم وإنجاز وإتقان ما يعملون، وتكون شهوتهم الوصول إلى الدقة والتفاني في تقديم النافع والمفيد، وأما أدوات شهوة أهل عدم الاقتناع بالإشباع فهي: الجنس والطعام والمال والتسلط والنفاق والتدليس، حيث الشهوة تتحكم بعد أن تسيطر على العقل في توجيهه إلى الانغماس أكثر، وبما أنها الرغبة الشديدة التي تحوّل النفس الآمنة إلى تواقة للملذات المادية؛ يكون ظهورها أحياناً بمعنى الهوى وأحياناً بمعنى اللذة الفائضة؛ التي تتحول إلى حالة انحراف في الشخصية الإنسانية وهي موجودة في الفطرة، وتعني الميل والرغبة، بكون الشهوة جوهر الرغبة ومولّدتها وقوتها وفعلها، فهي دافع ينقسم إلى قسمين: فطرة الغريزة واللذة الجسدية، والشهوة تأتي من اللذة والتلذذ أي الاستمتاع، فإن لم تُحكَم سيطرت وانحرفت بحاملها إلى النهايات السيئة، على الرغم من أن الشهوة لا يمكن وصفها بأنها سيئة في المطلق ولا حسنة أيضاً في ذلك، وهي نسبية من شخص لآخر ولا يمكن إفناؤها أو نزعها من العمق الإنساني، وهي غامضة يشوبها القلق والتخبط، وهي ضرورة في وجودها بحكم وظائفها الاجتماعية في التواصل والاستمرار بالإنساني حينما يكون فهمها خاضعاً لحجمها الطبيعي الذي ينجز في كثير من الأحيان السعادة للإنسان.

إنها تقف في المنتصف، فإما أن تميل بك إلى الانحدار وإما أن تأخذ بيدك إلى العلا، وعليه كانت مثل الرسم والوشم وتاجاً

كخاتم النبوة في كتف النبي، وكتاج الشوك على رأس السيد المسيح وسرير موسى في النيل، وإما أن تكون جوعاً تسكنه الشهوة فلا تمتلئ البطون ولا خزائن المال والنقود، كما فعل قارون، يتخيلها الكثرة أنها طعام شهي وعدادة للنقود، لماذا أقول وهي ضوابط على شاكلة الحدود، من يتجاوزها يبتلع الطعم يقع في المحظور حينما يتجاوز الأخلاق والسلوك دون نظام، مقترفاً كامل المخالفات ليلقى بعد ذلك الصدود، وإنني لأشبهها بالبركان الخامد، الحذر الحذر دائماً من أن تثور، أي بمعنى ضرورة الانتباه الدائم إلى لجمها في المحور المادي، كما أنني أؤكد أنه لا يخلو نظر من شهوة، إضافة لكامل الحواس التي يتمتع بها الإنسان، وفهمها يعني الامتياز عن الحيوان .

الشهوة في الحياة آيات علم تكمن به دعوة فهم المسموح والمحظور، وتأمّل لا يعرف الشبع، وفي ذات الوقت لا يتوقف عند الجوع، نعم (هي الآيات كلها) تدعونا للتفكر بعد التأمل فيما نحن كنا عليه وكان كوننا لنكون، ومنه أراد المكون الكلي تكويناً بأمره كن فيكون، كنا ومازلنا وسنبقى كائنات كونية في الكون مكونة لتكون كن فتكون، الشهوة عند العارفين شهوة الاشتهاء من أجل زيادة الاجتهاد في العلم والمعرفة والفهم، فلا حاجة للمادة إلاّ من أجل فهمها، ومعنى اشتهائها هو فهم مكنوناتها والنهم إلى العلم بها، وعند العامة هو امتلاكها وابتلاعها وبيعها وشراؤها واكتناز فضلة المال، أي الربح منها وبحث المشتري عن غيرها بكونه أنهى ما قبلها وبحث بعد أن تناسى ما بعدها، وإنني لأشتهي قول قائل حكيم (آه على كأس خمر فقالوا ويحك، فقال كأس المكون لا كأس النديم) المكون أشتهيه بكونه

كوني ليعطيني فهم الحياة، فإذا بي أجد نفسي أستحق أن أكون نديمه، أنهل من كأسه وله الطاعة، لا في الندامة بل في علمه الذي أسعى إليه، فهو المدام المحيط وأنا النديم الفاني، ومهما اشتهيت من مدامه لا أكتفي بكونه محيطاً وأنا أستقي قطرة بكوني قطرة من محيطه، وإذا انفصلت عنه لن أحيط به أجده يحيطني، ومهما تجولت في محيطه أجدني عائداً إليه بكونه هو المحيط ، إذا نظرت من الدنى لترى سماءك حولك واشتهيت، اعلم في بصيرتك أنك قطرة لن تحيط محيطك مهما امتلكت من شهوة وسعيت، بكونه محيطاً لن أتخاصم معه ولن أقارن ذاتي به، بما أنه العليم القدير مهما اشتهيت لن أقدر قدره، فعلي أن أشتهي ما يجاورني في حقيقة وجوده و به لا أشبع ولا أكتفي، إن الإنسان مشتهٍ بوجوده إذا اجتهد لعلم المحيط .

الجوع

يعم الأرض كرتنا الحية تتناهبه البشرية التي تنهي في رحلتها بقايا الإنسانية، وحيث كان اختصاص دول العالم الثالث أو النامي أو الفقير أو المتخلف، وبما أن إنسان هذه العوالم تم تصويره على أنه بدائي لم يسمح له بالتعرف على ما يمتلكه من ثروات، ولم ولن يعطى إمكانيات استخلاصها وصناعتها وزراعتها وتطويرها، ليبقى تحت مسمى نام ومتخلف وفقير (عالم ثالث) يسكن به الجوع لكل شيء بدءاً من الحذاء الملفت للنظر وحتى الساعة الفارهة الغالية

الثمن، لماذا انحصر الجوع لدى المجتمعات في هذا العالم بالرغبات وتحولت إلى أحلام بالرغم من طفرات مرّ بها، والمفترض أن يشبع ولم يشبع، ونظرية الإيمان من أجل الراحة والحركة وحدوث الإبداع قالت : بأن المؤمن إذا أكل لا يشبع من أجل إنسانيته وراحته وكي يحافظ على حيويته الفكرية ، ونظرية المادة تخالف نظرية الإيمان حيث تقول: إن المادي لا يشبع يستمر ويستمر ويتخم من المادة ، مستنداً إلى مبدأ هل امتلأت فيجيب هل من مزيد، ويطالب به ويسعى إليه بكل ما أوتي من قوة متجاهلاً نهايته المحتومة، وبأنه سيدع كل شيء ويغادر إلى غير رجعة .

إذاً، هو سمة العالم الثالث اعتنقها الأفراد بينما في دول العالم الأول عقيدة نظام متكامل، تعيش ضمن خطط الالتهام من باب السيطرة ونهب الآخر، وشكله دولة ودول تلتهم بما تحتويه، والمعضلة هنا أن الأفراد في دول العالم الثالث حينما ينتقلون من الجوع إلى الشبع يتشبهون بتلك الدول التي لا تشبع متصورين أنفسهم على أنهم أشباه دول، فيسعى الواحد منهم لكي يغدو مليونيراً، وحينما يصل إليه يبحث عن الثاني والثالث وهكذا دواليك، يقتني سيارة فيبحث عن الأحدث والأحدث ويقتني ويقتني فلا تكفيه واحدة ولا اثنتان ولا خمس ولا عشر، وأيضاً من باب الحرمان وحدوث الطفرة التي بها وفرة يبحث عن صديقة يحولها إلى عشيقة لا يشبع فيبحث عن الثانية والثالثة طمعاً في أن يمتلك كل نساء العالم، يشتري ويشتري ويراكم ويخزن من باب الجوع وعدم المقدرة على الشبع دون النظر إلى فهم آلية الشبع والإشباع .

لماذا أتحدث عن هذه الآلية وضمن أريحية، وقد أكون من كل ذلك ومع كل ذلك ورافضاً لكل ذلك أو مستسلماً ضمن قدرية الإيمان وضده أو عارفاً ومتجاوزاً، أحلل ما أراه يستحق التحليل وأحرّم ما لا يستحق التحريم، وقد أكون صادقاً فيما أقول أو مراوغاً فيما ترتؤون، وإرادتي من كل هذا وبشفافية فهم الجوع بيني وبينكم، على هذا يطلّ الإله إلى سكن الشيطان في عقلنا الباطن الذي يخادعنا ويغرينا بالكثير من الاكتساب، مصوراً الخطأ صح لنهرب من الذي يطلّ علينا يراقبنا وملائكته التي تسجل نظراتنا واكتساباتنا الشرعية واللا شرعية، واعذروني حينما أُطلق عليها الآليات والأفكار الشيطانية التي نستخدمها كي نهرب من الحكمة والسلوك الإيجابي المتعارف عليه، والقانون الذي ينظم حياتنا وينظمها كي ننتظم، فكيف بنا نبحث عن الثغرات فيه قائلين: إن البناء الجميل والرائع لا بد أن يكون به مصرف وبدونه لا يكون رائعاً، فإذا فاض امتلأ بالوساخة التي تنتج رائحة الفسق والخطأ، ولذلك حينما ننجز نبحث في إنجازنا عن المصرف، وأيضاً عندما نصيغ قانوناً ندرسه لنرى باحثين عن مخارجه وثقوبه وعيوبه كي نخرج منها هروباً منه، حتى الإنسان صُمّم من قبل الإله هندسياً موجداً به المدخل والمخرج ولكن في هذا التصميم يقترب من الكمال الذي يقاد من عقل الجوع والشبع .

أعود إلى الجوع الذي قادني إلى كل ذلك كي أبحث فيه أكتب عنه وأنا به ومنه أكرهه ولا أحبّه بكونه شكل الفقر الذي تحدث عنه المكرّم علي من العلي القدير، حينما قال عنه: لو كان الفقر

رجلاً لقتلته، ومنه أستمد قوة ما حمله من قوة لأقول: إنه بحكمته الرائعة نوّه إلى الجوع الواجب محاربته من باب العمل للقضاء على الفقر؛ وبمطالبة القادرين على إيجاد الدوافع المنطقية من أجل إشباع غيرهم، وإلى الفقير حينما يغتني ليغني أخاه الإنسان لا أن يأكله ويستعبده من خلال جوعه الذي عاشه مع بدايات الجائعة، من منا يستطيع إن كان أمامه طعام شهي أن يأكل ويأمر نفسه بأن لا تشبع .

في علم النفس التكويني الإيماني: النفس أمارة بالسوء، ومعناها في التحليل المنطقي أنها لا تحب الشبع والجوع، إن تملكت في الإنسان البشر لا تشبعه ولو ابتلع الحوت في مرة واحدة، حيث تقول له إن هناك حيتاناً ستبتلعك، إياك ثم إياك أن لا تفكر في ابتلاعها، من هنا أتابع قائلاً: إن الفرد الجائع في دول العالم الثالث والنامي والمتخلف يعادل دولة في دول العالم الأول التي تبتلع بجوعها دول العالم الثالث، كيف يحدث هذا مع إنسان دول العالم الثالث؟ سؤال أقدمه إلى عقولنا جميعنا لنقارن به بين العالَمين الأول والثالث، أبحث بينهما عن الهوة التي فُقدت وهي العالم الثاني الذي لم يعد موجوداً كي يبقى التجاوز بين العالمين ممنوعاً وكبيراً وهذا ما يحصل مع اختفاء الطبقة الوسطى .

هي محاولة نجري بها مكاشفة وشفافية ومصارحة ندرك معها، أننا متكونون من جغرافية العالم الثالث نفرح ونحزن ونجوع ونشبع مثل باقي العالم، ونؤمن بالتملك والحق دون تجاوز واستباحة ، ومع امتلاك الشعور والإحساس بالآخر الذي يجب أن نسعى إليه كي ينتهي الجوع أولاً من فكرنا، ومن ثم نسعى لإنهائه لدى الآخرين ،

ولنحاول بناء أوطاننا من الشبع الفكري الذي به جوع دائم لبناء وطن وإنسان فيه التطور والإبداع والإحساس بالآخر من أجل الاستمرار.

الشبـــع

سلوك إنساني يخالف الطبع البشري الشره لكل شيء، وهو ضد الجوع أي أنه اكتفاء ينهي حالة الجوع، حيث يتوفر من خلاله التناسب والتوافق المعوض لفقدان كل أنواع الطاقات التي يمتلكها الإنسان، مثل الطاقة الحيوية والطاقة الجنسية والطاقة الفكرية والطاقة المادية تنهي فيه المفترض ذاك الجوع والنهم لكامل الحاجات.

وحينما نستنفد كامل وجبتنا الغذائية من خلال الحركة أو حتى السكون، ويمر وقت الاستفادة منها من قبل آليات الجسد نشعر بالجوع فنبحث عن الغذاء بغاية إحداث الشبع، وهذا يبدأ من العقل المصدّر لأوامر الجوع، وأيضاً إحداث الشبع وإلاّ لما كان هناك شبع ولكان الإنسان يستمر في تناوله طعامه حتى ينتهي، هنا أتوقف حيث أجد أن الطاقة الحيوية إن تفعّلت بالشبع تعط الأوامر، وبها يمتنع الإنسان عن تناول الغذاء، منها أتجه إلى الطاقة الجنسية التي من الضروري أيضاً إشباعها وإلا خرب العقل وتاه الفكر بسيطرتها عليه وشغلته في البحث عنها إلى أن يفرغها، وينبغي على المرء حين إفراغها العودة إلى النشاط الذهني الكامل، وإن استمر بها أنهته أيضاً وحولته إلى الصورة البهيمية حيث تفقده آدميته وتمنع عنه الرزانة والاتزان، ففيها أيضاً تكمن سلوكيات وأخلاق الجوع

والشبع، بعد ذلك يلتفت الإنسان إلى طاقته الفكرية التي تدعوه إلى البناء المادي واللامادي بسلوكياتها الخيرة والشريرة، والتي تتأثر بعدة عوامل نفسية واجتماعية وبيئية ينتج عنها مساعدات تسلط الضوء على أشكال الشبع، والمفترض أن لا يكون معقداً بكونه وجد في الأساس كحالة منع وحواجز يصعب تجاوزها، فإن لم يكن لديه فهم معنى الإشباع استمر أيضاً في المادي وإغراءاته الغريزية متحولاً إلى أشكال النهم والذي يحقق في اعتقاده السيطرة من خلال تطور الأنا، وبأن امتلاك المادة وزيادة النهم لها هي السبيل المضمون لتحقيق الوجود والحفاظ عليه، وفي الحقيقة إن تعلقه المادي الشديد يؤدي به إلى التجرد من إنسانيته وتحوله إلى الأنا المفرطة، مخرجة إياه من الحالة الاجتماعية ككائن لا يستطيع العيش بمفرده مهما كوَّن لها، وفي أسباب وجوده فلسفة النحن فإذا ابتعد عنها فقد مرة ثانية صفة التكوين الإنساني والاجتماعي .

إن الحالتين الوحيدتين الواجب ألا يحدث بهما الشبع وينبغي أن يسكنهما الجوع الدائم هما: الحالة العلمية وحالة الفهم ففيهما ومعهما تتكون الشخصية الثقافية التي تدل على السلوك الإنساني الراقي وضرورة امتلاكهما تعني ضرورة أن الإنسان يبحث طيلة مسيرته عن التطور وخدمة الآخرين من خلال فهم أسباب وجوده وفهم عملية التكوين المسؤولة عنها حصراً، فإن استوعب شروطهما استوى وتساوى بين الطبقات الثلاث أي: الغني والوسط والفقير، وتناسب من خلال فهمه للإشباع والشبع مع كل الوضعيات، وسعد وأسعد واستقر واطمأن مهما تناوبت عليه الأيام وأخذت به

تعرجات مسيرته في الحياة، فالإشباع والشبع يلغي حالات القلق والأرق والاضطراب والإخفاق اللا إرادي؛ بكونه امتلك أهم مكونات الحياة الإنسانية بتنوعاتها وهو العقل، فإذا أشبع العقل إنسانياً من العلم الممتلك والفهم المدرك من المحيط كان له الامتياز، حيث يأمران بكامل الطاقات بالشبع وينهيان الجوع بالرضا، ومع إدراك بتمايز الإنسان عن باقي الموجودات، وأنه إنسان يمتلك السيطرة على رغباته إن امتلك السلوك الإنساني حيث يستطيع ذلك معالجة الشهوات الجائعة دائماً وأبداً إلى كل شيء، فإن أطلقها لا تشبع، حتى الحب له حدود إن لم تسوره بها أخذ بك إلى الهيام حيث تهيم على وجهك لا تعرف من أنت، ويشير عليك الآخرون بعدم الشبع من الحب، لذلك أدعو إلى التأمل والتفكر وامتلاك علم الشبع كي تتكون الرؤية الواضحة للبنية الإنسانية المسؤولة عن بناء الإنسان التسلسلي وكيفية التعاطي معه، فإذا وضحت الأفكار الحاضنة لغرائز الجوع والشبع انتقل الإنسان بجملته الإنسانية إلى استيعاب المفاهيم الحياتية، وتطورت لديه الرؤية في انعكاساتها الصادقة مبعدة عنه الغباشة وعدم وضوح ما يراه، أي تنجلي له الأمور فينجح الإنسان بارتقائه وترفعه في مسيرة الحياة .

لنتملك علوم الجوع والشبع، وأول ما نطلبه من ذاتنا أن تتعود امتلاك هذه الأدوات، وشكلها معوقات وحواجز وهواجس إن لم نبعدها رهنتنا إليها، وإن أبعدناها اكتسبنا الراحة وحدثت المصالحة الحقيقية بين العقل والقلب اللذين يسيطران على جملة الشهوة والهوى المسؤولين عن كل أنواع تطور الغرائز المادية، التي تؤدي إلى

استباحة من لا يسيطر عليهما لكامل المنتجات الحياتية: حيوان وجماد ونبات والإنسان لأخيه الإنسان، أطالب بالشبع كي يحدث البناء ونرضي الأرض والإله .

النظرية والتطبيق

إنني لن أتحدثَ عن النظرية النسبية والاكسيومية للفيزياء النظرية لآينشتاين، ولا النظرية الديكارتية حول العقلانية المعاصرة، ولا النظرية التصورية الخاصة بكانت، ولا نظرية لالاند ذات الأبعاد الفلسفية والدارونية في التطور وأصلِ الأنواع، ولا غاليلي صاحَب القوَانين المقدمة للعلاقات السببية (سقوط الأجسام)، ولا عن نظرية حجم السائل المزاح لأرخميدس حين قال (وجدتها وجدتها)، بل سأتحدثُ عن نظرية وجودنا الإنساني وبشكل خاص العربي العربي والمجتمع السوري ضمن العربي، وسنحاولُ معاً الابتعاد عن الواقع التجريبي الذي به يكمن التأخير والتخلف، غايتنا العودة إلى الكروي الإنساني، والخروج من المسطّحِ الاحتكاكي الحامل للأزمات، أي علينا أن نلغيَ التسطيح المراد لنا أَن نعيش فيه ونعودَ إلى كوكبنا الحي، فالتجريبُ (تسطيح) يبتعد كثيراً عن التجربة (الكرة) حيث أن التجربة لها قواعد علمية، أما التجريبُ فهو مخالفٌ للفكر بكونه لا يمتلك فكراً ويستند إلى الاحتمالات اللاعلمية، وعليه تكون النظرياتُ العلمية رفضت الخضوع لتحقيق التجريبي، وعلينا أيضاً نحن كأجيال أن نرفضَ التجريب ونعتمدَ

نظريات المضاف إلى الموجود وتعزيزَه أو الإبداع الجديد، فالتجريبُ أسلوبُ تأخير وإعاقة، وفي لحظة انتباه نجد أننا في المؤخرة، وغايتنا من كل هذا هو إبرازُ حضور الصراع من أجلِ البقاءِ لنا جميعنا كمجتمعٍ متفكر، يبحث عن نظرية إثبات وجوده كعربي سوري يمتلك الانتماء والأداء والتكوين أولاً، وثانياً عن حياة أمة عربية، تعيش ضمن أسوأ ظروف اللقاء والحضور ومخاضات التشرذم والفناء ، أفرادنا أبناؤنا هائمون باحثون عن التكوين ، ومع كل يوم يمرّ لا نمتلك به نظريةً نطبقها، ونعملُ عليها حثيثاً كي تُظهر وجودَنا ضمن صراع البقاء على كوكبنا الحي، يعني التأخر عن الركب واللّحاق بالمجتمعات والأمم العالمية ، كما أنه من الواجب علينا أن نتوقفَ ملياً عند نظرية الشمال والجنوب، فجميعنا يتعبُ في عالم الجنوب، يحرثُ الأرض طولاً وعرضاً ويبذرُ الحب ويشتلُ الشتل ويرعى النبات والأشجار، والآخرون في مجتمع الشمال يقطفون الثمار، من مبدأ أن جذورَ الشجرة في عالم الجنوب وثمارَها في عالم الشمال، يعيدون إلينا ما يتنازلون عنه لا أكثرَ ولا أقلّ ، إن الصوم الفكري كبيرٌ في أوطاننا والإفطار قليلٌ وضئيلٌ ودون أقلِّ من أقل الطموح ، عليه نؤسس من هنا بأنه لا يمكننا الفصلُ بين النظرية والتطبيق؛ بكون النظرية حالةً سكونيةً، أي تعيشُ في العقل على شكل الخيالِ والتأملِ إن لم تُطبق لا فائدةَ منها ، والتطبيق لا يكتملُ إن لم يمتلك نتائجَ النظرية يعيشُ به الخللُ والنقصُ الدائم، وما درسناه أو ندرسُه عبر مراحل انتقالنا المدرسية إلى وصولنا إلى التخصصِ الجامعي

والدراسات العليا وامتلاكنا أعلى الشهادات، يجب ألاّ يبعدَنا عن قناعات حقَيقة ارتباط النظرية بالتطبيق، وعلاقة هذه الثنائية مع الواقع بتفاصيله المعقدة والتي بدونها لا فهمَ للواقع، حيث أن علاقة النظرية بالتطبيق تمنحنا الأدوات الجيدة والجديدة لفهم الواقع أكثر وبصورة أوضح، كما أنها تظهرُ كمساعد فعالٍ من أجل التعامل معه، أي مع الواقع بالصور العلمية المجدية، التي تقللُ من احتمالات الفشل وتزيدُ عناصرَ النجاح، فبعد تملّكك لجوهر النظرية في كل تفرعاتها تمنحك فرصَ استنباط قيادة حياتك الفردية والاجتماعية، ومن ثمَّ العمل بشكل جدي ومتقن يؤمن لك وسيلة عيش لائقة، كما أنها أيضاً تعطيك فرصاً للدخول إلى عالم الاجتماع الحامل للسياسات المستخدمة وعبر كل المحاور: اقتصادية واجتماعية فردية وأسروية ومجتمعية، وتهيئُ لك من خلال التعمق في التخصص لمفاهيم النظرية ومتطلباتها مساحات عقلية كبيرة، فيها المقدرةُ على التأمل من أجل إيجاد الحلول للأزمات الفردية التي تخصّك، والاجتماعية والتكوينية التي تفيد المحيط ، كما أن المنطقَ الذي يعتمد على النظرية العلمية والمدعَّم بالدلائل والبراهين يأتي بعد امتلاكك للنظرية الاجتماعية، والتي ستكون مسار بحثنا هذا، فالباحثَ الذي يعمل على نظرية السلوك من أجل تحسين الأداء يجب أن يهيئَ لها عناصرها: العلم - المكان- والأدوات ، ولا تحضرُ هذه إلا بعد أن يكونَ قد فهم نظرية التكوين وفلسفته الفكرية، عليه يكون البحثُ في نظرية التكوين أي الحالة

الاجتماعية التي تبني الفكر وتأخذُ بعناصر النظرية إلى التطبيق لا تفصل بينهما، بل تجمعهما من خلال الإيمان بأن كلَّ ثنائيةٍ تنجبُ قادماً جديداً .

البحث في هكذا عنوان على أهميته، يدعونا لتأسيس الحوار المنطقي الذي يلغي التوترات القادمة من الجدل العقيم، طارحاً بوجوده وحدةَ صورةِ الفلسفة وجوهرِها العلمي، وقصدُنا بذلك هو فتحُ انغلاقها علىَ ذاتها وإخراجُها من عزلتها الكامنة في أجواءِ الظلمة العقلية، ومنعُ فنائها حيث الإرادة الإنسانية، والتي تَخصَّصَ بها الإنسان العاقل يخرجها إلى النور من أجل حدوث التفاعل، من ذلك نهيئُ المدخلَ المعرفيَّ لهذا العنوان الجدلي، والذي شغل الفكر الإنساني عبر كامل العصور التي امتلكت التنوعات البشرية الكثيرة، وبها وجدت الحضاراتُ المعبّرةُ عن اختلافَ الثقافاتَ القادمة من نظرية اختلاف الألوان البشرية، وإشارة إلى ظهور التنوع في الجوهر العقلي على شكل درجات الاستثمار، مع الحفاظ على الشكل الإنساني الواحدِ على كامل وجه الأرض، فماذا يعني لنا هذا ؟.

نتوقف بغاية الإشارة إلى معنى النظرية التي تحولت إلى مفهوم، يَظهرُ من خلال رأي فردي يتبناه أفراد يحيطون به، إذا امتلك في جوهره قضية جديدة أو مسألة ما تخضع لشروط الإبهار والإقناع، وقابلةً للتحقيق بامتلاكها للبرهان، الذي يمكّننا من تحويله إلى تطبيق عملي، ما لم يكن لأي كان أن يعرفه إلاّ بعد ظهوره كنظرية قابلةٍ للتطبيق .

من هنا أتوجه قائلاً : إن النظرية قادمةٌ من النظر المتجول في المحيط المرتبط مع العقل، وبشكل أدق قادماً منه ليعود عليه كمنبهٍ لوجود حالة اختلافٍ مع ما يحمله العقل، ويحدث الاختلاف الذي وجّه إليه النظر الجديد وباعثاً فيه روح التبصر، والذي نسمّيه التأمل، ليعيد ترتيب الأشياء مقسماً إياها إلى طلبات تبحث في الاستجابة لها بغاية الوصول إلى النتائج التي نطلق عليها البراهين، فتكون بذلك النظرية في علم اللغة أنثى، والنظر أيضاً في علم اللغة ذكراً، وعليه النظرُ تأملي يعيش ضمن بناء النظرية الحاملة للفرضِ والاستنتاج، الذي يتولد عنه أسئلة إشكالية تتقارب مع محاورها وترتبُ طلباتها على شكل ماذا نريد من النظرية، والتي لا تتحول ضمن علاقة الذكر والأنثى إلى إنجاب إلاّ بعد تطبيقها، إن التدقيق في نظرية الثنائيات ينجز لنا أبعاداً لا متناهية من التأمل والتفكر والتعلم، فالسماء زائد الأرض أنجبت إنساناً، واحد زائد واحد يساوي اثنين، وذرتا الهيدروجين والأكسجين تساوي ماء، والسمعُ والنظر ينجبان للعقل العلم والمعرفة ومنهما تظهر الحكمة، وحينما نستعين بقانون نيوتن الأول للحركة في علم الفيزياء نرى أنه إذا كان مجموعُ كامل القوى التي تؤثر على جسم ما صفراً ، فإن الجسم سوف يظل ساكناً وإن أي جسم متحركٍ سيبقى على حركته بسرعة ثابتة في حال عدم وجود أيّ قوى تؤثر عليه ، مثل قوى الاحتكاك، أيِّ في حالة (انعدام الجاذبية) منه تكون القوة المقاسة بنيوتن على السطح وحدتها المتر المربع تساوي الضغط ووحدته باسكال، لماذا أخذتُ هذا المثال الفيزيائي؛ لأن عقلنا إن كان في حالة

صوم فكري ولم يمتلك التأملَ والتفكّرَ، فإنه لن يمتلك العلم والتطور، وسيبقى في حالة سكونٍ وإذا سار بدونهما فسيبقى متحركاً دون فاعلية ودون وجهة ، بكونه لا يتعرض للاحتكاك والتبادل المعرفي للحياة والمحيط الإنساني وبذلك لن يتطور ، إن استعراضي لهذا الأمر وبهذه العجالة فيما أعتقد بغاية تشكيل النبضة المحرضة، ليعود العقلُ إلى التأملِ والتفكرِ والقلبُ إلى الخفقانِ بحبِّ امتلاك التطوير .

إنني أؤكد أن النظرية ككلمة سُجلت في القواميس كمصطلح عنى ظاهرها بكونها قادمةً من النظر المتأمل، ليكون بذلك المولّد الرئيس للبناءِ الفكري، الذي يُولدُ من مجموع النظر ولادة النظرية على اختلاَف أشكالها: فلسفية اجتماعية علمية بعد مرورها بمخاضات التجربة، وتجمعها كأسس منطقية أقرّها العقلُ وقدَّم من خلالها البراهين عليها، بعد أن قًام بتطبيقها عملياً فوجد بها ناتجاً مهماً مختلفاً عمّا أنتجه الآخرون، وفي ذات الوقت اقتنع المحيط بأنها قادمٌ جديد يفيد الحياة ويغنيها بكامل تنوعاتها، نتساءل عن علاقة النظرية والتطبيق بالواقع وذوبانها فيه، وعن استمرارها وحياتها في المستقبل، وهل في استطاعتنا اعتبارُ النظرية حالةً إبداعيةً يظهر منها الاختراقُ ويحمل صاحبُها التفوقَ والتمايز، أم أنها قادمة من التجربة التي تحملُ المحاولاتَ التي نبني معها المداميك الأساسية لبناء النظرية، بعد المرور باَلتجربة الحاملة للإخفاقات والنجاح والصدق والكذب والفرز، بين أن تكون تقليدية هامشية ، أم أنها تطويرية عاليةُ المستوى تسحبُ الواقع إليها ليَظهرَ بصورة التطور المنعكس على الحياة الإنسانية ؟ أيضاً يتولد لدينا

سؤال عن المعايير الأساسية التي تقيّم حالَ ظهورِ النظرية ، وآلية التوافق التي تحققُ انجذابَ الواقع إليها من أجلِ الانتقالِ إلى المستقبل وحياتها فيه .

هنا أتوقفُ قليلاً أُبحرُ في كم النظريات التاريخية الموغلة في القدم ، التي أنجزت كامل تلك الحضارات المنجذبين إليها من زمننا الحاضر والأزمان القادمة، كما أنني أيضاً أشيرُ إلى ما قدمته النظريات الحديثة القريبة جداً منا، والتي هيأت المناخات لحدوث عزمِ التسارعِ المادي، وآليات استثمار موجودات من خلال الثورات الفكرية، التي نتج عنها الثورة الصناعية الكبرى، تلك التي نعيش اليوم، مما قدمته نظرياتُها خلال عصر النهضة، عليه أسألكم بأي عقل نعيش الآن، هل نعيشُ بالعقل القديم؟ والذي توقف عند تلك الحضارات الهائلة، ونحن اكتفينا بالإبهار القادم منها ولم نستطعْ أن نقدمَ لتلك الحضارات أيَّ فعل جديد، أم نعيشُ عقل الحداثة المستند إلى النظريات المنتهية مع قدوم الثورة الصناعية، التي أوجدتَ كل شيء ؟ أين نحن الآن من نظريات الماضي ونظريات المعاصرة، ما هو المطلوب منا نحن كأمة مولدة للأجيال ، أين هي نظرياتنا ؟ نتبادلُ معاً الحوار وما قدمتُهُ هو نظرةٌ إلى الوراء والحاضر من أجل أن نعيَ أين نحن وماذا نريدُ من الأمام، هل سرنا على محور العلم التجريبي، وهل حوَّلنا الخيال إلى واقع، وهل أزحنا من فكرنا المستحيل بكون لا مستحيل في الآلية العقلية، أين هي إبداعاتُنا ونظرياتُنا كي نحضرَ أمام تلك النظريات التي أطبقتْ علينا كواقع واكتفينا بالانجذاب إليها، هل نحن منغلقون

لا نمتلك النظر المسؤول من التأمل الذي يولّد النظرية يمتلكُ بها العلم كي نتجهَ إلى التطبيق فنعمل لها مخلصين، ترتفع في سمائنا نتطلعُ إليها صعوداً فنظهرُ بأننا مطورون ومتطورون .

إن جوهر قصدي في بحثي عن النظرية والتطبيق هو الإنسان، الذي تكمن به كاملُ النظريات وأنه نظريةُ الحياة الكبرى أوجدتْه ثنائيةُ السماء والأرض، فكانت نتاجَ هذه العلاقة التصورية، والتي حملت في مضامينها نظريةَ الوجود، فكانت النتيجة إنسانَ حياتها يعود إليها ببصره ضمن آلية النظر، ليكتشف نظرياتها وقوانينها، بكون الطبيعة أخفت عنه سلوكياتها وجعلت منه باحثاً في ظواهرَها من أجل اكتشاف ما أخفته وخبأته عنه ،وإنني أكوِّن أسئلة نتداولها جميعنا وعلى مدار الساعات ،كما نحن الآن عليه، ومنها كيف تنظر إلى الأمور ؟ وما هي وجهة نظرك ؟ وانظرْ في هذا الموضوع ؟ وما هي نظرتُك إلى الواقع ؟ وكيف تنظرُ إلى المستقبل .

لننظرَ إلى أن حالة النظر تبحثُ عن العقل كي تكوِّنَه ، أي تقف أمامه تماماً كي تتحدَ معه مظهرةً من خلال هذا الاتحاد نظريةً مفيدةً عاشت كامل الاحتمالات والتجارب ، وحملت البرهانَ من النظر والتطبيق ليُكتبَ لها النجاح وإن لم يلتقِ النظرُ مع العقل يحدث الفصل ، وهنا نستطيع أن نقول: إن هذا الإنسان نظري لا يستطيعَ التطبيق، يعيش في الوهم والخيال وإنه لم يمتلك النظريةَ بقواعدها العملية فيظهرُ عملُه مشوهاً أو تقليدياً لا عَلم فيه ، عليه نؤسس قائلين إن النظرية هي نظامٌ له قواعدُ تسلسلية ، أولها التأملُ وثانيها التفكرُ وثالثها العلمُ وأخيراً العمل .

إن طلبَ نظرية العلم التخصصي بعد امتلاك قواعدها هو الذي يظهرُ تكويناً جديداً، يحمل الأداءِ الراقي، يؤسس إلى تطوير علمي يتفرد ويشار إليه على أنه تخصصٌ به إبداع ، قائمٌ بحد ذاته فاعلٌ على تطوير الحياة العلمية وامتلاك العمل بعد امتلاك العلم التخصصي، حيث يشكل الظهور الإنساني الحامل لأسباب وجود الإنسان الذي تكمن به النظريات وتُظهره كنظريةٍ حياتية فاعلة فيها، حقيقتُها أسباب وجوده كإنسان ناظرٍ في النظرِ الطالبِ للعلم وغايته إظهار العلم وتطبيقه، وتحويل العلم التطبيقي الذي أنهى الاحتمالات وتحوّلَ إلى واقع، منهياً أيضاً كل أشكال الظواهر، مدعّماً أن التجربة التي تنتجُ النتيجة النهائية تحملُ تثبيتَ صدق النظرية أو رفضَها ،بعد هذا التداخل الذي قمنا به من أجل أن نصلَ إلى تعريف النظرية القادمة من وصف الأساسيات الظاهرة الحاملة في جوهرها لحقيقةَ وجود حَقائقَ علمَيةٍ داعمةَ لَها ، يغدو تعريفهاَ بأنها البناءُ المحكمُ المنظورُ من الظواهرِ الطبيعيةِ أو الاجتماعية والمستنبطُ منه الدليل، بعد القيامِ بالتجاربِ عليه وتدوين أسسها ونتائجِها وشعور المحيط بأنها فائدَة، أي يتقبّلها ولم يتقدمْ أحَدٌ بالاعتراض عليها أو نقدها، وكلّ نتيجة تحول الظاهر أو النبوءة على الأرض كانت أم في المحيط الكوني وتحولتْ إلى حقيقةٍ هي نظرية ،وكما تحدثتُ في البدءِ أنّ الإنسانَ هو نظريةُ الحياة الكُبرى وإلى الإنسان (نحن) أتوجه الآن .

الإنسان كائنٌ نظريٌ اختلف عن مجموع المخلوقات المتلكة للنظرِ بالعقلِ الذي يمثل بيانياً الذاكرة الكونية، والتي منها أنجزَ

الذاكرة الحاسوبية، وامتلاكَ حاسةَ النظر والتي هي في حقيقة أمرِها أداةُ البصر والتبصّر، وأيضاً معه الإحساس البصري القادمُ منَ القلب ويعيشُ فيه من المعلومة المقدسة (اعلم أن الفؤاد يرى) ، لذلك قلت : إن في الإنسان تكمَنُ النظرية الكونية، أي القدرة النظرية المضاعفة وأقصدُ بها نظريةَ التأمل المنجبة إن امتلكناها حقيقة للوحي (الفتح العلمي) وهي قائمة على علاقة المتأمِّل والمتأمَّل به، والمساحة المنظورة بينهما والقادمة من النظر الذي يؤدي إلى النظرية ، التَي هي محَور هدفنا، وغايتُنا البحثُ فيها بكونها تحوي كاملَ النظريات الروحية والعلمية الهندسية والرياضية والحاسوبية والمعرفية ، وأيضاً بها النظريةُ الاجتماعيةُ الكاملة، وبعدها بكونه كائناً متكوناً وجبَ عليه التكوينُ والبناءُ والتطلعُ إلى الأعلى عبر مسيره الحقيقي إلى الأمام ، كي يحقق الارتقاء، وبدون البحث في النظرية الكونية والتي هي الوجود الإنساني من أجل التحكمِ في الموجود لم يكنْ للحياة معنى ، ولا يمكن لنا معرفة مصير الوجود، ما معنى أن نتحدثَ في هذا ؟ وأن أخاطبَكم بأن لا ننحصر في دائرة العلوم الدينية والمعاني اللفظية، وألاّ نتأطّرَ أيضاً في نظرية المعرفة الاستهلاكية، المرتبطة في حدود نظرية الفكر اللغوي ، أوَ نظريةَ الفكر الإيماني ، أو ما يَسود الآن في المجتمع العربي: نظريةُ الفكرَ التخيلي لا نظريةُ الفكر التأملي، وإن نظريةَ العلوم النظرية تبقى نظريةً دون نجاح ما لم تدخل عالم التطبيق ، وفي عودٍ على بدء والبحث في عنوان بحثنا هذا النظرية والتطبيق من القصد والإلامَ

نهدفُ من هذه العلاقة، وهل احتجنا كلّ هذا الحوار للدخول إلى ما نريدُ أن نصل إليه .

أجل بعد البديهي، والذي يكمنُ به مجموعُ صعوبات التأسيس يحضرُ الضروري على شكل المضاف إليه ، والذي يعتبر متمماً بدونه لا اكتمالَ لنظرية البناء والتكوين، كما أن اعتبار أن البديهي سهلٌ هو الخطيئة الكبرى ، ومن نظرة إلى نظرية مجتمعنا العربي نسأل أين نحن من النظرية الكونية، ما مدى فهمنا للنظرية الإنسانية والتي هي محورُ حديثنا ولننطلق من إنساننا السوري الحاضر الآن، والذي نحن جزء منه ، بديهي أن يتعلم الإنسانُ الأسس الدرسية التي تنقله رويداً رويداً من صف إلى آخر، وتسمو به بغاية تحقيق الأحلام والوصول إلى الآمال والطموحات التي قد لا ينتبهُ لها تطبيقياً مع فهمه الكاملِ لما تحمله نظرياً ، فإن لم يجتمع النظريُّ بالتطبيق كانت الحياةُ الإنسانية منفصلةً، أي مبتعدةً عن أسس الارتقاء التي تحضر من فهم النظري وتطبيقه ، قد يسأل البعضُ أن حتمية الانفصال بينهما حاصلةٌ بحكم ظروف الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والعلمي ، هذا صحيح في إجابتي التي أستمر بها قائلاً : أدعوكم جميعاً بكوننا مكوّنَ هذه الجغرافية المحددة عربياً وسورياً، إلى الاعتماد على نظرية التخصّص الجزئي ، والابتعاد عن التخصّص الشمولي الذي لا يؤدي إلى إيجاد أي عنصر من عناصر النجاح، بكونه لا يمتلك الإتقان، إن أردنا الحضورَ ورفعَ الشأن وإبرازَ الشخصيةِ العربية والسورية بشكلٍ محدد، بكون

الأمة العربية تعيشُ مخاضات الولادة منذ مئات السنين، وأعني بالتخصص الجزئي أن نمتلكَ علمَ التخصصِ في شيء ونتعمقَ به ونزيدَ مهاراتنا بفهمنا له، ونؤكدَ على امتلاكه بقوة العلم وقدرة طاقة العمل، وذلك يؤدي إلى فهمِ الجزئيةِ والإبداعِ بها عبر إتقانها أولاً، وبشكل ملفت للنظر ومن ثم إسكانَها العقلَ الذي يملُّ من تصورها حيث غدتْ به بديهيةً تبدأ بتطويرها من خلال سكناها في عقله .

ونحن نسيرُ بجانب بعضنا، نتجهُ إلى تلخيص جملة الأفكار التي استعرضناها معاً حول النظرية والتطبيق، أرى من المهم أن نبدأ من عودٍ على بدء ،وأقصد التمحيصَ والتدقيقَ لمعرفة تحديد المسارات، وإحداثِ السؤالِ الكبيرِ الصغير، (أنا) ماذا أريد ممّا أدرس، حينما أصل إلى حيث أنا ، أي في مرحلتي الجامعية وبعد أن أتخرج كيف سأعمل مع أنا ، وهل سأدركُ بأنني أنا بمفردي قليلٌ ومعكَ أصبحُ أكثر، ومعاً سنغدو أقوى ، من هنا أوثّق أن النظرية الاجتماعيةَ فعلُ علمٍ وعمل ، تنجبُ للحياة أسبابَ وجودنا، وبالتأكيد إنه استمرارُنا، ومعَ احترامي وتقديري لفكر كلِّ واحد منا ولفعلِ أي منا بكون كلِّ واحد منا له نظريته في العيش والحركةِ والتفكر، ولكنْ في الاستناد إلى آلية التبادلِ نجدُ أننا نستطيعَ أن نبنيَ مجتمعاً جماعياً خلاقاً، له صيغةُ التكوين وسعيُه للارتقاء واثبات الحضورِ بين الحضورِ العالمي.

إن جلَّ اهتمامي هو إنساننا ، أنتمَ الذي ينبغي أن يتجهَ إلى إيجاد الحلولِ المنطقيةِ لتحريك الفكر، من خلال إدارة ما يمتلكُه

من علم ومعرفةٍ وفهم ، فهذا الجمعُ الكمّي الساكنُ في العقل إن لم يكنْ به لمعٌ وتوجُّه لبناء حياته وتكوينه الاجتماعي الذي بدونه لن يستطيعَ العيش ، علينا أن نجَبرَهُ للتحرك ، وألاّ يبقى نظرياً ننظرُ إليه دون تطبيق ، وإذا تمَّ ذلك كان هناك إنجازاتٌ وإفطارٌ من صومٌ لا نرضى عنه كثيراً ولا قليلاً ، أنتم الآن تمثلون بيانياً المنحنى الصاعدَ إلى الأعلى ، تفكروا في بنائكم الفكري الذي يحتضنه عقلُكم كي يساعدَكم في بناء مجتمعاتكم ، ومع إيماني أنكم وأينما وُجدتم تحملون الانتماءَ في وجدانكم ، إلاّ أنه وفي الاعتراف حلمُكم الذي يخص كلَّ واحد منكم .

أَفسحوا لعقولكم الطرقَ لتستوعبَ ماذا تريدون - ماذا ترون - ماذا تؤملون - بماذا تحلمون ؟ لا يوجدُ مستحيلٌ طالما أنتم مصممون بعد امتلاككم للعلم القادم من التفكر والتأمل على البناء واستمرار البناء، وأن يكون البناءُ سليماً ومتيناً دعونا نفتخرُ بكم نطالبُكم بالاجتهاد والعمل ، وربط النظريةِ بالتطبيق نصفقُ لكم حينما نرى النتائجَ إيجابية .

الإرادة

حرّة في جوهرها حية في وجودها بحكم احتكامها للعقل الإنساني، إنها الشيء المطلق في الجسم أي جسم متكون كائن يحتوي في ذاته كن لتكون ، لا تكلّ ولا تملّ تعمل أبداً في الإنسان والكون

فتكون سراً من أسرار الوجود، تأخذ شكل مفتاح الحركة والسكون من مبدأ الموجود الحيّ الحامل لإرادة الحياة، تندفع وراء الرغبات مظهرة أن العالم قائم على الإرادة التي تسجل في ذاكرة الوجود وجودها ، كما أنها البدء في المسير وأعني بذلك إرادة الحياة ترافق المسير والحركة والاندفاع، وهي مقدمة كلّ أمر فما لم يُرد لم يُفعل، وفي اللغة تعني القصد والمشيئة، كما أنها التحول أو التخلي عمّا جرت العادة عليه ، متوفرة بكثرة تقبل التنوع حسب الطلب ضمن جوهر أريد، فإن أنهيت ما أريد تحقيقه تدفعني من جديد، وإذا قلت أردت ولم يتحقق بكوني لم أمتلك إرادة أريد أي أنني لم أستطع أن أغري الإرادة وأحفّزها مندفعاً إلى إنجاز ما أريد ، تتحول أريد إلى ماضٍ يجعلني متأخراً ومنتظراً وبلا فاعلية، أُراوح مكاني فتكون هي في حالة الحركة ويكون العقل الإنساني في حالة سكون، فإذا لم يستجب وينفعل من خلال تفعيل العقل تتباطأ وتفقد فاعليتها.

جميعنا يمتلك الإرادة بكوننا أيضاً جميعنا لديه عقل، وعليه تكون العلاقة بين العقل والإرادة علاقة إنجابية وإيجابية ولماذا مع العقل حصراً؟ بكونه حاكماً ومتحكماً بكامل توجهات أسباب التكوين، وعليه يكون العقل المستثمر عقلاً ناجحاً وذكياً وغنياً ولديه إرادة ناجحة، والعكس عقل ضعيف ذكاؤه محدود إرادته ضعيفة ، إنها تتحد مع العزم حين توفر الطلب لشيء ما والوصول إليه وتحقيقه وتتمثل باتحاد الطاقة والقوة التي يمتلكها الإنسان، يستحضرها عندما تتهيأ رغبته في القيام بأعمال أو أفعال بقوة الاختيار إما للوصول للغاية أو بين شيئين والتأكيد عليه؛ بحيث ظهورها يحوِّل

ما تريد إلى مراد، كما ويجب أن يتوفر الحب بأي شكل من أشكاله المالك للرغبة حين إرادة تحقيق الطلب بعد أن تختاره في وقته وتقدير ضرورة الحاجة إليه، وعليه تكون الإرادة لا تأمر العقل بل هي جاهزة ومتحفزة لتنفيذ أوامره عندما يأمر.

تخضع الإرادة لثنائية الحبِّ والكراهية والسالب والموجب والبناء والهدم والاستسلام الحامل للخمول لا تريد إيقاظها، وعند النشيط نشيطة قوية بهمتها تمنحه القوة ، الحرُّ يمتلكها ويخرجها من قرارة ذاته مدركاً تصرفاته، والضعيف يحولها إلى تابعة وبائسة ومستزلة يتركها تتنقل بين التغير والمحاسبة والمقارنة والتوافق والقرار، بينما هي تحتاج للفهم والعلم والحاجة لقبول أريد ورفض لا أريد، اكتمل الإنسان وظهر إلى الوجود بالإرادة التي سكنته فكانت جزءاً من تكوينه الحياتي، دفعته للمسير على الأرض من أجل بقائه وحولته من خلالها للبحث عن طرق استمراره، وما بحثه عن الطعام والشراب والمسكن والملبس إلا ليقوى في ظهوره وحضوره وحماية ذاته، ومن ثم دفعه لتطوير وجوده بإرادة القرار وإن ما أنجزه في هذا المنحى ما هو إلا وسائل إثبات واستمرار الوجود الطبيعي، وفي ذات الوقت هي فيصل قراراتنا التي تعتمد على نظرية البناء والتطور العلمي بكل أشكاله، فإلى أي مدى نعرف قيمة الإرادة ونمتلك المفاهيم حولها، وهل حقاً نمتلك إرادة القرار بين التخيير والتسيير ، أي إرادة نمتلك ؟، وحين نعلم ما نمتلك ما هو الهدف الذي يحتاج للإرادة التي تساعدنا من أجل الوصول إليه، وبما أن الإنسان مخلوق عقلي والإرادة آلية من آلياته فهو الذي يحكمها

وقادر على توجيهها من خلال رسم التوجهات، والإنسان الناجح والمجتمع المتقدم هما المتلكان للإرادة التي رسمت في العقل الهدف، والغاية استثمار الإرادة من أجل الوصول إليه .

الكرامة

عنوان عريض يدل على الحاضر، القادمة من التحضر المنجز من أعماق التاريخ مستمرة وتستمر، فهل يستطيع أي إنسان العيش بدونها، وماذا يعني لنا فقدانها، هل هي جينات وراثية تتناقلها الأجيال، أم أنها حالة كسبية نعتادها بعد ظهورنا على الحياة، وهل يستطيع أي أحد أن يمنحنا إياها في حال ضياعها، ما هو شكلنا بدونها، وأي صورة نكون عليها حينما لا نتمتع بها ولا يظهر بريقها في وجوهنا، هل الطاعة العلمية والالتزام بمكونات المجتمع يعزز الكرامة ؟ بكون الفرد صاحبها ينجز أسرة يمنحها إياها تتحول إلى مكون رئيس للمجتمع بصورته الأمة، وهل الالتزام ضمن نظام بناء الهرم الاجتماعي يعطي للإنسان قيمة تكوينها الكرامة فتعتبر بذلك أهم صفة وُجدت في وجودنا وقيامتنا، تتمتع بقوة جوهر الحرية الإنسانية التي لا تنتهك حرية الآخر، ولا تتحقق إلاّ إذا كانت تمتلك دقة هذه المعادلة.

سلوك هادئ قادم من حق تتمتع به الشخصية الإنسانية العاقلة والمتزنة، تتفهم علاقة المادي والروحي، قوية تستحضر احترام

الآخرين، إنها أهم صفة يتمتع بها الإنسان العاقل، تسمو به محلقة بغاية إثبات وجوده الإنساني تمنحه الامتياز، تتركب من مجموعة السلوك الفطري والتعليمي، أي قادمة من الإكرام الذي أصاب الإنسان حين نشأته ليحول إلى كريم وَمُكْرِمٌ ومُكَرَّمٌ ،فامتلك من كل هذه الصفات الكرامة ، التي نشأ منها وعليها الإنسان، لتتحول إلى ضامنة للاحتياجات الطبيعية والضرورية، تشكل الحاجز الرادع حينما ترغب النفس في التجاوز، وتمنح عندما تتوفر لديها قدرة العطاء بدءاً من الحب والاحترام وانتهاءً بالسخاء، تتشابه في وجودها مع المعجزة أو الأمر الخارق للعادات العامة حين ظهورها، وبما أنها تطلق على الإنسان فتكون بها جملة الأخلاق، تتحول إلى صفة يمتلكها جميع الناس، وتختلف في درجات تحققها وقوة فعلها، ثوبها الهيبة بكونها صورة الكرامة والعزة والمنعة اللتين تقاومان الذلَّ والهوان وهما صفات من لا يمتلكها، وليس من الضرورة أن تدل الثياب المحاكة من الخيوط على جوهر الإنسان حامل الكرامة؛ إنما خُلقه وأفعاله هي الكاشف الحقيقي لحقيقته المتجولة في جوهر أفعاله والمتحركة عبر مسيرته .

الكرامة صفة المجتمعات المتطورة يتمتع بها إنسانها، ونجاحها يعتمد على طبيعة الوعي الذي يتعامل به أفرادها المتمتعين بالعقول العلمية الموضوعية، والمترفعين دائماً وأبداً عن المنطق الانفعالي والردود غير المدروسة، ولا علاقة للكرامة بالغنى أو الفقر، فهي معنوية أي صفات وسلوك تلعب دوراً مهماً في حياة

وجود الفرد ونجاحه وفشله ، إن تذوق معنى الكرامة يؤدي إلى فهم عميق للحرية والقانون الطبيعي والوضعي؛ الذي يمتلك من خلالهما الإنسان موانع التعدي على الإنسان الآخر والموجودات المحيطة، وفي ذات الوقت يمتلك حقَّ الدفاع عن الأرض التي نبت منها وارتبط بها، والعرض الذي كوَّنه وأنجب معه والممتلكات التي تعب وجهد علماً ومعرفة كي ينجزها، ويترفع حينما يستزيد بها عن كثير من الأشياء الدنيوية، وتغدو لديه الأغلى والأثمن فلا يبيعها ولا يتنازل عنها مهما بلغت المغريات.

حقيقة الإنسان ووجوده مرتبط بها، فهي كل ما ذكرنا، وضدّها الإذلال والهوان والتبعية وسحق للشخصية، فإذا استسلم الإنسان لجرح كرامته معنوياً أو مادياً كيف يستعيدها ؟ وحينما يكون صاحب حق؛ ما هي التصرفات والخطوات الواجب اتباعها من أجل التئام جرحها واستعادتها، ولماذا يضع صاحبه نفسه في موقع استباحة كرامته، وهل تخضع الكرامة للواقعية أي تتقبل سياسة الأمر الواقع والسير معه، أم تتكيف مع الظروف والفصول ؟ تتعرى فتبرد وتزهر فتسخن وتثمر، تخضع للقوة الأعلى بصبرها لتتعلم نظام بناء قوة فتستعيد حضورها منتفضة على ذاتها الممتلكة لها في الأساس تستعيد ألقها .

إننا متمتعون بالكرامة، وكرامتنا قادمة إلينا من أرضنا الكريمة التي أنجبت لنا تاريخاً كريماً، وعظماء كرام وُجدوا في التاريخ كي نتطلع دائماً وأبداً إليهم، من أجل ألاّ نتخلى عنها وكي ننتقل بها إلى

المستقبل الذي سيحمل منّا أبناءنا وحاضرنا فلا ننسى أبداً حينما نتمتع بها، الكرامة وجود بها كامل الحضور وضدها ؟.

الربح

جميعنا لنا منه نصيب في الاعتراف أن من يغادر فقط هو الخاسر، وطالما أنه يتحرك فهو رابح يتمتع بنصيب منه صَغر أم كبر بقدر ما يمتلك من الصدق والإخلاص، فهو حقيقة تعيش ضمن النوايا التي تمتلك الإخلاص، يظهر لحظة امتلاك الشعور بأن هناك نقصاً ما تراه في علاقة إيجابية أو مادية يدفعك إحساسك بأن تقوم بإتمامه بالشكل اللائق والجيد، إضافة لظهورك كمتصالح حقيقي ما بين الذات والعقل، حيث تدفعك هذه العلاقة التصالحية للتفاعل الإيجابي من خلال إيمانك بالمحيط، فماذا يعني أن تخسر العالم وتربح نفسك أو أن تربح العالم وتخسر نفسك؟، أي معادلة رابحة أو ناجحة تظهرها هذه الأقوال وكيف يكون ذلك، ونحن جميعنا متعلقون مع بعضنا لا يمكننا الانفراد أو الانعزال أو التقوقع على ذاتنا، وحينما نؤكد أن الإنسان بمفرده قليل نصرٌ على أن الثنائية الإنسانية هي معادلة النجاح وبالتالي يكمن فيها الربح ، فلا يمكن للفرد بمفرده أن ينجمع أو يجتمع أو يضرب أو يقسم أو يطرح كي يحدث النتائج التي لا ينبغي لنا أن نفصلها عن الإيمان بما يجول في العقل والقلب من قناعات بضرورة تحقيقه؛ والتي نطلق عليها النوايا الحسنة، كما لا يمكن للفرد أن يفكر وحيداً وبلا محيط،

فمن أجل من يفكر ولمن يولّد الأفكار؟ وفي حال إرادته إيجاد تجربة وغايته الوصول إلى نتائجها يتوقف ليسأل في تسلسل بحثه من أين سأُحضر المكونات، ومع من سأتبادلها، من سيقيِّم نتائجها، أنا لا أكفي يجب بل ضروري أن أقدمها إلى الآخر والمجموع ليعرفوا جودتها ومدى نجاحها، من سيهنئني ومن سيمنحني الأوسمة ومن سيصفق لي، وما هي الطريقة أو الآلية لأعرف أنني ربحت؟ من مفردات الربح وهي الفوز والتقدم والنجاح والتفوق في كل محاور الحياة، أي لذة سأشعر بها إن كنت وحيداً وأي أنا (أنا) أعيشها وأحياها دون الآخر والآخرين، من سينبهني إلى أنني أخطأت، ومن أين لي أن أعرف أنني خسرت وأن ما فعلته ليس جيداً حقيقة ، كيف وكيف سأعرف أنني ربحت في الحب إن لم يكن لي حبيب ونقيض ومتابع، وكم هي خسارتي مع الكراهية والحقد والغيرة والحسد؟ .

الربح نوعان: سريع تكمن به كامل المخالفات اللاإنسانية وهادئ منطقي ينبت من بين جمل السلوك الدالة على إنسانية الإنسان؛ الباحث عن فهم الحياة ومكوناتها وكسب صديق، والإخلاص لمحبٍّ وحبيب، فيكون الأداء ربحاً يظهر الولاء كحقيقة لا خيال، ومعناه فائض رأسمال الشخص المادي أو الفكري أو الإنتاجي، فكل امرئ له مكونات فكرية ومادية تعتبر أساس مكوناته حينما يلتقي مع الحياة؛ تعلمه ليتبادل معها إثبات وجوده كحضور فاعل فيها لها وله، ينطلق مما امتلك من جسد مادي وروحي، حيث تتشكل مفرداته الفكرية تظهر حينما يحادثها عندما يختلي إليها، يحاكمها ليراها على شكل أحلام وآمال ووعود، كأن يقول سأبني بيتاً وسأنشئ أسرة

سأتعلم أريد أن أصل إلى مرتبة كذا، أحلم بأن أكون تاجراً أو مدرساً أو فاعلاً فيها، لا أحدَ يتخيل أنه عامل أو أجير حتى حينما يكون كذلك يطمح لأن يكون معلما ً في مهنته أو في عمله أو في مسيرة عمله، لا أحدَ يرغب في أن يبقى فيما هو عليه، أي أن الجمع والجميع يبحثون عن الربح، فالربح هو الصفة الجديدة التي تتحقق ضمن طموح أي عاقل.

إنني أعتقد أن الربح الحقيقي هو السمعة الأخلاقية التي تدع لدى الآخرين أثراً هو بمثابة المضاف الجديد والجيد إلى أيِّ تكوين، فحينما ننتج منتجاً ونخدمه بصدق وإخلاص ونهيئ له أسباب جودته ونتحد معه من خلال محبتنا في أن يصل إلى الآخر ويقنع به، يتحقق الربح المادي والمعنوي، فلا تخسر نفسك ولا تخسر العالم ، كما أن الكلمة المعرفية الطيبة والصادقة والعلمية المفيدة للآخر والمجتمع تحققه بالتبادل، وإن ما أرمي إليه هو أن يرى جمعنا جميعنا، فكيف يكون ذلك؟ وهل نتفكر بأن الربح هو ملك للجميع لا ينبغي أن يكون فيه خاسر؛ وإلاّ كان السقوط الفردي والاجتماعي إن لم نمتلك آليات ومكونات ومفردات وعلوم الربح .

الخسارة

ما معنى أن نخسر مع قدوم صباح جديد يوماً آخر من عمرنا الزمني، وننطلق إلى عملنا نحقق فيه الربح والخسارة التي تحتاجها الحياة، فأمام كل رابح هناك خاسر، وهذا يريد أن يعوض خسارته والآخر

غايته تعزيز ربحه، بديهي أنها ضد الربح ونقيضه في كامل ما تعنيه من معاني وتحاليل وأفكار مؤلمة موجعة تجهّم الوجه وتحبط القدرات المادية واللامادية، تحوِّل الشكر والعرفان والحمد إلى أسف وإرباك، ومراجعة لآليات حدوثها؛ الذي يوجد لها المبررات المنطقية والواقعية التي أدت إلى حدوثها وتحوِّل العاقل و غير العاقل إلى حالة من التفكر و الهذيان والكفر والطغيان .

لا أحد يتمنى الخسارة، ولكن السؤال يفرض نفسه: متى نخسر، وكيف نخسر، ولماذا نخسر، وهل هناك من داع لحدوثها، وهل الخطأ الطبيعي خسارة بكون كل من يعمل يخطئ ومن لا يعمل لا يخطئ، فهل الذي لا يعمل لا يخسر، وهل الذي يعمل يخسر إذا أخطأ، وهل المكونات العقلية المسؤولة عن التعلم والتعليم والفهم الحاملة لجمل الأخلاق التي يعيش بها مجموع السلوك الإنساني تخضع لمساءلة لماذا حدثت الخسارة، وهل يمكن أيضاً أن نخسر من ربحنا لنقول إننا خسرنا وحينما يحتاج عملنا أن يكون على تمامه ونتقص منه شيئاً مرئياً أو لا مرئياً بغاية التوفير وإحداث ربح شخصي مضاف، هل هنا نحقق معادلة ربح الربح وخسارة جودة المنتج، وماذا يعني لنا ونحن قادرون على إنجاز الفعل أو العمل المطلوب بدقة وتدقيقه قبل أن نسلمه، ألا يعني لنا هذا تحويل فائض الربح الذي كنا سنخسره لو لم نضف الإضافات المهمة التي بها نختتم عملنا أو منتجنا إلى ربح مادي مضاعف وعليه الثناء، وحينما يتعود الناس على منتج جيد يجب الحفاظ عليه؛ بكون منتجه يربح

منه، فإذا انتقص من جودة منتجه اكتشفه الناس بسرعة وتخلوا عنه لتحدث الخسارة الكبرى، أليس الكذب والكذبة خسارة، حتى وإن كانت ذات حبكة درامية مقنعة مؤثرة ومحرضة حين اقترابها كثيراً من الحقيقة، ماذا يحدث حين اكتشاف أنها كذبة وانطلت، لماذا تخسر مجتمعاتنا دائماً في التقدم إلى الأمام، وفي كامل صنوف نتاجات الحياة العملية تعيش على الاستهلاك، أي تستهلك بعضها دون إحداث خرق إبداعي، هل الخسارة هي عدم تعود العمل، وعدم المقدرة للوصول بالمنتج لدرجة الجودة التي تحقق المنافسة، وهل الربح فقط في أن نتعلم ألاّ نخسر حينما لا نحوله إلى عمل يُنتفع به، نخسر في الحب بدءاً من الشخصي مروراً بالاجتماعي وانتهاءً بالمحيط الأممي، ونخسر بعدم التصارح والتصالح مع بعضنا وبين مظهرنا وجوهرنا، نخسر حينما لا نتعلم الوقوف خلف بعضنا على سلم الصعود، نخسر حينما نستسلم لأقدارنا ونحيل عليها كامل أسباب فشلنا والفشل يعني الخسارة .

في المعاجم خَسِرَ في البيع خسراً وخسراناً وخَسَرْتُ الشيء وأخْسَرته : نقصته والتخسير الإهلاك والخَسارَ والخَسارَة والخَيْسَري : الضلال والهلاك وصديق مخسر عدو مبين .

إنني أعتقد أن الخسارة الحقيقية هي خسارة الوقت حينما لا نعرف قيمته وقيمه، كما أن من يعتقد بخسارة العالم ليربح نفسه فهو خاسر، وخسارة النفس من أجل ربح العالم أيضاً هي خسارة ما بعدها خسارة، الفعل والانفعال الهمة والعمل والنشاط والإيمان

بأن الإنسان السليم قادر دائماً على التعويض، فبدون الخسارة ما كان ربح، وبدون النتوءات والحُفَرْ وكلام الحق ما كان الكَلِمْ «الجرح»، وبدون العمل ما كان هناك أمل، فالأمل بالعمل، والربح يأتي بالاجتهاد والجد، وتحول كل قادم جديد إلى مفهوم عمل يطلب الجودة ويجتهد لها يمنع الخسارة ويزيد الأمل في الحياة .

المرآة

إنني لن أتحدث عن المصنوع منها على شكل مسطّح مربع أو مستطيل أو دائري لامع من وجهه الذي نطلّ عليه حيث يرانا ونراه، مطلي بمعدن القصدير المعالج من خلفه كي يعكس ما يراه، وكأننا نتأمل سطح الماء الهادئ والذي منه يتكوّن اكتمال الإنسان ، يعيد صورتنا من خلاله حينما ننظر إليه، فنرى اختلافنا الزمني وخلافنا أو تصالحنا مع جوهرنا الساكن ضمن الصورة المشاهدة أمامنا، وألواننا التي تدل على لحظات تمرّ بنا ابتسامة أو تقطيب حاجبين، وبساطة وتعقيد بحكم التطور الجسدي ومرور الزمن بما يحمله من آلام وآمال، نراها من خلال المرآة العاكسة لنا، ندقق فيها فنعلم أين نحن وصلنا وإلى أين نريد أن نصل، ومهما حاولنا الثبات ترينا التغير الحاصل والمنعكس على شكلنا بغاية معرفة حالة السلامة والأناقة المطلوبة ضمن الحدود المنطقية، دائماً وأبداً قبل الظهور والالتقاء ترشدنا إلى أدق الاختلافات، غايتها أن توقظ

العقل لحظة اتحاد المرئي بالمرآة، ينعكسان على بعضهما فإذا حصل واتحدا جالت رؤى العقل ضمن مساحات المرايا الكونية المحيطة فنكتشف ما لم يُكشف ، وصحيح أنها زجاجية وقبلها معدنية وقبل قبلها مائية إلا أن حقيقتها قادمة من الماء البرّاق تحت ضوء القمر والذي بـه سرّ الحياة .

المرآة جميعنا يسعى لامتلاكها -التنوع الطبقي في ثلاثيته الموجودة بطبيعة وجود الأشياء-، فالفقير يقتنيها والمتوسط والغني، هي الوحيدة الجامعة اللامعة للطبقات الثلاث، وصراعها الطبقي الخفي والمعلن، نتحدث عنها فهي موجودة في كل مكان ، المنزل والعمل وسائط النقل مكونات المجتمع، غايتها التمعن في ذات شأننا الظاهر وغايتها إظهارنا أمام العلاقة المجتمعية ضمن حدود المظهر اللائق، من هنا تدعونا لنتأمل بها هذه المصطنعة من الأدوات المادية، نخرج منها أبحث في المرآة الثانية والتي بها يكمن سر النجاح وهو العمل، حيث جودته تعكس مهارة بريق صانعه وعلمه وخبرته، لتأخذ بيده مسجلة إياه ضمن الحضور الفاعل المنتج والمنجب للحياة، هنا يكون النتاج مرآة الفاعل يمنحه الابتسامة العريضة التي تظهر من ثناء الآخرين عليه، كما أن السلوك الحامل لنواظم الحياة والالتزام بقوانينها يعطي للمتأمل بها قراءات حقيقية تريه حقيقة أسباب وجودها فيلتزم بها .

وفي اعتقادي أن أهم مرآة هي الإنسان الآخر الصادق صاحب العقل والحكمة الصدوق الباحث عن زيادة إنسانية الإنسان وتبادل التطور

معه ليأخذ بيده عاكساً عليه، وإرادته تطوير الموجود الحياتي ذاك الذي يراك وتراه يراقبك وتراقبه، تقع عينك الناظرة إليه على عينه المتأملة فيك لتكون هذه المرآة وحدها الممتلكة لثقافة الحب والمخلصة للأداء الحياتي والإنساني من حيث امتلاكها للحواس والإدراك وإصدار الحكم، وبدونها لا تستطيع العيش ولا الاستمرار، فالمرآة الصناعية صماء لا تمتلك الحواس، تظهرك فقط في حالة تطابق معها وتعكسك منها عليك وتحتاج الضوء كي تظهرك، ويجب أن تكون ملساء تماماً وإذا انكسرت شوهتك وإذا تحرك الماء أخذ صورتك معه ولن تستعيدها، نصل إلى أن للمرآة خاصية العاكس تقف أمامها كي تحرض ذاكرتك لتعكس التاريخ البعيد إلى الماضي القريب والحاضر المعاش، وتفعيل الآليات الفكرية الساكنة في عقلك من أجل أن تستطيع الانتقال إلى المستقبل، إنها تريك عقلك الحامل للسلوك الخشن والناعم والسالب والموجب، تطالبك بالبحث عن الإيجابي لتزيد من قيمة الجمال والتجمّل بالأخلاق الحميدة، كما تتجمل لتكون صورة إنسانية تدعوك للسير على طريق المعرفة، فحينما أبصرت وجهك على الماء عرفت أنك حيٌّ آدمي حاضر .

المرآة حياة موجودة ملازمة لك فهي علمك وتعلمك، كما أنها الزوجة والابن هي الأسرة والمجتمع المتكون منك أنت أيها الإنسان لتعود فتكونه، إنها الحياة صورتها الكبيرة، تريك إياها على شكل كون كبير فيه تكوين صغير هو أنت .

من لا يمتلك مرآة ليستحضر المرآة وليقف معها وقفة حساب،

يناقش معها عمره الزمني حيث وصل ووقف أمامها كما يناقش عمره العقلي من خلال ما أنجز، وليحاكم عمله أمامها وما ارتكب من أخطاء بحق ذاته وبحق أخيه الإنسان وبحق الموجودات على الأرض وفي السماء ،هي وقفة لنحاول أن نقفها مع مرآتنا باحترام، نتطور ونعلم أننا نسير إلى الأمام .

الخلل

يكمن بين الصح والخطأ، إصلاحه يأخذ به إلى حالة القبول والرضا ،وعدمه يؤدي إلى رفضه نتاج تحوله إلى حالة تالفة يرفضها الزمن العقلي، إنه موجود في حياتنا الخاصة والعامة، يعيش ضمن الجدلية العلمية التي لا تقبل إلا النتائج المقنعة، وأيضاً المسايرة بكون حدود التسامح يملكها الإنسان العاقل ، تنتبه إليه من خلال تبادلك الواعي الذي ترشدك إليه حواسك المدركة العاقلة والناطقة مع الماديات والروحانيات، فتشعر به إما على شكل نقص أو عدم اكتمال، وهذا يتعلق في حالة كونك تخصصياً أو ممتلكاً للمعرفة النوعية أو فاهماً لآليات الحالة التي تتابعها بالفطرة الحياتية، وبشكل خاص يجب أن يخصّك أو يخص أحداً ما تهتم به، يطلب مساعدتك أو بحكم واجباتك الوظيفية التي تطالبك بأن تصحح الخلل أينما وُجد بالحكمة القادمة من التخصص والمعرفة، تبحث عنه وغايتك الوصول الدائم لتحقيق الجودة والنتائج بكونك تتعلق دائماً بالوصول إلى النجاح، فتُعطى الثناء كما أنه من واجبك أن

تمنحه للآخر بكونه أنجز عملاً على اختلاف تنوعه وأشكاله جيداً، إذاً نؤكد أن البحث عنه والتأكد بأنه غير موجود أو إصلاحه قبل تقديمه، بمعنى أدق علاقته معك كفرد وشكله: الملكية أو الرابطة الأسروية أو الدائرة الاجتماعية أو أمتك ووطنك، وعلاقة الحواس بالخلل منطقية حيث أن العين الباصرة لا ترى إلاّ الخلل، وأيضاً حينما تتلمس شيئاً مخالفاً لطلبك العقلي تشعر به على أنه غير المطلوب، وقس ذلك على السمع والشم والتذوق والتحليل العقلي والنطقية، وكل ذلك يرتبط بالمحاكمة العقلية التي تنطق بأن هناك خللاً ما، حينها تتوقف تبحث مناقشاً في صمت حيث يتجول الفكر في العقل متسائلاً أين هو الخلل، أهو موجود في المصنوع المادي أم في عقل الصانع الإنساني ؟ لتبدأ حوارية الظن والتخمين فيعتريك الشك وأنت تتحسسه عبر حواسك، تراجعه تدقق فيه علَّ الخلل بدأ منك، يحاورك عقلك تنتظر منه الإجابة وهذا هو المنطق، وأنت تبحث عنه قبل أن تلقي مشيراً إلى مسبِّبه وأسبابه التي تعطيه اسم الخلل، ومهما كان نوعه فهو انحراف عن سكة الصح، تراه الحواس كمرآة مكسورة الوعي، المنتمي يتجرأ في الإشارة إليه بكونه مرفوضاً وشذوذاً يظهر بين إيقاعات الحياة بتنوعاتها التخصصية .

الخلل يختص به الإنسان لأنه قادم من الخلال والذي يكمن به التنوع الذي يفتقد الاعتقاد والإيمان بالاختيار، وأيضاً من الخَلِّ، وحيث يكتشف طعمه الإنسان بسرعة فيرفضه، والخِلُ الوفي الساكن ضمن المستحيلات الثلاثة حينما ينقلب عليه، والخَلِيل الموافق على الصح والخطأ بكونه عجولاً مستعجلاً سريعاً ومتسارعاً، والخلان

غير المتواجدين في لحظة طلب اللهفة. يحمل المزاج المتلون بألوان الإنجاز أي المفرحة والمزعجة، وأيضاً يسعى إلى الكمال ولن يبلغه، إنما واجبه التكويني يدعوه للإنجاز، وهنا يكمن بيت القصيد، وبما أننا نسير للبحث عن الخلل أسبابه دوافعه مقدر أم صنعي- إرادي أم لا إرادي- طبيعي أم مقصود- نسبي وماهية نسبته، ومدى تأثيرها في الكائن الموجود أو المصنوع، وهل في استطاعتنا إصلاحه أم أنه كبير يحتاج الإعادة والاستبدال الكلي وحجم الخسائر الناجمة عنه، وهل هي مادية أم عينية أم معنوية .

نتوقف هنا متدارسين كل حالة بمفردها معللين الدوافع والأسباب، والنتائج التي تؤدي من نتاجه إلى الفشل أو النجاح مقدرين أهمية السعي الحقيقي كي نُظهر الخلل في حقيقته وأنواعه، ونتعلم كلّ في اختصاصه وعلمه وفهمه لاكتشافه والإشارة إليه.

هل الخلل الطبيعي يُحاسب عليه المرء، ومتى نقول عنه طبيعي ومقصود وما الفرق بينه وبين الفشل والخطأ، وإذا ارتكبه إنسان جاهل كيف نحاسبه، وإذا ارتكبه إنسان عاقل أيضاً كيف نتعامل معه؟ والذي نريد أن نصل إليه هل هناك مسبب وأسباب لحدوثه، أم أنه قادم في سياق طبيعي، بما أن الإنسان يسعى إلى الكمال ولن يدركه إلا بقدر، أي مهما أصاب من نجاح لا بدّ من وجود خلل طبيعي يراه إنسان آخر يشير إليه، وبالتأكيد هذا لا يخضع لعملية الحساب بكونه اجتهد فأصاب وفي حالة أنه اجتهد ولم يصب وامتلك النية الحسنة واعترف بأنه لم يصب، أعتقد جازماً أنه

أوجد احتراماً لنفسه باعترافه، وعليه أيضاً أن المكتشف للخلل يجب أن يكون مدركاً وممتلكاً لمسار عملية اكتشاف موقع الخلل أو موطنه، هنا يجب التمييز بين الخلل الكبير الفاضح الذي لا يمكن إصلاحه والخلل البسيط حيث يمكن علاجه.

أعتقد أن تنمية الفكر بتوجهه إلى التعلم، وامتلاك العلوم التخصصية والتأهيل العلمي الذي يرفع مستوى الإتقان ويعزز الانتماء، كما أن رفع مستوى الفهم يحسِّن أداء الحواس فيعمل على زيادة تنبّهها للخلل، كما أنه يوسع الذاكرة الإنسانية التي تخلق التمايز حيث ترفض الخلل وتتابعه قبل أن يصعب تداركه بين الخشن والناعم والضيِّق والعريض، وتميز بين الحاجة والحق فيرتفع مفهوم آلية الجمال العملي والواقعي، أي مساحة الصح تظهر مواطن الخطأ الذي يكمن بينهما الخلل، نستدركه لحظة حدوثه فنخفف منه ما نستطيع، وغايتنا الوصول إلى الجودة والقبول والنجاح وتلافي الخلل .

حكي نسوان

اعتادت النساء العربيات أن يجتمعن مرة في الأسبوع ودورياً، أي كل مرة عند واحدة منهن يسمونها الصباحية، والحد الأدنى للاجتماع من ثلاث إلى خمس جارات أو صديقات أو زوجات الطبقات

الاجتماعية على اختلاف تنوعاتها والحد الأقصى عشرون أو خمس عشرة وما بينهما، يكون اللقاء في منزل إحداهن أو في قهوة راقية الحضور أو مطعم فاخر، يسمح بالنمّ واستعراض آخر أنواع العطور والموضة وأدوات التجميل وأحدث عمليات جراحته، يتداولنها عبر استحضار أهم شخوصها والكل منهن يخفي ما نفخ بواسطة السيلكون وشدّ زوايا العيون ورفع الأنوف وكسر عظامها وشفط الدهون من الخصر والأفخاذ ورفع المؤخرة ورسم الشفاه والحواجب (بالتاتو) وإيقاظ النهود لتقف كالسيوف ولتكون كائناً في أفضل ما تكون من الحضور، دون أن تتذكر ما قامت به وتتنكر ما به تقوم والتفاخر بينهن بأن لديهن أزواجاً وأصدقاء يدفعون ويباركون كل ما يفعلون من أجل الجمال وإحداث التفوق في الحضور .

فإذا كانت الدعوة بمعية إحداهن ماذا يجري حين يصلن بالتتابع وفي أي حالة يحضرن، استرقتُ السمع وكنت في مطعم أذهلني كيف يتحدثن، حضرت الداعية إلى ذاك الصباح ورتبت الطاولة بإشاراتها إلى المخدِّمين لها وجلست في حالة استعداد لاستقبالهن، وفي ذات الوقت كل واحدة منهن تهيئ حضورها لذاك الصباح الذي إليه تسعى، وتسعى إليه زميلاتها وعليه يجتمعن، كل واحدة منهم اختارت صبغة لشعرها وأنجزت (البديكور والمنيكور) كي تتمايز عن الأخريات، وتقلدت أجمل حليّها من خواتم وقلائد وأطواق تروم منها الظهور والمنافسة، مرة ثانية يصلن تباعاً يتأخرن قليلاً بكون أن الكحل يحتاج إلى زيادة وحمرة الشفاه إلى معايرة، الهندام يجب

أن يُدقق في اللحظات الأخيرة ومع كل ذلك تجري عملية الدخول إلى الحمّام لإلقاء النظرة الأخيرة من أجل إحداث الغيرة والتي بها تكون المكابرة .

وصلن جميعاً وتحلقن حول الطاولة، وطلبن القهوة على الطريقة الأميركية وفي العربية (خيط مطو) كي يتساوين في المحبة الوهمية والشعور بأنهن نسوة - مفردها امرأة- وأنهن نساء لهن الحضور والقرار يقررن كما الرجال.

نعم وصلن، وبدأ الحديث بالترحيب والتأهيل والتسهيل وهذا بدون حساب القبلات مجاناً تُطبع على الوجنات، وعليه غابت إحداهن فبدأ الاستعراض بالاستغابة والاستشفاف منها وأنها (مكيودة)، بالتأكيد لم تحضرلأنها لن تستطيع المنافسة وزوجها لم يحضر لها ما أرادت من الزبرجد والعقيق، ضحكن وتجاوزنها وانطلقن إلى النَكات الخفيفة ومن ثم الفاضحة، حيث سألت إحداهن زوجها عن ماذا يتحدث الرجال حينما تجتمعون؟ فقال لها كما تتحدثن أنتن أجابته إنكم (رذلاء)، وما جرى في الليالي الحمراء والخضراء والصفراء والبيضاء، ومن أطفأت الشموع ومن أشعلتها ومن استفاقت بفرح تتمطّى ومن لعنت ساعة تزوجت ومن حلمت ومن تألمت ومن تأرقت ومن تحرقت ومن حدث معها الفشل ومن أصابت النجاح فتباهت دون خجل وتمردت وقالت (دا حصل وحصل) لتشعل الغيرة بين من لم تحصل .

خرجن من كل هذا ودخلن إلى النمّ والنميمة، أحضرن أليسا وشرَّحنها ، تنافسن بأن ثدييها دون نفخ وشفتيها ليستا طبيعيتين

(وهيفا) تتطاول بكعب حذائها وأنها عريضة في وسطها وكبيرة في عمرها، وأنهن أصغر من شهد برمدا وبنات بنات وردة الجزائرية، عليه عدن إلى الغمز واللمز بينهن فخاتم الداعية (إلى الصبحية) تقليدي وثانية تضعه زيركون بلجيكي والثالثة تضع اللؤلؤ الصناعي الياباني والرابعة زوجة سفير فتضع حجر الزفير والخامسة زوجة أمير تضع حجر الجمشت والسادسة الزمرد والسابعة العقيق والثامنة تلبس الفيرزاتشي والثامنة يفوح منها عطر بييركاردان والتاسعة مسحت وجهها ببودرة (هيلين روبنشتاين) ليلي نهاري، وطلبت من حبيبها وعشيقها وحلمها أن تتزوجه كي يغدو زوجها أن يحضر لها الصباحي على الرغم من عدم اختراعه حتى الآن .

والعاشرة تضع ساعة (الشيروتي) والحادية عشرة نامت في (حياة ريجنسي) وقضت ليلة حمراء مع صديقها، وشرحت لهن عن البطولات وآهات الذكريات إلى آخر النصاب تبادلن الهمسات والنظرات والإشارات، شربن القهوة مع الكيك وتحدثن بلغة النبلاء والبارونات وقلن حين مررن على المطبات الأرضية المزروعة ضمن شوارع سورية بأنها (متبات) وعن القاسي من أزواجهن (آسي) وعن اللطيف (لتيف) واستخدمن بدل الشكر(الميرسي والتنكيو ويعتيك العافية) بكونها لغة السينييه تستخدمها سيدات المجتمع المخملي من ذوات زوجات الطبقات المتنقلة على سلم المسؤوليات من الوظائف الرسمية والمالية والتجارية والتقليدية والتمثيلية.

لغة حديثة أنقلها إليكم مع فنجان قهوة صباحي استمعتُ إليها

ولم أجد فيها أي حوار ثقافي أو معرفي يدعو إلى تطوير الرجل باتجاه ثقافة الحب الحقيقية، وأيضاً تطوير المرأة التكويني الذي خلقت من أجله والتشاركي في حمل المسؤوليات، وأنا أتناول فنجان قهوتي الصباحي في (كافيه شوب) تقع على الجغرافية السورية وكنت في ضيق من حالة انتظار صديق الذي ضربت معه موعداً بغاية أن يحلّ لي أمراً ما يخصني، لم يحضر توقفت ملياً عندما سمعت كل ذلك واستذكرت أيام صالونات الثقافة والمجتمع والسياسة التي كانت تتداوله النساء في الزمن القريب منّا والذي مضى، وإنني لا أعمم فهناك سيدات فيهن ثقافة وفهم وعلم وقوة الرجال، لكنها ظاهرة تستحق التوقف عندها بكونها أخذت بالانتشار.

اتصلت بصديقي الذي أنتظره بعد أن انتابتني العدوى منهن قائلاً له بلغة السينييه التي كان تلك النسوة يتحدثن بها على فنجان القهوة: (سكراً) وعنيت بها شكراً فما كان منه إلا أن قال لي: (سينييه خانم جَلِّسْ) غادرت مبتسماً ومحدثاً نفسي: سأجمع أصدقائي في سهرة رجالية وسأكتب لكم عمّا سيجري من حوارات فيها.

حكي رجال

ضمن سهرة ضمت الأصدقاء اعتدنا أن نجتمع على مائدتها نتبادل بها طرف الأسبوع، وما مرّ مع كل واحد منا من متاعب وظروف؛ بها اليُسر والعسر والصعاب والسلاسة وأجواء الأسرة

والعمل، يتخللها ما تتداوله الصحافة وتعرضه شاشات التلفزة المحلية والعربية من برامج فيها الخلاف والاختلاف والرأي والرأي الآخر والاتجاه المعاكس، حيث تظهر المتحاورين وكأنهم متخلفون في السياسة والاجتماع والاقتصاد وفي الدراما، حكايا الحواري بما فيها من الحب البدائي والتحريض لزيادة العداوة بين الإخوة والأشقاء باستعراض العضلات وذاكرة كان يا مكان، وآخر النكات والإشاعات وأسرار الغلاء للمواد وموضوع الساعة، وكل مرة تكون عند واحد من المجموعة، أي دورية نتقاطر إليها الواحد تلو الآخر يقوم باستقبالنا بالترحاب والبشاشة، يكتمل النصاب وتبدأ السهرة بأحاديث الأسرة وحال الزوجة والأولاد، فهذا متذمر من زوجته التي لا تطهو له ولا تعلم عن ثقافة الحب في التكوين الأسروي، وترهقه بفواتير الكنتاكي والهوتدوغ والإندومي، ولو علمت تلك الثقافة لكانت الرابطة الاجتماعية أقوى، والثاني يتحدث بتفاخر عن زوجته أنها لا تسأله عن حضوره أو غيابه، وأن بيده زمام الأمور، كما أن أولاده لا يستجيبون لطاعته، ففي الدراسة هم مقصِّرون ومع الأحلام هائمون يتابعون أفلام الكرتون والتشات والإنترنت والستلايت لا يفارقون، والثالث يتحدث عن المتطلبات المنزلية: الكهرباء والغاز وانقطاع الماء والطبابة وأسعار الملابس الداخلية والخارجية والضرائب، وأن لديه زوجة صالحة ومدبرة، ولولاها لكان عيشه صعباً، والرابع يشكو من الجمود الحاصل في البلد وعن كساد الأسواق وضعف القوة الشرائية، والخامس يشكر الله على ما أعطاه

من زوجة متفهمة وواقعية وأبناء جيدين، والسادس يطلب قَصَّاصة لسيجاره المولود في يده لا يفارقه، والسابع نرجيلة، والثامن سيجارة والتاسع لا يدخن، وينصح بعدم التدخين مشدداً على ضرورة منعه في كل الأماكن، وشارحاً أن بدل قوانين منع التدخين يكفي أن توقف مصانع السجائر، وأن يمنع استيراده لتغدو البلد من غير مدخنين، وإلاّ ما فائدة منعه مع وجوده في كل أماكن الباعة والشوارع والمنافذ الرسمية، العاشر يطلب طاولة الزهر.

وبين مدّ وجزر تنفرج الأسارير، ويتحدث كل واحد عن مغامراته في التجارة والوظيفة وشطارته وحنكته من أجل الوصول إلى ما يصبو إليه من درجات الترقّي، ومغازلاته وغرامياته مع موظفاته وشغّالاته في بيته وعمله، وهذا يتحدث عن فوائد الفياغرا والكافيار والعسل وحبة البركة، وكيف أنه كان "هيرقلاً" مع صديقته وعادياً أمام زوجته التي تراقبه وتبحث في جيوبه وتدقق في أرقام هاتفه الجوال؛ علّها تجد أثراً لعلاقة ما، والآخر ينصحه بألاّ يستخدمها مع زوجته خوفاً من سؤاله عن تلك الرجولة المفاجئة، وأنه على غير عادته فيجيب: أنا بالأساس لست متزوجاً ولا أؤمن بالزواج، يعارضه الكثرة ويتفقون على أن الزواج تكوين مهم وضروري في البناء الاجتماعي، والآخر يقول: أنا ما شاء الله لم أستخدمها بعد لا مع زوجتي ولا مع صديقتي، ويطلب صاحب السهرة أن لا ترتفع الأصوات كي لا تستمع زوجته فتضعه في خانة اليك بين سين وجيم وتحول سهرته (إلى نيله)، يضحك الجميع ليخرج من بينهم محلل سياسي يتحدث عمّا يجري في البلاد والمحيط، يتناول

السياسة والأزمة المالية والاقتصادية العالمية وانعكاساتها على البلد والتأثرات التي انتابت الجماد والنبات والحيوان والإنسان، يختلفون بين مؤيد ومعارض أي أن منهم من قال: ضروري أن نفهم اقتصادنا كي نعلم درجة تأثره، فنحن نعتمد على الضرائب والجمارك والسياحة والاتصالات والفوسفات والحبوب والقطن وقليل من النفط، والاعتماد الأكبر على الله ،وفي الحقيقة يجب علينا فهم مكونات الإنتاج وإنتاجها ليكون لدينا نتاج يؤثر ويتأثر، يخاطبه أحدهم غيّر الحديث فللجدران آذان ـ يهمس بصوت منخفض ـ ما هي أخبار الوقود؟ يجيبه الآخر: تم خفض سعر ليتر المازوت خمس ليرات، يصفق الجميع للحكومة متسائلين عن أسعار باقي المواد، يطالب الجميع بالبحث عن حديث آخر، تنقطع الكهرباء ويبحث صاحب السهرة عن الشمع، يحاوره أحدهم كيف سنتابع السهرة، يجيبه الآخر نجلس على الشمع، يضحك البقية، أحدهم يعلق: تحترق المؤخرات إذا جلسنا على الشمع، هيّا بنا نؤجل السهرة إلى أن ينزل المطر وتمتلئ السدود وتدور العنفات فلا تنقطع الكهرباء، اعترض أحدهم قائلاً: أخذنا الإذن لسهرة حتى الصباح، ردّ الثاني اذهب واجلس مع الزوجة والأولاد استمع لمشاكلهم وتبادل معهم الحوار شجعهم بثقافة الحب على النجاح في الدراسة والعمل والانتماء والأداء والولاء للوطن، وتفكر معهم بأن عليك أن تصلح أمرك أولاً من خلال تصالحك مع نفسك، تفكّر فيما تقوم به وَقيِّمه، وإن كان به اعوجاج قَوِّمه وراقب خطواتك، فمنك يتعلمون مسيرة البناء والتكوين أعطهم من وقتك القليل تحصد منهم الكثير فتبني أسرة

ناجحة تؤسس في وطن عظيم، ولربَّ ضارة نافعة، فقطع الكهرباء يبدو أن غايته أن نعود إلى منازلنا مبكرين من أجل الأولاد، وكي ترضى عنّا الزوجات وننجز فكراً وعلماً تستفيد منه البلاد والعباد.

الدولة

ليست الوظيفة التي ينشدها كل حالم بها، كما أنها ليست الراتب المنتظم ومعناه أنه قادم لا محال والذي سيحصل عليه الفرد في نهاية الشهر، دون أو مع جهد حقيقي أو عطاء إيجابي، إنها الإدارة تراقب تخطط توجه تمأسس تمنهج تبحث عن الكفاءات التي تستحق الاحتضان والمؤمنة بحقيقة الشعور بالانتماء إلى الدولة المتبادلة للعطاء، حيث تثني وتعاقب تمنح أجراً لكل مجتهد وتأخذ بيد كل منتج فاعل عامل على رفع اسم أمته ومجتمعه ودولته وفي كامل مناحيها، لتغدو حاضنة للمجتمع ووعاءه الأمين وتظهر بصورة هوية كل فرد فيها يتمتع باحتضانها له، تمنع الاتكال وتؤيد الاتكاء بحدود، ماذا يعني هذا؟ وأي اتكاء واتكال، ومتى يجري الاتكاء وهل مسموح بالاتكال.

إنها الهرم الكبير تحميه ضمن الشروط الموضوعية، تُجيِّش أبناءه عند الشعور بالخطر تسوِّره بالحب والشفافية، تعمل بداخله كخلية نحل منتجة ومنجبة، الكل فيها له دور مرسوم ومنظم بدقة، لماذا ؟ هل تفكرنا يوماً بأن الدولة لا ينبغي أن تكون الوظيفة بكونها تتبادل الواجبات، وأن الوظيفة هي واجب يمنح إلينا يحتوي أسئلة

علينا أن نجيب عليها بدقة وموضوعية وما لا نعرفه، نعترف بأننا لسنا مؤهلين له لتتولى الدولة إيجاد البديل الذي يعرف ويجيب، فنختصر وتختصر هي الكثير من الوقت الذي يجب أن يستفاد منه بكونه غدا غالياً .

إن إجابة لا أعرف هي نصف الحقيقة، أما أني لا أريد أن أعرف وأدَّعي بأني أعرف وأن أتكل وأتلكأ وأتكئ وأحيل إلى من لا يجيب من خلال المناورة كي أظهر بصورة من يعرف، وأن أؤجل أيضاً باعتبار أن الدولة هي كل شيء، وأنها الأسئلة والأجوبة والاستراحة والراحة والتسويف إلى غد وبعد غد فهي الطامة الكبرى، أما الوظيفة بمعناها الصغير الاتكاء والاتكال مرفوضة بكونها غير واقعية وغير مقبولة ، فما يجري اليوم هو الصعوبة بحدِّ ذاتها، وحينما سأل أحد موظفي الدولة مراجعاً عن اسمه قال له صعب، أجابه هل أني لا أستطيع نطقه أو اللفظ به؟ عاقبه قائلاً: تعال غداً، وغداً يأخذ إجازة الهروب من المسؤولية دون تقدير، وحينما يراجع المواطن حاجته ولا يجده؛ ينتظر تتعطل الحركة والحراك الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، هنا تتحول الدولة الأمينة بأمانها إلى مساءلة شكلها سؤال، هل تستبيحها الوظيفة لتضيع الجودة، ويتحول إحساس الموظف وشعوره بأنه موظف، وفي نهاية الشهر سيستلم راتبه والذي يعني له الرتابة، أي الهدوء وعدم التسرع كي لا يقع في المحظور، ومنه تتولد فكرة: إن عملت أو لم تعمل وأجلت أعمال وكشوف مواطني ومصالح الدولة ورميتها من

غير أن تجيد الرماية إلى وعلى غيرك تتحول الدولة بك وبأولئك الأشخاص إلى وظيفة، من هنا ننطلق نتحدث فيما بيننا لنقول جميعنا: إن الدولة لا يجب ولا ينبغي وليس من الضروري أن تكون الوظيفة والراتب، وحينما نتدارس ظروفها نجد أنها في هذا المنحى تعبة ومرهقة وتناشد مخلصيها بأن يحملوا أعباءها.

أتوقف هنا أتدارس معكم دور الدولة القانوني وهي ترعى إدارة الوظيفة، أي سلطة القانون عليها، وغايتها حماية المجتمع من الاختلال وفقدان التوازن في الحقوق الاجتماعية، ودورها الرتيب في منح الراتب ومهماته الناتجة عن ذلك المنح، وأيضاً الأسرة وتنظيمها وشرح وظائفها ودورها في المجتمع الاقتصادي المنتج؛ القادم من الإنتاج الزراعي والصناعي والسياحي والتجاري والسياسي؛ الذي تقدره الدولة بعلاقتها الناظمة للعلاقات المتبادلة مع شعوب اللغات والمتوافقة مع لغتها والمستخدمة لها المختلفة عن اللغة الأم، وأقصد هنا التمييز بين الصديق والعدو والصديق الصدوق والمعادي العدو، أما دورها الأمني، هذا الدور الحاضر الخفيّ الساهر على أمانها، يحمي كامل مكونات الدولة من حدودها الجغرافية وصولاً إلى مساحات المواطنة في الحريات المسموحة والمحددة في لوائح المسموحات والمحرّمات، يحفظ الواجبات الواجب تأديتها، والثواب والعقاب حين التجاوز المعوّل عليه من المواطن الآمن من أمان أمنه، هنا أجد أن الدولة في حقيقتها تحمل أعباء وطن ومواطن، ومواطنة

معادلة ثلاثية الأبعاد تنجز تكوينها الذي ينجب سؤالاً كبيراً يكمن بأن المكعب سداسيّ الأبعاد ، المواطن يلاحظ ويراقب الأبعاد الثلاثية والدولة من خلفه تقود الثلاثي الخفي غير المنظورة من المواطن، فإذا استطاع أي مواطن أن يرى الأبعاد السداسية- وإني أدعو إلى رؤيتها والتدقيق فيها- يحصل على لقب الإبداع الوطني، الدولة حقيقة هي الوطن والمواطن وحمايته لها وحمايتها له ولمكوناته فهي تشاركية في تحمل المسؤوليات حين حدوث الانفعال في أي مجال، كما أنها تبادل الحب حينما يحدث التناظر الجامع لسداسية الأبعاد تظهر وحدة الوطن والمواطن مع ما نراه دون أن نراه، وهنا تكمن مسؤولية إحساس المواطن بالمواطنة والموظف بالدولة والدولة بالأجر لا بالراتب؛ بكون الدولة مسؤولية تنعكس على موظفيها ومواطنيها في حالة تبادل الحب للانتماء، وتعزيز دور احترام الظهور كي ترتقي ويرتفع شأنها حضوراً بين الحضور.

الصــــوت

لنتخيل أن الحياة صامتة، ونتوقف متأملين ماذا كان نوعها، لا صوت للإنسان ولا للحيوان ولا الناتج من الجماد ولا الطبيعة المحيطة المتكونة من ماء ونبات وهواء، هل كانت الحياة لتستمر؟، وما علاقة الصوت بالحياة المتكونة من الكائن الذي يعتبر الصوت جزءاً لا يتجزأ من تكوينه وهو الأكثر تعقيداً في الحياة، لا بل أعتبره

جزءاً من جوهر الروح التي أعطت للإنسان الحياة وعادت لتخاطبه بصوتها كنْ فكان، أشرح معنى دخولي على الهواء الحامل لطاقة الحياة أثناء استنشاقه وتنفسه؛ حيث يداعب المكون المادي بجسد الإنسان ليخرجه على شكل أصوات، وإذا انقطع التنفس انقطع الصوت، وعليه يكون الصوت أهمّ رابط من روابط الحقيقة الجامعة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وبين جميع الموجودات وعناصرها المنتشرة في المحيط الكوني، وهو دلالة الفهم والاستيعاب للحاضر والتقدم إلى المستقبل والخوف من المجهول، ويعتبر الصوت أداة المنطق الذي تشكلت منه الأسس الحضارية، حيث كان الاستماع هو أهم وسيلة للحفظ، أي قبل تعلم الكتابة متقدماً بصورته المعرفية فكان المكون الرئيس لذاكرة الإنسان الذي حفظ لنا العادات والتقاليد والترانيم بكل أشكالها وشكل علم الكلام، وعليه أؤكد أنه مفتاح الكون الذي دخلنا إليه وظهرنا بصورتنا المالكة له بعد فهمنا لمكونات الوجود وأصوات الموجود، لايعلو الصوت في الأماكن المغلقة، ويصدح في الطبيعة المنفتحة على الحياة، كي تفهمنا ماهية الحياة.

مرة ثانية لنتخيل أن لا خرير للمياه ولا حسيس للنار ولا هفيف للهواء ولا هزير للرياح ولا فحيح للأفاعي ولا زقزقة للعصافير ولا جعجعة لرحى الطحين ولا كركرة للمعدة عند الجوع، واللغط أصوات مبهمة لا تُفهم.

إنه ظاهرة فيزيائية تثير حاسة السمع مغرية حينما يكون جميلاً وجاذباً، فيزيد إنسانية الإنسان مما يحسِّن سلوكه، ومنفراً ومقلقاً ومرعباً ومزعجاً حينما يكون متنافراً مع السمع المتجه إلى

العقل كي يحدث الإجابة نطقاً صورته اللامرئية الصوت الذي ينقسم إلى مفهوم يتداوله الإنسان فيما بينه، وغير مفهوم أي صوت الحيوان، إن الصوت يحدد أسماء الأشياء مادية أم طبيعية أم حيوانية، الصوت يحدث من تصادم الأجسام بعضها مع بعض وحينما يخلو الهواء من بينها، وهذا مخالف لطبيعة الإنسان الذي لا يستطيع بدون الهواء النطق، وإحداث الصوت وظهور صوته يتعلق في اختراق الهواء الخارج من فم الإنسان للهواء المحيط به محدثاً الاهتزازات، والصوت عند الإنسان نطق وعند الحيوان وباقي الموجودات صوت يحدد الإنسان بنطقه مصدره، ويطلق عليه اسمه نطقاً وهذا التمايز يعطيه سمة قيادة محيطه .

وللصوت طول موجي ترددي اهتزازي يتلاشى كلما بعدت المسافة في طوله، أي له حدود بداية ونهاية ويجب أن يتوفر شرطاه الرئيسيان: صاحب الصوت والسامع، وتحقق المسافة الطبيعية لحدوثه، وله بنى الإنسان وشيَّد الحضارات التي تجلت في عظمة أوابدها ومنشآتها حيث بنى المساكن وأنشأ بها الغرف ليكون الإنسان قريباً من بعضه وليحدث التفاهم والتناغم وتبادل المعرفة من أجل زيادة التطور .

الصوت أداة الشخصية القوية حين امتلاكها للعلم والمعرفة والفهم والحب يتجلى في هدوئها ومخارج حروف كلماتها؛ التي تصرّ على إيصال ما تريده، تلك الشخصية الفاعلة سياسياً أم اقتصادياً أم اجتماعياً، قيادية أم ربوبية أم أسروية، عملية كانت أم نظرية، إنه أداة الحق تجهر به حينما تكون صاحب حق، فيكون صوتك

عالياً وتخبو به مخفضاً إياه إلى أدنى درجاته الذبذبية، مقصراً موجاته حينما تواجه بالخطايا والارتكابات التي قمت بها، وتطلب الرحمة بصوتك المتذلل المنخفض؛ والذي لن يعيش طويلاً .

عليه ندخل إلى أدوات الصوت فنجدها تتألف من حنجرة ورئتين وقصبة هوائية، ومجراه الذي يسير به الحلق والأنف والفم واللسان والأسنان، وصفاته القوة التي تميزه بالنبرة والرنين الممتلئ بالحدة أو الحنين، وسعته الاهتزازات أي الذبذبات بتردداتها التي تقع بين ١٥ و٢٠٠٠٠ هرتز، ومحرضاته السمع والإدراك والإنصات، ونبرته هي شدة أوتاره، ورنينه هو الذي يميّزه عن بعضه كما تميز رنين الذهب عن الحديد والطنين من الأنين، وكما قلنا في المقدمة: إنه يحتاج الهواء الذي يشكل الوسيط الناقل ليتحرك أفقياً أو عمودياً أو إلى المحيط، تتشابه الأصوات عند الحيوان وحركة الموجودات المادية الطبيعية والصنعية وتختلف عن الإنسان .

الصوت ترنيمة الحياة الموسيقية وأحد أوجه الإبداع الكوني المنغرس في الإنسان، يخرج منه لا يضيع في الهواء بل يحفظ، بما أننا نعيش ضمن كرة مغلقة، وحينما نعلم الموجات التي يتحدث بها الإنسان والترددات استطاع العلم أن يستعيد الأصوات ويستخدم الصوت حديثاً كأداة بحث عن الشخصية الإنسانية الفاعلة حين نجاحها أو فشلها، فيخلّده أثراً إيجابياً أو نفياً سالباً، فيه الفناء غير المرغوب، لا حياة للكونية بدون الصوت، إنه وجود الأشياء وصورة جوهرها .

المصطلح

يضع هوية للقضايا التي يهتم بها المجتمع بكونه يحتاج إيجاد التمايز بينها، وإبعاد الملتبس منها وفهم المركّب، ليظهر المصطلح على شكل كلمة أو مجموعة كلمات، نستخدمه للتعبير عن مفهوم محدد، وفي اللغة قادم من صلح وإصلاح لما خالف فهمه وساءت أحواله إنساناً كان أو مادة، يتحول إلى عنوان بشكل رأس هرم، يجذبنا للبحث في مضمون ما يحتويه كمفردة عنوان، يحملها شرح بحث معرفي في جميع محاور العلوم، تستخدمه المجتمعات في فلسفة بنائها الاجتماعي، وتعمل به في مجالات التاريخ والاجتماع والاقتصاد والسياسة والحرب والسلم، لهذا كان المصطلح ضد الخطأ والغش والتخريب، وأيضاً يُقال: التوفيق والتصالح به الإصلاح، فنقول أصلحت بين القوم وتصالح القوم واصطلحوا، كما أنه إشارة لفظية يطلقها أهل الاختصاص، وغايتهم الدلالة إلى معنى معين يبدعه الذهن كي يشتغل الناس به بعد تعميمه .

والمصطلح نوعان: إيجابي مفيد لتطور الفكر يأخذ شكل البحث ويراد منه التوصل إلى الأهداف القريبة والبعيدة، وسلبي تخريبي صورته جميلة برّاقة وهمية، ومضمونه خطير هدام يتسرَّب إلى العقول يؤثر بها، ينجبه أفراد أو منظمات مخطط لها أن تبثه من أجل تحقيق غايات خبيثة، وعليه يكون المصطلح بمثابة إعلان حرب

إما على الجهل أو الغش أو التخلف، ومن أجل الإسراع في عمليات التنمية الفكرية والمادية والارتقاء والتقدم، وإما من أجل السيطرة على أفراد أو مجتمعات أو دول .

من هنا أنطلق لأقول: إن المصطلح حدٌّ علمي يشبه الثورة التي تحمل شكل الحرب الإبداعية وسلاحها العلم، وظهوره يكون على الجهل والتخلف يختصر الزمن ويوجد مساحات للعمل، لذلك نرى اليوم أن أحد أشكال الحروب هو حرب المصطلحات، فهناك من يقود حرباً من أجل إحداث التطور والارتقاء والوصول إلى الأهداف بأقصر الطرق وأسرع زمن، ومثالنا في ذلك رئيس البلاد الدكتور بشار الأسد، حيث هو خير من وجّه إلى فهم المصطلحات والتمييز بينها، وأكثر من ذلك، طرح الجديد المفيد والغني الألق من أجل الانتقال بالمجتمع إلى الأفضل والأفضل، وحينما نأخذ من الأمثلة الكثيرة التي طُرحت في خطبه وأحاديثه متوجهاً بها إلى مجتمعنا وأمتنا والعالم، نجد أن التطوير والتحديث كمصطلح خصّ سورية الأرض والإنسان والمكونات والشفافية، خصّ الإنسان السوري والعربي والعالمي في التعامل مع القضايا الجوهرية الداخلية والخارجية والعلاقات الدولية، ومن ثم طرح المأسسة والمنهجة في قمة الدوحة، وغايته ربط النظام المؤسساتي العربي بالمناهج والإيمان بالأمة والتعاون بالعمل الجماعي لتحقيق أهدافها، كما طرح المقاومة حقاً مشروعاً للشعوب المستضعفة المحتلة من قبل العدوان والكيانات الغاشمة، كما طرح رئيس البلاد فيما يخص العدو مصطلح الكيان الإرهابي

المدعوم من قوى تحمل المصطلحات المزدوجة والمعايير المختلفة، ووجّه إلى ضرورة الانتباه منها.

وهناك المصطلحات العدوانية والخبيثة التي تسقط على أمتنا مثل مصطلح: الشرق الأوسط الكبير، ومحور الشر، ودول الاعتدال، والدولة اليهودية، وأسطورة الجيش الذي لا يُقهر، والسلام الاقتصادي، والسلام الاجتماعي، والشراكة المتوسطية، وعدم الاعتراف بالأرض مقابل السلام، والإرهاب الإسلامي، والتشدد الإسلامي، دون التمييز بين حق الشعوب في استخدام كل الوسائل المشروعة حينما تكون أراضيها محتلة بكاملها أو أجزاء منها .

من هذا كله تبدو ضرورة فهم المصطلحات والحرب القائمة منها وبها وعليها من باب وجه الحق الذي تحمله ضمنها وضرورة رفض الباطل والانتباه منها وبها ، فإن تضمنت العلمية والثورية اختصرت الكثير من الزمن، وأخذ بها ليتطور العقل الساكن في الإنسان فيغدو بها وبه أفضل، وإن كانت سلبية أدعو للانتباه منها وفرزها والرد عليها بالعلم؛ الذي يأتي من مصطلحات الشفافية التي تطور المظهر وتُحدّث الجوهر.

إلى الأمام

تطلعْ ، لا تكره الماضي بل ناقشه وحاكمه ضمن ذاكرتك، لا تقف ناظراً إلى أطلاله لا تلتفت، فإذا فعلت فأنت منحدر إليه عالق

في شباكه، يُحدث في داخلك التأخر بكونك تحاول الخلاص منه ولا محالة واقع فيه، ينساك المستقبل رويداً رويداً فتحدث القوة بينك وبينه بكونك التفتّ إليه ، إلى الأمام أحبب المسير، تمسّك بخيوطه تعلق به لتمتلك علم فلسفة التكوين والبناء، كن هاوياً ومحباً، تخصص في هوايتك اخترع الأماني والآمال، حوّل الأحلام بفعلك الحي إلى حقائق، واعكس الماضي أثناء نظرك في التوجه إلى الأمام لتراه مستقبلاً ضمن حركة الدورة الطبيعية للحياة .

إلى الأمام، أي لا معنى إلى الوراء بكونها أظهرت الإنسان في معناه : الظهور، والظهور قادم من الارتقاء، وبما أنه عمودي وراعٍ للمسيرة الحياتية التي كان من أجلها فهو صاعد، ومعنى صاعدٌ أنه يستطيع المسير إلى الأمام والصعود إلى الأعلى بعكس كامل المخلوقات، امتلكْ معتقداً رئيساً واعرف من خلاله أنك إنسان قادر على الامتلاك، وبعد ذلك اقبل أو ارفض امتلاك أي معتقد من خلال نظرك الثاقب وعقلك المناقش والمحاكي، كي تمتلك إنسانيتك، ابحث من المبتدأ عن معتقد أيّ معتقد كان، تشارك فيه مع الكثرة كي يغدو موروثك الإنساني القادم من ذلك الإنسان الموغل في القدم، واطلب أن تتكون من جيناته الغنية والمجيدة والرائعة إلى حيث أنت وصلت وحيث تريد أن تصل، وبذلك تجوّل في عقلك النسبي واطلب من العقل الكوني حاجاتك فتجدها .

تعال نتفكر مؤكدين على أن الحقيقة أشارت إلى أن دخولنا إلى الحياة قد تم من الأمام لا من خلف، وأول خطوة خطوناها أيضاً كانت إلى الأمام، ومع نمونا تطورت الخطوات، ولندقق في عملية

الاستبصار عمّا نتحدث عنه في عقلنا الممتلك للذاكرة الإنسانية، إنها كانت رويداً رويداً تتم إلى الأمام نمواً وصعوداً، إلى أن وثقنا بها فوثقت بنا وكانت إرادتها أي الإرادة الإنسانية في الخلق المستمر ضمن الثنائية المتفردة، أي اتحاد الذكر والأنثى المنجب لنا، وهو الاستمرار لتتجسّد نظرية مسيرة الحياة ومحورها الإنسان، ولنعترف أنها المسيرة المانحة لفرص التقدم تحت مسمّى إرادة شئت أم أبيت أن تسير عليها وإليها، فأنت محكوم في عقلك الباطن لها دون إرادة منك .

لنعترف أن نظرية إلى الأمام؛ تمتلك فرص التقدم التي تحتمل النجاح والفشل مؤكدة على أن الإنسان ابن المحاولة، فإذا دققنا فيها نجد أن عمرنا الزمني يتقدم بنا، يسأل دائماً وأبداً عن مساحة وقيمة عمرنا العقلي وإرادته، أي (العمر الزمني) أن يتجاوز عمرنا العقلي عمرنا الزمني، وأيضاً كي يأخذ به من عزم التسارع إلى الصعود والارتقاء والتقدم أكثر منه، ليعود عليه مدداً يمنحه الطاقة والحيوية، وليظهر العمر الزمني كخادم للعمر العقلي، ينقله حيث يشاء إن أراد في الحقيقة التقدم والتطلع، ينقله إلى أماكن التأمل التي تحمل الأفكار تولّد له الفكر وتمنحه العلم، وأيضاً يخدمه مرة ثانية كخادم للعمر العقلي أي (العمر الزمني) ويفرح بتقدمه طالما أنه يتقدم .

هنا نتوقف ونستبصر من بصر الناظر إلى الفرق بين العمر العقلي والعمر الزمني الناشط فعلاً وتفاعلاً وتحريكاً لمادته الجسدية، والتي منها تظهر صور النشاط والتعب والإجهاد والفرح والحزن

والخمول والكسل .

إلى الأمام ضرورة حياتية، لولاها لما وصل إلينا ذلك الزمان الموغل في القدم ، نحن والذي سار في لحظة واحدة مع ذلك الإنسان ضمن إرادة الأمر من الكوني، حيث كانت النقطة هي البدء من المشير الذي أعطى إشارة الحركة الكونية، وقصده أن تسير الحياة الجامعة للإنسان والزمان والمكان، ذاك الذي أطلق صافرة البدء، فسار الجميع إلى الأمام لغة حياة كونية تخصّ الإنسان والأرض والزمان، ومنذ تلك الإشارة تتحرك الموجودات إلى الأمام، ولم نجد، ولم يذكر التاريخ حتى اللحظة أن الأرض أو الزمان عادا إلى الوراء، وحتى الإنسان لم يتوقف في مسيرته إلى الأمام، ومن يتوقف يتجاوزه الزمان والمكان، فيخرج من دائرة اللعبة الكبرى الحاملة لرؤى التقدم .

إنه سؤال كبير وصغير في آن أسألكم عنه: من منا يستطيع أن يوقف الزمان؟ حتى إذا تعطلت أداته (الساعة) نسارع لإصلاحها، كي نعرف في أي وقت نحن، ومع كل صباح نبحث عن ولادة يوم جديد، هنا أؤكد السؤال هل نستطيع إيقاف الزمن؟ فهو يتقدم إلى الأمام من الدقيقة التي وُلدنا فيها حتى اليوم والشهر والسنين المكونة لنا لنعرف أنها سارت رغماً عنا آخذة بنا إلى الأمام، فإذا علمنا بعد تفكرنا وتأملنا بها واكبناها بعقلنا الكبير الذي يقاس حجمه من إنجازاتنا، فإذا كانت أكبر من عمرنا الزمني كان عقلنا يسير بسرعة تفوق سرعة الحركة، وإن توافقنا معه كان هناك التجانس في المسير، وإن تباطأنا عنه تركَنا وراءه، فنظهر بمظهر المنتظرين

ليطلق علينا أننا متخلفون، لذلك ومنه وعليه وله أدعو لمواكبة المسير من خلال الاستعداد الجسدي واستنهاض العقل إلى الأمام.

العرس

من منّا لم يمر به أو ينتظره؟، وأياً كان شكل نطاقه ضيقاً أم عريضاً، بسيطاً أم فارهاً، علنياً أم مخفياً، فهو متلازمة ضرورية للزواج، تعلن استمرار التكاثر البشري، بطلاه ذكر وأنثى شاب وشابة رجل وامرأة يطلق عليهما عريس وعروس، يتحولان بهذه الاحتفالية إلى زوجين بعد انتهاء العرس، وهو ظاهرة عالمية يمارسها أفراد شعوب الأرض قاطبة، وغايتهم إظهار المسيرة الإنسانية على الرغم من اختلاف مذاهبها ومشاربها الروحية والمادية والاجتماعية وتعدد طقوسها وانتماءاتها، وجميعها تجمع على أنها ظاهرة فرح اجتماعي يمرٌ بها السواد الأعظم من الناس، يقومون بها كإعلان عن إتمام مراسم الزواج التي تظهر مع تكوين كل أسرة، وتستمر بالإنجاب الذي يعيد الكرَّة مع ظهور الأبناء المدعوين في سن الشباب والرجولة إلى الزواج؛ الذي يحتاج إلى إعلان الأفراح من خلال العرس؛ الذي يعلن الالتقاء محولاً عقد الزواج إلى جماع شرعي، ونتاجه نشوء أسرةٍ تكوِّن مجتمعاً يتحول من خلالها إلى حالة تكمن بها صورة الأمة، والأمم التي تؤمن به من أجل التعريف بمصداقيتها وصورتها القانونية.

صورته احتفالية قادمة من عادات وتقاليد متوارثة منذ أقدم

القدم الإنساني، كي لا تكون الصورة مشاعية وغير قانونية وتبتعد عن الإباحية واللامنطقية، فالمنطق يدعو لإشهار أي منجز تكويني بدءاً من العلم والاستعداد للحرب والانتصارات والشهداء، وجميع تلك النشاطات الإنسانية تقام لها الأعراس أو يُحضَّر لها بالأعراس، وانتهاءً بالزواج الذي يحتاج إلى شهود يحضرون العرس الذي يدعى إليه الأهل والأصدقاء والجوار وبعض ممن لهم في كل عرس قرص، والقطط التي لا تهرب منه ولا من ولائمه من مبدأ "لا يهرب قط من عرس"، لذلك يمثل خوفاً من اعتباره حالة لا شرعية ومعنى أن يحدث العرس أي أن الأمر قد تم بشكل قانوني، وغدا الجنس تحت منظومة الحلال المقدس نافياً عنه الحرام الذي يسكن خلف التابو لا يستطيع أياً كان التعدي عليه أو الطعن فيه .

إذاً، هو إرث إنساني عالمي يعيش تحت مظلة المقدس الشرعي، حمته صيغ الكتب المقدسة والمتمتعون بالمسؤولية عنها، لم ينحصر يوماً بالغنى أو الفقر، فجميع الطبقات تحتفي به بغض النظر عن التكاليف بكونه حالة إعلان، وإن العرس الوحيد الذي لم يحضره أحد ولم ينفق عليه أي درهم ولم يكتب بينهم مهر هو لآدم وحواء أبوي البشرية جميعها، وأعتقد أنه تمت لهما مباركة المكوِّن والملائكة في الشعور اللامادي، فحينما سألته حواء هل ترغب بي زوجاً لك يا آدم؟ أجابها وهل هناك أحد غيرك على هذه البسيطة، وبالتأكيد لم يكن غيره أيضاً ، عليه يكون تسلسل حياتيّ اختص الإنسان به بكونه امتلك العقل الذي نظم حياته وانتظم بها .

العُرسُ مهنة الإملاك والبناء، في المعاجم اللغوية مصطلح قادم من عَرَسَ به عَرَساً أي لزمه، وعرس الصبي بأمه عرساً ألفها ولزمها، وأعرس بأهله إذا بنى بها، وكذلك إذا غشيها وعُرْس يعني طعام الوليمة الذي يُعمل عند العرس يسمى عرساً باسم سببه، والعروس نعت يستوي فيه الرجل والمرأة فيقال للرجل عَرُوس وعُرُوس، والوليمة التي تقام لهما تسمى عرساً وقد عرَّس وأعْرَسَ اتخذها عرساً ودخل بها، وتسمى الأنثى عرس الرجل في كل وقت والمعرس الَذي يسير نهاره ويعرس أي ينزل أول الليل .

النرجس

زهرة محببة جميلة بيضاء اللون، بوقها أصفر يبث رائحة طيبة لها أثر التخدير أحياناً، منها البري الذي يتفتح في أوائل الربيع، ومنها الذي يزهر مع قدوم الخريف وهو الطبيعي المائي، مكوناتها نبتت ضمن أسطورة الجسد الإنساني العاشق بذاته لذاته المادية والروحية، تلتف عليه تمنعه من الالتقاء المحب والمحبب مع أي أحد، ترفع به تعزز بداخله الأنا والفردية وتضخمها، حيث يتجاوز الاعتراف بالآخر وبوجوده بقدراته وبإمكاناته، لا تعترف بالتبادل المعرفي معترفاً فقط لما يعتقد بنفسه التي تصوره على أنه الحب وعليه أن يحبها فقط، وحين تطورها ونموها في داخل الفرد تأخذ به ليستغرق في تأمله لما يحتويه جسده، فيظهر هادئاً

وهو المتكلف والمتصنع كي يعطي تشوهه الكبير علاقاته مع المحيط حالة إثبات الوجود، وأكثر من ذلك يمتلك فائضاً من الطموح من خلال الشعور بالعظمة التي يسكنها النقص الشديد، يعطي النرجس قيمة فوقية لذاته وفيه يرى أنه أفضل الورود، وشعوره الدائم يتجلى في رغبته المستمرة للبقاء فوق الجميع، وإحساسه بأنه الأقوى والأجمل، ولديه من الألمعية ما يفوِّقه على الجميع، معتبراً أن السواد الأعظم من الإنسان هراء وضرورة العودة إليه، أي إلى النرجس كي يرى فيه معادلة تموضع الإبداع وتمركزه .

النرجس يتحدث بكونه يشمخ من قلب نرسس الفتى الأسطورة الإغريقية؛ والذي نصحه في زمنه العرافون بألاّ يرى صورته على الماء، وحينما توقف مرة هي الأولى والأخيرة أمام بحيرة ليشرب منها رأى وجهه على الماء فحاول أن يلتقطه منه، لينتهي وإلى غير رجعة، وغدا جسده حاضنة لنمو النرجس وتعبيراً عمّا كان يحمله، فكانت إعلاناً أن من يصل إلى مرتبة النرجس يخلص من الحياة تتناوله الأجيال تروي قصته للقاصي والداني .

لماذا النرجس على الرغم من جماله مرفوض؟، إذا سكن قلب وعقل إنسان مبدع علمي فنان أكاديمي وظهر عليه، فهل يعرف أنه أصيب به، أم أن على المحيط الآخر أن يخاطبه مباشرة بأنه وصل إليه، اخترقه ونبت منه وحمله، وأنه الوحيد الذي لا يدري عن نرجسه شيئاً ليغدو من الضروري بمكان مصارحته، حيث أصابت

زهرة النرجس منه مقتلاً بعد أن تكون ملائمة للحيرة وعدم الرضا وعدم الرأفة وتمكن الغيرة والحسد منه بشكل عنيف؛ فيفقد قدرته على الحب والتعاطف مع الآخرين الذين يحتاجونه عندما يتخلى عن نرجسه .

الإنسان ابن الطموح ومولده ووالده وحقيقته، بكونه واقعاً حياً ملموساً ينبغي عليه أن يتخلى في الاعتراف عن الشعور بأنه أحسن الناس، ويبتعد عن مقولة أن أفكاره هي الصحيحة وأفكار الآخرين هراء، وأعمالهم لا تمتلك الكمال والتمايز والامتياز، ونقده إن لم يمتلك التخصص فليس له اختصاص، منه نقول: إن النرجس جذره مظلم تبهره رؤية النور فينبهر به؛ معتبراً إياه مصدره يبني عليه تخيلاً أنه بتحوله إلى نور يعطيه لمن يريد ويمنعه عمن يريد، والطامة الكبرى أنه يعيش تحت مظلة الآخر، وحينما يخرج من تحتها يعتقد في نرجسه أنه قادر على التحول إلى مظلة، وعلى الآخرين الانضواء تحت مظلته، وهنا تكمن كارثة النرجس الذي يحوِّل الشخصية إلى نرجسية، وبالتالي يخرجها من دورة الحياة الطبيعية يتطلع إليها الآخرون على أنها حالة مرضية.

الفهرس العام

(محتويات الكتاب)

الموضوع	الصفحة
تقديم	٥
إهداء	٧
الخلود	٩
الوحي	١٢
الإنسان القديم	١٥
الدورة الحياتية	٢٧
الاعتراف	٣٨
الأنهار الأربعة	٤١
الاعتقاد	٥٢
الحق	٥٥
المظهر والجوهر	٥٨
الخير	٦٨
الخبر	٧١
الحبر	٧٤
الخبز	٧٧

الملح ٨٠
العقل أكبر من الكون ٨٣
الحيرة ٩٤
الغيرة ٩٦
الشك ٩٩
الظن ١٠٢
الفناء ١٠٥
العري الفكري ١٠٧
الضوابط ١١٧
الخوف تخلف ١٢١
التملق ١٢٤
القلق ١٢٧
الأرق ١٣٠
النوم ١٣٢
الشهوة ١٣٥
الجوع ١٣٨
الشبع ١٤٢
النظرية والتطبيق ١٤٥

الإرادة ١٥٧
الكرامة.. ١٦٠
الربح ١٦٣
الخسارة ١٦٥
المرآة ١٦٨
الخلل ١٧١
حكي نسوان ١٧٤
حكي رجال ١٧٨
الدولة.. ١٨٢
الصوت ١٨٥
المصطلح ١٨٩
إلى الأمام ١٩١
العرس ١٩٥
النرجس ١٩٧
المحتويات.. ٢٠٠